

المقدمة :

جاءت فكرة هذا الكتاب من خبر نشر في اوائل عام ١٩٨٩م عن بناء ثاني اكبر كنيسة في العالم في ساحل العاج بغربي افريقيا . ولما كانت هذه المنطقة من اعرق مواطن الاسلام هالنا الخبر وقمنا باعداد ملف صحفي نوضح فيه مدى خطورة انشاء كنيسة بهذا الحجم في تلك المنطقة تواكب نشره في جريدة (اليوم السعودية) مع افتتاح الكنيسة في مطلع العام التالي ، واتضح انها ليست كنيسة فقط بل مجمعا ضخما لخدمة التنصير يشتمل على مراكز للاذاعة والنشر وتدريب المنصرين .

ومن خلال بحثنا في كتب التاريخ القديم والحديث على حد سواء وجدنا انفسنا نتصفح سجل حضارة الاسلام المشرقة في افريقيا . وادركنا بمزيد من الاسف مدى تقصيرنا نحن مسلمي اليوم في معرفة ذلك التاريخ المجيد . وادركنا ايضا بمزيد من الاسى مدى نجاح الدوائر المعادية للإسلام في تشويه التاريخ الاسلامي . في محاولة لقطع الصلة بين المسلمين المعاصرين وبين ماضيهم العريق . إذ عمدوا إلى إزالة ذلك التاريخ الاسلامي من المناهج التاريخية التي تدرس لابناء المسلمين في المدارس والجامعات . واحلوا محله تاريخا مزوراً يقوم على قلب الحقائق . زاعمين ان تاريخ افريقيا بدأ ببداية الكشوفات الاوربية والاستعمار الاوربي .

ومع تواصل البحث وجدنا ان بناء ثاني اكبر كنيسة مسيحية في العالم بساحل العاج . هو جزء من الخطة المدروسة والحرب الضروس التي تشنها الدوائر التنصيرية العالمية على الاسلام والمسلمين . ليس في هذه القارة وحدها بل في العالم اجمع . وهي حرب مستعرة منذ عدة قرون ولا تزال . وتقودها الحكومات والمؤسسات الرسمية والكنائس . من اوربا وامريكا ومن خارجها منذ ان بدأ عصر الإنحسار الإسلامي الذي نتج عن عدم التزام المسلمين بدينهم الحنيف .

وعدم تحكيم شرع الله في كل شئون حياتهم .. وركونهم إلى حياة الترف والدعة وعزوفهم عن خوض ميادين الجهاد وحب الدنيا وكرهية الموت . وهكذا اجبروا على الخروج من الاندلس عام ١٤٩٢ م .

وليس معنى ذلك ان الحرب ضد الاسلام قد بدأت في هذا التاريخ . فالكيد للاسلام قديم .. قديم بدأ حتى قبل بعثه خاتم الانبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم . ولكن اختيارنا لهذا التاريخ في اواخر القرن الخامس عشر الميلادي يرجع الى انه يمثل بداية الانحسار الاسلامي بشكل عام . وامام هذه الحرب المخططة والمدروسة التي يشنها اعداء الاسلام وجدنا انه لا يكفي ملف صحفي واحد . فشرعنا في إعداد تلك الدراسة الموسعة لعلها تساهم في إبراز الجوانب المشرقة للمسلمين في افريقيا . وجاء هذا الكتاب ليكون في اطار عدد من المحاولات الجادة التي يبذلها بعض ابناء امة الاسلام . لبعث تراث نحن احوج ما نكون للاقتداء به . واقتحام مجال كاد أن يستحوذ عليه اعداء الاسلام بدراساتهم التي تهدف في المقام الاول لتحقيق امانيتهم بطي سجل تاريخ الاسلام وثقافته في افريقيا . واسدال الستار والحجب الكثيفة عليه . وقطع كل صلة لحاضرها بماضيها تقويضاً لحركة الاسلام فيها . وتضليلاً للمسلمين لصرفهم عن دينهم وتاريخهم وحضارتهم التي ترتبط جذورا وفروعا بالاسلام .

ونأمل ان تساهم هذه الدراسة المتواضعة في الجهود المبذولة لكشف الافتراءات التي احتوتها المؤلفات الغربية الاستعمارية والتنصيرية . التي تقرر أن افريقيا لم تكن على وجه البسيطة الا يوم أن دبت عليها اقدام الاوربيين . وان تاريخها هو تاريخهم فيها وحضارتها من غرس ايديهم ، فهي القارة التي كانت مظلمة قبل أن يدخلوها ..

ونأمل ان نكون بهذه الدراسة قد نبهنا إلى بعض الجوانب الغامضة في الحرب التنصيرية التي تدار حالياً في عقر ديار المسلمين . وفي تلك المنطقة التي

قامت فيها امبراطوريات الاسلام العريقة في افريقيا جنوبي الصحراء الكبرى . وعلى سواحلها الشرقية ليتجه شمالاً مهاجماً البنى الاسلامية للمجتمعات المسلمة في المنطقة المعروفة جغرافيا بحزام السافانا من الصومال شرقاً وحتى السنغال غرباً .

حرب مدروسة ومخطط لها سلفاً . يتولى اعدادها ومتابعة تنفيذها المئات من مراكز الابحاث والدراسات والمعاهد والجامعات حيث تنتشر في العالم اكثر من (١٥٠٠) كلية ومعهد وجامعة تحت تصرف المنصرين من الكاثوليك وحدهم . إضافة إلى (٢٠٠) مركز ابحاث خاص للتنصير يشرف عليها بابا الفاتيكان بنفسه ، لكنه يعطي اهمية خاصة لافريقيا . وهذا يفسر زيارته المتكررة لتلك القارة وهنا يبرز التساؤل .. ولماذا التركيز على افريقيا ؟

الاجابة معروفة تماما لدى كل من الكنيسة والدوائر الصليبية العالمية ، لكنها اما غائبة عن اذهان غالبية المسلمين او انهم يتجاهلونها ... فافريقيا كانت محطة انطلاق الاسلام الاولى خارج شبه الجزيرة العربية ، وفيها وجد المسلمون القبول والترحاب . وقُتل افريقيا رأس الرمح للمد الاسلامي في كل من الامريكتين غربا واستراليا ونيوزيلندا جنوبا خاصة وان لافريقيا جسوراً عرقية وثقافية ممتدة في عمق الغرب المسيحي في نصف الكرة الارضية الغربي . وبين شعوب جزر المحيطين الاطلسي الجنوبي والهادئ . ولهذا فإن اي تحول فيها سيكون له صداه هناك .

ولقد قسمنا هذا الكتاب الى فصول استعرضنا في الاولى منها الجذور التاريخية للمواجهة بين الاسلام والمسيحية في افريقيا ، ثم تناولنا في الفصل الثاني عرضاً مختصراً لتاريخ ابرز الامبراطوريات والدول الاسلاميه التي قامت وازدهرت بالاسلام في افريقيا . واسست حضارات اعترفت بها المنصفون من اساطين المؤرخين من امثال الكاتب الفرنسي جويلي (Gouilly) الذي قال في كتابه الاسلام في افريقيا (ان الاسلام ظل وحده رائد التغيير والبناء في

افريقيا لاكثر من (١١) قرنا من الزمان .

ثم افردنا فصلا لعرض وثائق مؤتمر كلورادو ١٩٧٩م الذي يعتبر في رأينا اخطر مؤتمر لتنصير المسلمين . وننشر اول ترجمة عربية لبيان هذا المؤتمر الخطير . مع عرض تفصيلي للوثيقة الخاصة بتنصير افريقيا جنوب الصحراء . وفي فصلين متتاليين قدمنا عرضا بالوثائق لحرب التنصير في وادي النيل . في كل من مصر والسودان باعتبارهما بوابة المد الاسلامي المتدفق الى قلب افريقيا . ويبقى التنويه بان هذا الكتاب كان من المفترض ان ينشر في اغسطس عام ١٩٩٠م ولكنه تعثر بسبب الدوامه التي دخلت فيها هذه المنطقة والمسلمون بسبب الغزو العراقي لدولة الكويت في الثاني من ذلك الشهر . ثم لا يسعنا وقد خرج هذا الكتاب الى النور إلا ان ننوه بجهود كل من ساعدنا وشجعنا على جمع مادته واخراجه . ونخص بالذكر الداعية الاسلامي الكبير الدكتور / زغلول النجار أستاذ علوم الارض بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران والاستاذ / عبدالله عبد السيد مدير فرع منظمة الدعوة الاسلامية بالمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية والعاملين في المكتبة العامة بمدينة الدمام السعودية والاستاذ / خليل الفزيع رئيس تحرير جريدة اليوم السابق والاستاذ / عتيق الخماس نائب رئيس التحرير اللذين شجعانا ورحبا بنشر محتويات هذه الدراسة في مرحلتها الاولى بالجريدة والاستاذ / حسين سلطان محمد المدرس بالمعهد العلمي بالدمام لتحمله مشقة المراجعة النحوية واللغوية .

المؤلفان ..

الدمام - رمضان ١٤١١هـ - مارس ١٩٩١م

الفصل الأول

نبذة تاريخية

نبذة تاريخية

ظل الاسلام وحده سيد الحركة في افريقيا طوال احد عشر قرنا من الزمان ... فقد كانت افريقيا المحطة الثانية لا نطلاقة الاسلام بعد مكة المكرمة .. وأرخ المسلمون لا فريقيا وعرفوها وعرفوا بها قبل الغربيين بشمانية قرون على الاقل .

عرف الاسلام طريقه الى افريقيا قبل هجرة المصطفى (ص) الى المدينة المنورة ... وكانت ارتيريا على الساحل الشرقي لافريقيا المركز الثاني الذي انطلق منه الاسلام بعد مكة .. حيث هاجر اليها في رجب في العام الثامن قبل الهجرة عدد من اوائل الصحابه . كان في مقدمتهم عثمان بن عفان وزوجته رقيه بنت رسول الله (ص) وابوحذيفة بن عتبة بن ربيعة ومعه زوجته سهيلة بنت سهيل بن عمرو والزبير بن العوام ومصعب ابن عمير وعثمان بن مظعون وعبدالرحمن بن عوف وغيرهم ... ويبلغ عددهم العشرة ثم تبعهم جعفر بن ابي طالب وزوجته اسماء بنت عميش ^(١) رضى الله عنهم اجمعين .

واحسن النجاشي حاكم الحبشة استقبال هؤلاء الفارين بدينهم من اذى قريش . واسلم بعد ان سمع حديث المهاجرين على لسان جعفر بن ابي طالب . وخرج عليه بعض قومه (البطارقة) ولكنه ثبت وانتصر . وهاجرت بعد ذلك مجموعات اخرى من الصحابه حتى زاد عددهم على الثمانين . واستقر بعض هؤلاء هناك وتكونت عائلات منهم ولا تزال احفادهم موجودة حتى الان وتدعى هذا الاصل بكل فخر .. وعندما مات النجاشي صلى عليه رسول الله (ص) صلاة الغائب واستغفر له .

(١) محمودة شاكر - ارتيريا والحبشة - مواطن الشعوب الاسلامية في افريقيا ، المكتب الاسلامي ص ١٤/١٥ .

ومما يدل على انها كانت بعثه لنشر الاسلام . . وليس للفرار من عذاب مشركي مكة ، كما يرى بعض رواة السيرة . ان هذه البعثه ضمت الكثير من اشراف قريش ومن اصحاب المنعه فيهم . وقد كانوا لا يتعرضون لاي اذى رغم اعلان اسلامهم ^(٢) .

ظل الاسلام وحده سيد العقائد في افريقيا طوال اكثر من احد عشر قرنا . وهي الفترة الزمنية التي سبقت الاستعمار الصليبي الاوربي . فقامت عشرات الممالك والدويلات ، وقد كان هناك تداخل في بعض الدول . وقد قامت اكبر من مملكة اسلاميه قويه في فترة زمنية واحده ، وقامت بممالك اسلاميه على انقاض ممالك اسلاميه اخرى . والذي لا نشك فيه هو أن هذه الدول شكلت الملامح الرئيسية المكونه لوجه الاسلام قبل قدوم الاستعمار الاوربي .

ومن اشهر هذه الممالك الاسلاميه ممالك مالي وغانا وسنغاي والبرنو وكانو والهوسا والفلولاني والفونج والفور وتقلي واليوروبا والبمبارا والتكرور والادارسه والعبيديون والسعديون والعلويون والموحدون والسنوسيون والمرايطون والمنهاجيون والمرينيين والاغالبه والمغرابيون والحفصيون ودولة حميد المرجى والدولة المهدية وغيرها .

والمجال هنا لا يتسع لعرض هذه الدول مجتمعه ولكننا سنتعرض لبعض الدول الاسلاميه التي قامت جنوب الصحراء في غرب ووسط وشرق افريقيا ... لانها هي المنطقة التي يركز عليها الاستعمار والمنصرون لتعميق الهوة بين شمال الصحراء الافريقية العربي المسلم وبين الدول الاسلاميه جنوب الصحراء . وايضا لان الاستعمار الصليبي والمنصرين نجحوا الى حد كبير في طمس معالم التاريخ الاسلامي لافريقيا جنوب الصحراء .

(٢) منير الفضبان - الجزء الثاني - عمان ١٩٨٥ م ص ٦٦/٦٧ المنهاج الحركي للسيرة .

كما واكب طمس معالم التاريخ الاسلامي في القارة مخطط غرس واشادة بحضارة المستعمر . من تبشير بملهم ونحلهم ، وفرض للغتهم ، وصبغ المجتمع بثقافتهم ، واعداد نخبة معينه في المجتمع بما يوائمهم . والسيطرة على ولائها الحضاري والثقافي . وتربية أفرادها على أعين المستعمر . ثم اعطائها مقاليد الأمور . مع اثاره بغبيضة على الاسلام وانتصار للوثنيات ، واعلاء شأنها ، والمناداة بالردة اليها باسم القومية ، ويقول بريفيه في كتابه (الاسلام ضد الوثنية في السودان الفرنسي) ، انه من صالح فرنسا استغلال زعماء القبائل الوثنية في تلك الارزاء لأن الاعتماد على الجماعات الاسلامية ينطوي على خطر أكيد للمستعمر (٣) .

وفيد أيضا عرض التاريخ الاسلامي المشرق لبعض الدول الاسلاميه في القارة . والتي امتد بعضها شمالا وجنوبا في الرد على دعاوي أعداء الاسلام الزاعمه بالفصل بين شمال افريقيا المسلم وبين جنوبها ويسمونه افريقيا السوداء ، ففي العهد الاسلامي الذي ساد لاكثر من أحد عشر قرنا كان التواصل كاملا بين شمال القارة وجنوبها ، وبين غربها وشرقها ، بل أن التواصل كان بين القارة بأكملها والدول الاسلامية في الشام والعراق واواسط آسيا ، وشبه الجزيرة العربية .

فقد دخل الاسلام غرب افريقيا في القرن السابع الميلادي . . فسبق وصوله اول منصر الى هذه المنطقة باكثر من ستة قرون . وقد كشفت الحفريات التي اجراها علماء الآثار الفرنسيون عام ١٩٥١م في موقع مدينة غانا على الحدود الجنوبية لدولة مالي الحاليه عن آثار عدد من المساجد والمنازل

(٣) مع حركة الاسلام في افريقيا - د . عبده . بدوي .

القاهرة ١٩٧٠ ، الدعوة الاسلامية في غرب أفريقيا .

وقيام دولة الفولاني ، د . حسن عيسى عبدالظاهر - الرياض ١٩٨١م .

والواح الحجر الملون مكتوب عليها آيات قرآنية بالخط العربي ^(٣) . . هذه الحفريات دلت وفق شهادة علماء الآثار الفرنسيين على أن عدد سكان الجزء الاسلامي من مدينة غانا كانوا حوالي ٣٠ ألف نسمة ، وهو عدد ضخم جدا بمقياس ذلك الزمان .

ويورد احد المؤرخين الاوربيين وهو (اي . ديبلو . يوفيل) في كتابه) قوافل الصحراء القديمة - مدخل لتاريخ السودان الغربي (انه قبل قدوم العرب الى افريقيا لم يكن يعرف الكثير عنها جنوبي بلاد المغرب ، فنحن - الاوربيين - ندين بمعلوماتنا عن التاريخ المبكر لداخل القارة لفئة قليلة من المؤلفين والرحالة ومن اهمهم المسعودي وابن حوقل والبكري والادريسي وياقوت والعمرى وابن بطوطه وابن خلدون ^(٤) .

عندما كانت الممالك الاسلامية تزدهر وتتسع منهمكة في نشر الحضارة والمعرفة . وعامله على اعادة صياغة حياة الافريقيين في مختلف اوجهها الاجتماعية والاقتصادية . وهدىهم إلى الطريق القويم ، فتعرفهم بان الهم واحد . وانهم سواسية مع غيرهم لا يختلفون عنهم . وليسوا اقل منهم - كان الاوربيون يقيمون - القلاع والحصون التجارية على سواحل افريقيا الشرقية وينصبون الشراك للافريقيين لاصطيادهم وبيعهم .

لقد شهدت افريقيا اكبر عملية تهجير قسري لابنائها تمتهن كرامة الإنسان في التاريخ المكتوب ، على ايدي الاوربيين . كان (الهدف منها تسخيرهم لخدمة مصالح اوربا وتحقيق رفاهية مواطنيها على حساب الشعوب الافريقية ، وكانت اول شحنة من الافريقيين الذين سيقوا للاسترقاق قد نقلت من ساحل غانا ووصلت الى هاييتي عام ١٥١٠م وإلى كوبا ١٥٢١م كما

(٣) شوقي الجمل - تاريخ كشف افريقيا ص ١٩٨ .

(٤) شوقي الجمل مصدر سابق ص ١٩٨ .

بلغ عدد الافارقة الذين بيعوا عبيدا في سوق الرق في لشبونه (١٠.٠٠٠) افريقي عام ١٥٣٩م^(٥) .

بل يشهد التاريخ بان الملكة اليزيث الاولى (ملكة بريطانيا) في الفترة من ١٥٥٨م إلى ١٦٠٣م) . كانت تاجره رق محترفه . وكانت شريكه اكبر تاجر رقيق في عهدها . . . واسمه جون هوبكنز . وكانت السفينه التي يحملون عليها المخطوفين للإسترقاق من افريقيا تسمى (المجد ليسوع) . وكان رجال الكنيسة يتحصلون اتاوة عن كل رأس . . مقابل ان يسمحوا بابحار السفينه .^(٦) .

من الذي اكتشف مجاهل افريقيا ؟ :

حتى اواخر القرن الثامن عشر واول القرن التاسع عشر الميلاديين لم يكن الاوربيون يعرفون عن افريقيا جنوب الصحراء شيئا يذكر . ولعل اشنع الاكاذيب التي سجلها التاريخ ، تلك التي كان يرويها اولئك الرحالة الاوربيون الذين توغلوا في افريقيا . فيما عرف بعصر الكشوف الجغرافية ويتضح مدى تزويرهم للتاريخ والحقائق اذا ما قارنا ماكتبوه مع ماسجله الرحالة العرب المسلمون في نفس الفترة .

لقد ادعوا كذبا انهم وجدوا افريقيا مجهولة معزولة وكتب التاريخ والمناهج المدرسية في مدارس المسلمين التي استقت معلوماتها من كتابات الغربيين . وكنا ندرسها في المدارس وما زال ابناؤنا يدرسونها تطفح بهذه الاخطاء الفاحشه .

وكذلك فان كتب الجغرافيا في الدول العربية والاسلاميه ما زالت تزعم ان الاوربيين هم الذين اكتشفوا منابع النيل . ومجاهل افريقيا . ولم يتم حتى

(٥) شوقي الجبل / مصدر سابق ص ١٣٩ - ١٦٩ .

(٦) عبدالودود شلي حقائق وثائق ص ١٠٤ .

يومنا هذا تصحيح ذلك الخطأ التاريخي . وان كانت هناك محاولات متواضعة لم يعطها واضعوا المناهج المدرسية اي اعتبار .

لم يقل لنا احد في المدرسة ونكاد نجزم بان مدرسي الجغرافيا يجهلون حتى الان ان الرحالة الاسكتلندي استانلي عندما وصل الى اعالي نهر الكونغو عام ١٨٧٧م وجد هناك دولة اقامها المسلمون العرب . مستقره ومزدهرة . رئيسها حميد بن محمد المرجبي بن بحيرة تنجانيقا والشلالات المعروفة حاليا بشلالات ستانلي ^(٦) . وقد اشتهر المرجبي في تاريخ الكونغو بـ (تيبوتيب) . وقد انشأ دولة عربية اسلامية في هذه المنطقة عاصمتها كاسنجر . وظل يحكمها حتى عام ١٨٩٠م حيث خلفه ابنه سيفو الذي استبسل واستشهد في محاربة المستعمرين البلجيك . وسقوط العاصمة كاسنجر في ١٧/٤/١٨٩٣م دمرت اخر دوله للمسلمين في وسط افريقيا . وقد كتب الطبيب البريطاني (سدي لانغفورد هند) عضو الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية . والذي اشترك في الحملة ضد دولة حميد المرجبي عام ١٨٩٢م يؤكد في كتابه THE FALL OF THE CONGO ARAB ان هذه الدولة (بلغت درجة عالية من التقدم . وكانت بها مساجد ومدارس عربية يدرس فيها القرآن الكريم وعلوم الدين والحساب . وبها قصور مؤثثة بافخر الاثاث . وانها امتدت حتى نهر لومامي . وكانت ترتبط بطرق رئيسية وعدد آخر من الطرق الفرعية مع زنجبار على الساحل الشرقي لافريقيا ^(٧) .

وبناء على هذه الحقائق فان الثابت ان المسلمين هم الذين اكتشفوا مجاهل افريقيا . وليس الاوروبيين لكن من لنا بإبلاغ ذلك لواضعي مناهجنا الدراسية

(٦) ساعد حميد المرجبي / هنري استانلي عام ١٨٧٦م ودله على مجاهل نهر الكونغو (زانير حاليا) .

(٧) شوقي الجمل مصدر سابق ص ٣٢٠ .

على امتداد العالم العربي والإسلامي . وللمؤلفين النقاله الذين لا يتحرون فيما ينقلون . لقد كتب جرينفل الوزير في اول وزارة وطنيه في الكنفو تشكلت بعد الإستقلال عن الاستعمار البلجيكي . كتب يقول ^١ لقد زور البلجيكيون كل شئ في الكنفو فليست مدينة (ستانلي فيل) سوى مدينة تيبوتيب (حميد المرجبي) التي اقامها قبل قدوم الرحالة استانلي . لقد ترك لنا العرب لغة متولده من لغتهم وديننا وحضاره وسماحة تسوى بين كل الناس كما تركوا على ارضنا دماءهم ، والبلجيكيون يحصدونهم بالاسلحة الحديثه . ليس العرب كما قالوا لنا تجار رقيق ، وانما هم تلك الموجه الانسانية التي اختلطت بنا وصاهرتنا [(٨)] .

ونحن لا نريد هنا ان ننفي اشتراك العرب في تجارة الرقيق بافريقيا . ولكن الذين وقعوا منهم في هذه الخطيئة كانوا ينفذون للأسف الشديد طلبات التجار الاوربيين الذين كانوا نادرا ما يظهرون في الصورة مباشرة ، ولهذا بقيت في ذاكرة الافريقي صورة تاجر الرقيق العربي . وهذا عين ما يحدث اليوم فالغربيون هم الذين يبيدون الحياة البريه في افريقيا . ويتاجرون في سن الفيل لكن الافريقي الطيب هو الذي تصوره كاميرات التلفزيون الغربي وتنشر صوره الصحف متلبسا في الغابه بالجريمة .

لقد سجل المسلمون الاوائل قرونا ناصعه في تاريخ افريقيا القديم . فجاء نفر من احفادهم فلوثوا ذلك التاريخ باشتراكهم في تجارة الرقيق . التي مارسها الاوربيون على اوسع نطاق ممكن ثم فجحوا في الصاق التهمه بالعرب والمسلمين وسط الافارقة .

لم يقتصر وجود الامارات العربية المسلمة على « الساحل الشرقي الشمالي عند زنجبار ودار السلام كما هو معتقد . وإنما امتدت جنوبا الى

مابعد نهر الزمبيزي ، فعندما جاء البرتغاليون (طلائع الاستعمار الاوربي) الى شرق افريقيا كانت لامارة كلوة (جنوب مدينة دار السلام الحاليه) السيادة على الجزء الجنوبي من الساحل الافريقي ولما وصل فاسكو دي جاما الى موزمبيق وجد حاكم المدينة نائبا عن سلطان كلوة ^(٩) وقد قام العرب المسلمون مدينة سقالة على مقربة من موقع مدينة بيرا الحاليه في جنوب افريقيا واثبتت الحفريات الاثرية التي اجريت في هذه المنطقة وجود آثار اسلامية كثيرة بتلك المنطقة .

فاسكو دي جاما الذي اشتهر بانه مكتشف طريق رأس الرجاء الصالح (الدوران حول افريقيا) . وجد عندما نزل على الساحل الافريقي الشرقي امارات المسلمين منتشرة على امتداد الساحل . وقد كتب في مذكراته (انه استقبل وبعثته في قصر مفروش بالسجاد ، وقدمت له في مالندي التي كانت تقع شمال مدينة ممبسا الحالية الهدايا الثمينه) ^(١٠) .

نعود الى غرب افريقيا لنذكر بان حملات التنصير لم تبدأ بكنيسة ساحل العاج وزيارات البابا . ولن تنتهي بها . طالما ان المسلمين والعقيدة الاسلامية في هذه المنطقة ترفض الاستسلام . وترد على اساليبهم الخبيثة والملتوية بمزيد من الإنتشار والصمود . وليس هناك دليل اقوى على ذلك من قصة القس النيجيري الذي تناقلت الصحافة خبره في مطلع عام ١٩٨٨م عندما وقف امام جمع غفير من اتباعه ليشعل النار في نسخة من القرآن الكريم فاحترقت يده ونجا المصحف الشريف . ولم يكن من القس الا ان اعلن اسلامه جهارا وتبعه كثيرون كانوا قد جاءوا ليحتفلوا بحرق المصحف .

مثل هذه الامثلة المشرقة يحاصرها المنصرون ويمنعون اطلاق اتباعهم عليها

(٩) ابن بطوطة زار كلوة ومبسا ومقديشو عام ١٣٣٣م (د/ شرقي الجمل - مصدر سابق ص ٥٣) .

(١٠) د/ شرقي الجمل مصدر سابق / ص ١٧٥ .

حتى لا تؤثر فيهم . ذلك ان العقل عندما يدرك الحقيقة لا يستطيع الانحراف عنها .

ويستعملون في التنصير شتى الاساليب والضغوط . ويرفعون علنا شعار (اخلع عنك رداء الاسلام نرفع عنك وطأة الجوع والفقر) . وفي السنغال توقع البعثات التنصيرية عقودا مسبقه مع الاسر لتقدم لها المساعدات العينية كل شهر مقابل ان تعطيها الحق في اختيار طفل من اطفال الاسره تربيته على يديها ^(١١) .

وكان ليوبولد سيذار سنغور الرئيس السنغالي السابق . والشاعر الافريقي المشهور ابنا لابوين مسلمين . حمله المنصرون الى فرنسا وربوه على ايديهم . ثم اعادوه راهبا ليحكم شعبا مسلما . ويعمل على نشر المسيحية ومركز داكار للتنصير يخرج الاف الرهبان والقسس كل عام . ويدفع بهم الى مختلف بلدان افريقيا ^(١٢) .

الحرب ضد الاسلام في غرب افريقيا :

الحرب ضد الاسلام في غرب افريقيا مستمره منذ اكثر من اربعة قرون . تقودها الحكومات والمؤسسات الرسمية والكنائس . من اوربا ومن خارج اوربا منذ ان بدأ عصر انحسار المسلمين . عندما اجبروا على الخروج من شبه جزيرة ايبيريا في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي عام ١٤٩٢م .

لقد تعهد الاسبان والبرتغاليون بعد طرد المسلمين من الاندلس بتعقبهم الى شمال افريقيا . واخراجهم من كل مكان يجدونهم فيه لاعادتهم الى جزيرة العرب ومحاصرتهم هناك . وذلك انهم كانوا عندما يستولون على موقع للمسلمين لا يحتلونه فقط وانما يحرقون كل شئ فيه ويمنعون ممارسة اي مظهر اسلامي به .

(١١) د . شوقي الجمل مصدر سابق / ص ١٧٥ .

(١٢) مجلة المجتمع الكويتية عدد ١٥ رمضان ١٤٠٢هـ .

لقد كانت الاستراتيجية التي مازالت تطبق حتى يومنا هذا ، هي تعقب القوى الاسلاميه . وتطويقها حتى داخل الدول المسلمة . وقد وصلت للملوك اوربا الذين كانوا يحكمون ذلك الوقت باسم الكنيسة اخبار مفادها وجود دوله مسيحية في شرق افريقيا الا وهي الحبشة . فعملوا للإتصال بها لتطويق الاسلام والقضاء على مصادر القوة الاقتصادية والعسكرية للمسلمين . لهذا فهم محتارون اليوم لماذا ظلت جذوة الاسلام باقية تتوهج رغم انهم يضربون حصارا قويا حول الدول الاسلاميه لقد خرجوا يحاربون الاسلام في افريقيا وفي مواطن اخرى كثيره فاذا هو يطل في عقر دارهم - روما - قويا شامخا ^(١٣) .

في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي اتصل ملوك اوربا حماة المسيحية (المسيحية في ذلك الوقت وحاليا كما نعلم مجرد اسم على غير مسمى . وهي مسخ مشوه بعيدة كل البعد عن رسالة السيد المسيح على نبينا وعليه السلام بملك الحبشه لتطويق الدول الاسلاميه كما ذكرنا . والقضاء على مصدر قوتها المتمثلة في التجارة برا وبحرا . خاصة مع الشرق الاقصى وسواحل افريقيا . والسيطرة على الطرق البحرية شرايين هذه التجارة - هذا العمل نفسه هو الذي يهلل له للأسف كتابنا حتى اليوم ولكن تحت اسم فتح الطريق امام التجارة الدولية - ومد جسور الاتصال بين الشرق والغرب . ولم يدركو ان الامر لم يكن سوى حرب اقتصادية مخططة سلفا ضد الاسلام والمسلمين .

كانت رحلات بارثولومودياز وفاسكو دى جاما الذي وصل الى الامارات العربية المسلمة في شرق افريقيا ثم الي الهند وحملات شركة الهند الغربية

التي انشأتها بريطانيا فيما بعد . وغزت بها منطقة الخليج واحرقت المراكز التجارية الهامة في رأس الخيمة^(١٤) وغيرها . كلها تنفيذا لاستراتيجيه موحده هدفها ضرب المسلمين في مقتل بالقضاء على احتكارهم للتجارة الدولية في ذلك الوقت . ومن ثم تركيع قوتهم المادية والعسكرية . الملك البرتغالي يوحنا والد الامير هنري الذي عرف في كتب التاريخ بهنري الملاح صرح في ذلك الوقت بان الميدان الحقيقي الذي يكسب فيه افراد بيته الفخار والمجد هو القتال ضد المسلمين في المغرب شمال افريقيا . وانه سيتمنح وسام السيد الاعظم - اعلى وسام في بلاده - لمن يحارب في هذا الميدان . وخلفه ابنه هنري الملاح (حكم البرتغال ١٣٩٤ / ١٤٦٠ م) وتعتبره معظم كتب التاريخ والجغرافيا التي تدرس لابناء المسلمين رائد الكشوف الجغرافيه . ومهد طرق الملاحه البحرية . هنري هذا هو الذي وضع نصب عينيه هدف الوصول الى مملكة غانا اقدم مملكة اسلامية في غرب افريقيا . لمحاصرتها وقطع طرق الاتصال بينها وبين البلدان الاسلامية . ومن ثم نشر المسيحية بين ربوعها . والانطلاق منها الى بقية غرب افريقيا بالاضافة الى الاستيلاء على ثروتها الطائلة لتمويل حربه ضد المسلمين . وعمل هنري الملاح للاتصال بالحبشة المسيحية وعقد تحالفا لتطويق بلاد المسلمين . ومنعهم من الوصول الى منتجات الشرق التي تدر عليهم ارباحا طائلة من احتكار سفن المسلمين لعمليات النقل البحري واسواق اوربا التجارية اضافة الى المكوس التي يجبونها .

وقد اشتركت البرتغال بالفعل مع الحبشة في الحرب ضد المسلمين . وارسلت قوه بقيادة احد ابناء فاسكو دي جاما . وكان يقود الجيش الاسلامي البطل الصومالي محمد جراني فقد كان القرن الافريقي موطننا لعدد من الامارات

الاسلامية ، وكانت تمتد حتى حلق الهضبة الحبشية وتحيط بها حتى اطلق عليها (امارات الطراز الاسلاميه) ^(١٥) لانها كانت تشبه الطراز المحيط بالثوب تلك المعركة قد تكون اول حرب علنيه مكشوفه بين المسيحية والإسلام في افريقيا . وفي سنة ١٥٠٥م ارسلت لشبونه اسطولا عسكريا من ٢٣ سفينه بقيادة فرانسيسكو دي الميدا للقضاء على نفوذ المسلمين في شرق افريقيا . . خاصة في المناطق التجارية والاستراتيجيه . فاستولت قواته على سفالة وكلوة ومبسا . وبعد ان نهبوا اشعلوا فيها النيران فأنت على كل شئ . . وقد كتب حاكم هذه المدينه يصف كيف وجدوها بعد عودتهم اليها الى زميله حاكم مالندي يقول (لم يتركوا فيها كائناً حياً لا رجل ولا امرأة لا صغيرا ولا كبيرا حتى الاطفال كل الذين فشلوا في الهرب قتلوا او حرقوا) .

وواصل البرتغاليون (الذين كانوا يملكون اقوى قوة بحرية في اوروبا في ذلك الوقت) حملتهم ضد الوجود الاسلامي في افريقيا فارسلوا في سنة ١٥٠٦م اسطولا ثانيا من اربعين سفينه الى شرق افريقيا . مركزين على تلك المنطقة لادراكهم ان السيطرة عليها يعني عزل واضعاف مناطق اخرى في غرب ووسط القارة ، فاستولوا على لامو وعلى جزيرة سوقطره واحتلوا عام ١٥٠٧م موزمبيق . واقاموا فيها اول كنيسه في المنطقة . وبعد ان سيطروا على الساحل الشرقي لافريقيا . واتجهوا الى ساحل شبه الجزيرة العربية . فاذا كانت افريقيا هدفهم التنصيري فان محاصرة المسلمين في شبه الجزيرة العربية وقطع الاتصال بينهم وبين مواطن الاسلام في افريقيا سيخدم هدفهم الى حد كبير

(١٥) د/ شوقي الجمل تاريخ كشف افريقيا مصدر سابق ص ١٣٣ .

(١٦) المرجع السابق / في القرن الثالث الهجري قامت سبع امارات اسلاميه في الجانب الشرقي والجنوبي من هضبة الحبشة هي

امارات (شوا / اوقات / دوارو / اريجيتي / هذيه / شرخا / دارة / وفي العصور المتأخرة - امارتا عدل وهرر) سيد

عبدالمجيد بكر - الاقليات المسلمة في افريقيا ص ٥٣ .

هاجم البرتغاليون مسقط وهرمز وعدن وكانت معركة ديو عام ١٥٠٩م مع الممالك الذين كان لهم النفوذ في الحجاز ومصر والشام هي المعركة الفاصلة . خرجت فيها السيادة على المحيط الهندي والطرق المؤدية اليه من ايدي المسلمين الذين حرم عليهم بعد ذلك القيام بأي نشاط تجاري بحري حر في هذه المياه التي كانت لقرون حكرا عليهم .

ضربت البرتغال وبعدها بريطانيا وفرنسا حصارا قويا على البحار الداخلية التي كان يسيطر عليها المسلمون - الخليج والبحر الاحمر وبحر العرب^(١٧) بعد ان طردوهم من المحيط الهندي . وقلصوا نشاطهم في البحر الابيض المتوسط . فكان ذلك بمثابة حصار اقتصادي . وعزلوا معظم البعثات التي كانت تعمل على نشر الاسلام في افريقيا . وبدأوا في تصفيتهم تماما مثلما يحدث حاليا بالاساليب العصرية الحديثه من خلال الدسائس السياسية وتلفيق تهم اثاره الاضطرابات ضدهم .

اول كنيسة اقيمت في غرب افريقيا في عام ١٤٨٤م عند مصب نهر الكنغو اقامها اول منصر برتغالي يهبط تلك المنطقة . وهو المستكشف ديجو كام^(١٨) الذي وجد هناك مملكة عاصمتها امباترا ، وفقا لحظة المنصرين والمستعمرين الغربيين الذين حرصوا على العمل لالغاء الماضي من ذاكرة الشعوب التي يستعمرونها . . . وفصلها عن ماضيها حتى لا تستلهم موروثها الحضاري والثقافي في معركة الصراع مع القيم والمفاهيم الدخيلة . عمد البرتغاليون لمسح اسم امباترا من الخريطة فاطلقوا اسم ساوسلفادور عليها مثلما استبدل البلجيكي اسم مدينة حميد المرجبي باستانلي فيل .

(١٧) د / شرقي الجبل تاريخ كشف افريقيا ص ١٧٦ .

(١٨) المصدر السابق ص ١٧٧ .

الدول الاوربيه فرنسا وانجلترا والمانيا والنمسا وبريطانيا عقدت في ١٨٧٦/٩/١٢م مؤتمرها الشهير الذي عرف بمؤتمر بروكسل . الذي دعا له ليوبولد ملك بلجيكا . وفيه تم تكوين شعبه اطلقوا عليها الشعبه الدوليه لكشف افريقيا وادخال الحضاره فيها وهذا مسمى خادع تماما مثل المسميات التي تعمل تحتها منظمات التنصير الحاليه .

عن هذه الشعبه تفرعت لجان في كل واحده من هذه الدول تولت ارسال بعثات التنصير والاستكشاف الى افريقيا بطريقه منظمه وجماعيه .. بعد ان كانت تلك الدول تعمل على اسس فرديه .

فقد اصدر البرلمان الانجليزي مثلا عام ١٦٤٩ م قراراً انشئ بموجبه (هيئه لنشر المسيحيه في انجلترا الجديده أي في المناطق التي استعمرها الانجليز) . على مر التاريخ كان المستكشفون والحكام الذين يرسلون لهذه المستعمرات يحصلون اولاً على مباركة الكنيسه او ينضمون الى الجمعيات التنصيرييه . فالمستكشف البريطاني ديفد لفنجستون مثلا انضم عام ١٨٣٨م الى جمعيه لندن التنصيرييه قبل ان يأتي الى افريقيا ، وغردون باشا قبل ان يأتي الى السودان كان في القدس يجري ابحاثا لا هوتيه .

اجمعت الكتب الاوربيه التنصيرييه الاستعماريه زورا على ان افريقيا لم تكن على سطح البسيطة الا يوم ان دبت عليها اقدام الاوربيين ، وكأن بدء خلقها يوم عرفوها ، وان تاريخها هو تاريخهم وحضارتها من غرس ايديهم فهي في كتبهم القارة المظلمه قبل دخولهم لها ، وغالوا في تصوير ظلمتها وهمجيتها حتى دمغوها بتلك الصفات واقروها في الازهان تحت اسم (القارة المظلمه) .

فهم في تعرضهم للاسلام وحضارته في افريقيا يتعاملون عليه جهلا وحقدا ويتعمدون طمس معالم تاريخ القارة الاسلامي في الوقت الذي يغرسون فيه مللهم ونحلهم ولغتهم بالقسر ، ويقول جانها ينزجون في كتابه (الانسان . . . عرض للثقافه الافريقيه الحديثه) ان الثقافه الافريقيه الحديثه تقوم على

دعامتين دعامة اوروبيه يعرفها القارئ دون صعوبه ... والدعامه الثانيه هي التقاليد الافريقيه وقد تكون التقاليد الافريقيه . كما تبدو في ضو الثقافه الافريقيه الحديثه اسطوره ايضا) فحقد هذا الكاتب الاوربي جعله يتجاهل الاسلام تماما .

ولكن الحقيقه تقول انه عندما توجه الاسلام الى افريقيا لم ينظر اليها على انها ارض بكر لا ستنزافها بل لتعميرها . ولم تكن عينه على انسان القاره لا سترقاؤه بل لتحريره وهدايته . فتاريخ الاسلام في افريقيا هو نفسه التاريخ الحضاري الناصع لهذه القاره ... فهي بالاسلام افتتحت لنفسها صفحات التاريخ وسارت في موكب اعظم حضاره عرفتھا الانسانيه حضاره حكمت شرع الله في امورها فاعزها الله .

وهذا ليس تعصبا وانما هو حق يقرره التاريخ والواقع والمنصفون من الكتاب فيقول . الكاتب الفرنسي جويلي Gouilly في كتابه L'Islam Dans L, Afrique Occidental. « ان العصر التاريخي لافريقيا السوداء لم يبدأ الا منذ ظهور الاسلام وانه بالاسلام وحضارته ولغته تقدم السود وتطوروا وبلغوا شأوا كبيرا في المدينه » ويقصد بالعصر التاريخي ازدهار الحضاره الافريقيه القوميه الاسلاميه ويقول القصص دين استانلي (لا يمكن ان ننسى ان الاسلام هو الديانه الساميه الوحيده التي أدت الى تقدم وتطور قاره افريقيا) .

ويقول الرحالة أم . بارك (M . Bark) (لقد عمل الاسلام على تطوير بلاد الزوج ولا يزال يعمل) . ويقول : ار . كويلاند (R . Kobland) في كتابه (شرق افريقيا وغزواتها) الصادر في لندن عام ١٩٣٨م « اننا يجب ان لا نندesh لما يورده الرحالة الغربيون عن مشاهداتهم لمظاهر الحضاره التي نقلها العرب (الكتابات الغربيه تذكر كلمه العرب باعتبارها مرادفه لكلمه المسلمين) لشرق افريقيا فالعرب كانوا في ذلك الوقت حملة لواء حضاره وان مدارس القاهره وبغداد وتونس كانت حتى القرن الثالث عشر الميلادي تفوق

تلك في اكسفورد والتي في اي مدينه مسيحية اخرى .

وقال دافد سون (Davidson) (ان حضارة غانا وهي اول مملكة قومية في غرب افريقيا اعتنقت الاسلام في القرن الاول الهجري (السابع الميلادي) وكان موقعها شمال غانا الحالية التي سميت تيمنا باسمها في غرب افريقيا كانت تفوق حضارة الانجلو ساكسون زمن وليم الفاتح في القرن الحادي عشر الميلادي) .

اعتنقت غانا الاسلام في القرن الاول الهجري (السابع الميلادي) وكان موقعها شمال غانا الحالية التي سميت تيمنا باسمها في غرب افريقيا . كانت حضارتها تفوق حضارة الانجلوساكسون زمن وليم الفاتح في القرن الحادي عشر الميلادي . وكانت كلمة مسلم تدل في غرب افريقيا على ان صاحبها منزله عن فعل السوء . وان من يريد من السكان ان يدفع عن نفسه تهمة توجه اليه كان يقول (انا مسلم) فترفع عنه التهمة مباشرة لان الجميع متأكدون ان المسلم لا يمكن ان يفعل شرا (١٩) .

وقد سبق المسلمون الاوربيين في الكتابه عن افريقيا بحوالي ثمانية قرون ، فقد كتب المسعودي عن افريقيا في القرن العاشر الميلادي (عام ٩٥٦ ميلاديه) . ومن كل قرن بعد ذلك كان هناك المؤرخون والرحالة المسلمون الذين كتبوا ووصفوا افريقيا من خلال رحلاتهم ورصدتهم لحضارتها وتطورها . منهم ابن حوقل (٩٦٨م) والبكري (١٠٩٤م) والادريسي (١١٥٤م) وياقوت الحموي (١٢٢٩م) وابن ابي زرع (١٣٢٦م) وابن بطوطه (١٣٦٩م) وابن كثير (١٣٧٢م) وابن خلدون (١٤٠٥م) .

وفي القرن الخامس عشر الميلادي ايضا ارخ لافريقيا القلقشندي والمقرزي وابن حجر ، وفي القرن السادس عشر ارخ السيوطي وحسن بن الوزان المعروف

باسم (ليو الافريقي) بينما لم تظهر الكتابات الاوربيه عن افريقيا الا في القرن الثامن عشر . وكانت بمثابة تمهيد للحركة الاستعمارية . وتواكبت مع هذه الحركة وكثرت خلالها لاهداف تتعلق بطمس التاريخ الاسلامي الحضاري لافريقيا . والفرض القسري لمنهج وديانة واسلوب حياة المستعمر . لم يكن للاسلام سبيل واحد فقط ولم يكن تقدمه ودخوله افريقيا شمالا وغربا وشرقا وجنوبا من مدخل واحد . بل كانت وما تزال له عدة سبل ومدخل . فتارة مع الركب الدعاة وتارة مع قافلة تجارية وثالثة مع صحبة الفاتحين ورابعة مع هجرة تنتجع الامن او كلاً او الاستقرار وخامسة مع وفد الحجيج غدوة ورواحا .

ان الاسلام عرف طريقه الى غرب افريقيا في القرن السابع الميلادي (القرن الاول الهجري) . وليس في القرن الحادي عشر الميلادي على ايدي دولة المرابطين كما هو متواتر لدى غالبية المؤرخين . وقد اشار احمد بابا مؤرخ دولة سنغاي الى وجود ١٢ مسجدا في مدينة غانا وهي حاضره اول الممالك الاسلاميه الكبرى في افريقيا حوالي عام ٦٠ هجرية (٦٧٩ م) . ولكن المرابطين كان لهم دور رئيس في التاريخ الاسلامي لهذه المنطقة ، ليس فقط في نشر الاسلام بين الوثنيين بل ايضا في اصلاح عقيدة المسلمين الافارقة الذين اعتنقوا الاسلام ولم يلتزموا باحكامه .

وقد اورد المؤرخ المسلم ابو عبيد الله البكري (١٠٢٨ - ١٠٩٤ م) في كتابه (المسالك والممالك) عن رحلته الى منطقة غرب افريقيا انه يندر ان توجد مدينه من مصب نهر السنغال الى لاغوس لا تكون الا وبها الاثمة والمؤذنين . وفيها فقهاء وحملة علم وقد اشتهر سلاطين مملكة مالي ١٢٣٨ - ١٤٨١ م بالحرص على بناء المساجد والاعتناء بها . بل كان السلطان منسا موسى اعظم سلاطين هذه الامبراطوريه (١٣٠٧ - ١٢٣٢ م) يبني مسجدا في كل مدينه

تذكره فيها صلاة الجمعة^(٢٠) وتذكر بعض الروايات وجود (٤٢٠٠ عالم) مسلم في مدينة جنى^(٢١) مما يدل على سعة انتشار الاسلام في هذه البلاد .

واليوم في واحد من اعرق مواطن الاسلام - غرب افريقيا - اكتمل بناء اكبر كنيسة في تاريخ المسيحية والعالم . ترتفع قبتها ٢٢٥ قدما بزيادة مائة قدم عن كنيسة روما^(٢٢) التي تعتبر معلما دينيا في العالم المسيحي ، هذه الكنيسة اقيمت في ساحل العاج . البلد الذي يشكل المسلمون فيه حاليا اكثر من ٦٠ ٪ من عدد سكانه البالغ عددهم عشرة ملايين نسمة . اي ستة ملايين نسمة بينما لا يزيد عدد المسيحيين فيه عن مليون نسمة والباقيون وثنيون .

هو فيه بوانيه ٨٣ عاما رئيس ساحل العاج الذي يطلق عليه الغرب لقب حكيم حكماء افريقيا . هو الذي سعى لبناء هذه الكنيسة . ولقد اعد اعداداً خاصا منذ صغره للقيام بهذه المهمة ، استقطبه المنصرون عندما كان طفلا صغيرا يتيما معدما . فادخلوه المسيحية وتعهدوا رعايته فكان عند حسن ظنهم ، فقد قام بتخصيص ١٦ كيلو مترا مربعا في مسقط رأسه ياموسوكرو . ومائتي مليون دولار لبناء هذه الكنيسة التي قال علنا انه (يريد لها حصنا في وجه المد الاسلامي في بلاده ... ومركزا يحج اليه كاثوليك افريقيا البالغ عددهم ٧٣ مليون) ويتم ذلك في بلد عجز عن تسديد ديونه الخارجية البالغه اكثر من ثمانية مليارات دولار ، وفيه يمشي الفقر والجوع والتخلف على اقدام بشرية .

من اين لهوفيه بوانيه بهذا المبلغ الضخم ؟ لقد قال انه من حسابه الخاص ، وهو كلام لا يقنع احداً حتى ان احد كبار كتاب صحيفة التايمز البريطانية (برنارد ليفن) سخر من ذلك قائلا (طالما ان المشروع يحتاج الى (٧٠٠.٠٠٠) طن

(٢٠) د / حسن عيسى عبدالظاهر - الدعوة الإسلامية في غرب افريقيا - منشورات جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية -

الرياض ص ١٠١ .

(٢١) المصدر السابق ص ١٠٣ .

من الرخام الذي قطعاً لا ينمو في غابات ساحل العاج فلابد للمرء ان يتساءل من اين لهوفيه بذلك المبلغ ؟ ويضيف هناك فقط ثلاثة مصادر محتمله .

(فاما ان تكون عمته الزنجيه العجوز قد تركته له في وصيتها ، واما ان يكون المبلغ سقط عن ظهر لوري فالتقطه . بوانيه واما انه كما يقال في افريقيا في مثل هذه الحالات (عمل مثل موبوتو^(٢٣) اي نقل دخل بلاده القومي الى مكان آمن - ربما الى بنوك امارة ليتنشتاين - لحمايتها من خطر الحريق !) .

لكن برنارد ليفن الكاتب اليهودي نسي او تجاهل عمدا مصدرا رابعا هو اقوى احتمالا واكبر امكانات وهو الفاتيكان الجهة التي يهتمها بناء هذه الكنيسة الضخمة في افريقيا بعد ان اعلنت ان هدف النصرانية في هذا القرن هو تنصير افريقيا بحلول عام الفين . فانطلقوا باثارة الاضطرابات والخلاقات الداخليه والحدوديه بين الدول المسلمة في شمال افريقيا لشغل المسلمين بانفسهم . وكف انظارهم عما يجري حولهم وكشفوا الجهود ضد الاسلام والمسلمين في وسط القارة وجنوبها باثارة الفتن والنعرات وعلى اطرافها في الغرب والشرق وركزوا حملات التنصير على الاطراف الجنوبية لشمال افريقيا او ما نريد تسميته هنا بخط المواجهة وسط اللاجئين الفقراء في المخيمات .

كما في جنوب السودان والسنغال وموريتانيا لدفع خط المواجهة الذي يمتد من شرقي افريقيا الى غربها بعرض حزام السافانا الى اقصى نقطة ممكنه شمالا .

ويقود هذا الهجوم حاليا جيوش من المنصرين يعملون تحت غطاء تقديم الاغاثة وخدمة التنمية . بتوجيه من بابا الفاتيكان شخصا . خاصة في غرب

(٢٢) برنارد ليفن - جريدة التايمز البريطانية صفحة الرأي بتاريخ ١١/٩/١٩٨٩م .

(٢٣) موبوتو سيسي سيكو دكتاتور زائير وصديق اسرائيل تولى السلطة عام ١٩٦٥م في انقلاب عسكري وحتى عام ١٩٩٠م .

لم تبني حكومته مستشفى واحدا يخصص ٣٪ من ميزانية بلاده للتعليم و٧٣٪ لدعم مؤسسات حكومته السياسية العسكرية . بلغت ثروته ٦ ملايين دولار وله حوالي ١٢ قصرا في بلجيكا وفرنسا وقلعة في اسبانيا وفيلا بها ٣٢ غرفة

نوم في سويسرا ك تايمز ٤/٢١/١٩٩٠م .

وسط وجنوب القارة حيث قام بعدة زيارات مكوكيه ^(٢٤) الى هناك . ومثله الرئيس الامريكى الاسبق جيمى كارتر الذى ما ينفك يتردد على شرق افريقيا (منطقة القرن الافريقى رأس الحربه الذى يراى توجيهه الى قلب العالم الاسلامى) لتحقيق هدف المنصرين الاوائل فى طرد الاسلام من افريقيا ومحاصرته فى جزيرة العرب .

ألبنى ملكة الحبشة المسيحية القديمه كتبت فى القرن الخامس عشر من الميلاد لعمانويل ملك البرتغال الذى كان يخوض حربا صليبيه شرسه ضد المسلمين ، تحرضه وتوازره فى رسالة مشهوره جاء فيها :

(السلام على عمانويل سيد البحر وقاهر المسلمين القساة الكفرة . . نحن على استعداد لمقاومة الكفرة بارسال اكبر عدد من جنودنا فى البحر الاحمر الى مكة أو جزيرة باب المندب . . . وإذا اردتم نسيروها الى مكة أو الطور (القدس) للقضاء على جرثومة الكفر) ^(٢٥) .

تغيرت الشخصيات والزمان لكن المكان والهدف مازال واحدا . فبابا الفاتيكان وكارتر يعملان لنفس الهدف . وقد بدأ الاخير استراتيجيه بعيدة المدى فاقام تحت اشراف الجبهة الشعبيه بقيادة اسياى افوركي فى ارتريا - حظيرة توليد - تساق اليها بنات ونساء المسلمين قسراً لتضع الحوامل حملهن فى الحظيرة ثم يطردن الى اهلهن . . ويتولى مقعدو الحرب والمعوقون تحميل الاخرىات ضمن المشروع المسمى الكوكب الاحمر ^(٢٦) لانتاج جيل يربى تربية نصرانيه خالصه .

ولأن الامر مستعجل اذ يراى لافريقيا ان تدخل جميعها الى حظيرة النصرانية

(٢٤) يوالى بابا الفاتيكان زيارات منتظمة لهذه المنطقة للاشراف على المشروع التنصيري وتشجيعه وكانت اخر زيارته فى

الاسبوع الاخير من شهر يناير ١٩٩٣م حيث زار غينيا بيساو ، بوركينا فاسو ، تشاد ، مالي ، جزير كيب فيرد والسودان

(٢٥) معمره شاكى - العالم الاسلامى ومحاولة السيطرة عليه - المكتب الاسلامى - بيروت ١٩٨٤م ص ٦٤ .

بحلول عام الفين ، فان بناء اكبر كنيسة في العالم على انقاض اكبر مملكتين اسلاميتين - غانا ومالي - في افريقيا جنوب الصحراء لم يستغرق سوى ثلاث سنوات فقط رغم ان بناء كنيسة روما استغرق مائة عام^(٢٧) .

الجمعية الدولية للاسلام والطب كشفت في احصائيه حديثه اوردها وكالة الانباء الاسلاميه (اينبا) يوم ٢٥/٩/١٩٨٩م ان ٣٥ مليار دولار تم رصدها لتنصير افريقيا . وجند لهذا الهدف ١١٢ ألف منصر لتنفيذ هذه الخطة . وواضحت الاحصائية ان المنصرين يستخدمون وسائل شتى منها التأثير الاقتصادي وتقديم الخدمات الطبيه والتعليميه . مجلة المجتمع الكويتيه ذكرت في مقال مطول بتاريخ ١٥ رمضان ١٤٠٢هـ ان هناك ستة ملايين منصر يعاونون المنصرين المتفرغين ، وان عدد المعاهد التعليميه التي تديرها الكنائس في افريقيا يزيد عن ١٢٠ ألف معهد . وألفي روضه اطفال - وللتنصير اكثر من خمسمائة جامعة وكلية ومعهد في العالم تحت اشراف المنصرين يرسلون اليها النابغين من ابناء المسلمين وغيرهم لصباغتهم كما يريدون .

اما احدث احصائية عن التنصير فقد كانت تلك التي نشرتها (المجلة الدولية لابعاث التنصير) التي تصدر في امريكا . وجاء فيها ان مجموع التبرعات لاجراض كنسية بلغت عام ١٩٨٩م ١٥١ مليار دولار امريكي وان عدد المجلات والنشرات الدوريه المسيحيه التي توزع في العالم تبلغ ٢٢٧٠٠٠ مطبوعة وانه قد وزع من الانجيل في نفس العام ٧٢ مليون و ٥٥٢ ألف نسخة .

وتحدد الاحصائية عدد اجهزة الكمبيوتر التي تستغلها المنظمات المسيحيه

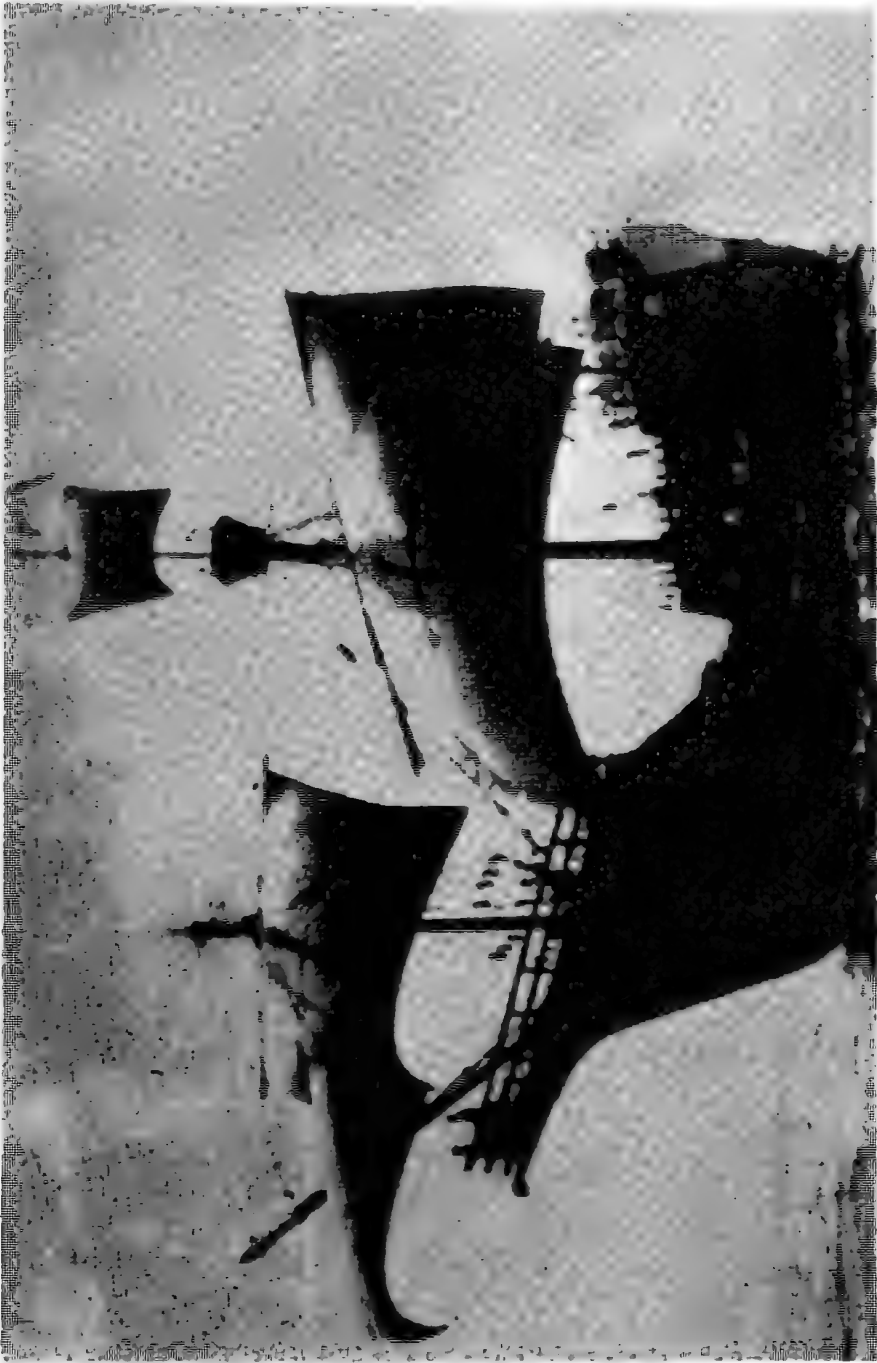
(٢٦) جريدة المسلمون العدد ٢١٤ بتاريخ ١٠ - ١٦/٣/١٩٨٩م ص ٣ (خطف ١٦ الاف مسلمة الهجين ٢٥٠٠ طفلا ترى كم بلغ العدد

اليوم ؟) يشرف كارتير على مشروع الكوكب الاحمر لاجباب اطفال ينشأون في حظيرة كبيرة على المسيحية - ويقود

عمليات وساطة مشبوهة في القرن الافريقي .

(٢٧) برنارد لفين - مصدر سابق .

لخدمة التنصير في تخطيط برامجها وتنفيذها بـ ٤٥ مليون جهاز وان محطات الاذاعة والتلفزيون المسيحية في العالم تبلغ نحو ١٩٠٠ محطة وان عدد المنصرين المحليين الذين ينتمون الى الدول التي يعملون فيها يبلغ ٣ ملايين و ٨٦٥ ألف منصر^(٢٨).



تموزج صمم في اسبانيا لسفينه كريستوفر كولمبس كانت ترفع الصليب شعارها في رحلاتها الاستكشافيه نقلاً عن الاسوشيتد برس الامريكية .

الفصل الثاني

دول وحضارات إسلامية
في حزام المواجهة

دول وحضارات إسلامية في منطقة جزام المواجهة

(١) امبراطورية غانا

المسلمون الذين ينقبون في تاريخ افريقيا القديم يكتشفون حقائق ومعلومات مذهلة لا عن افريقيا تلك القارة التي مازال تاريخها القديم مجهولا وإنما عن انفسهم ايضا .

والمسلمون وغير المسلمين من ابناء افريقيا جنوب الصحراء لو قرأوا التاريخ القديم لتلك القارة من منابعه الصافية الامينة التي لم تشبها اهواء واغراض لعقدت الدهشة السنتهم .

فالتاريخ الذي ننقله ونتدارسه ونعلمه ابناءنا والمفاهيم التي تتداولها ونخطها في كتاباتنا ونقيم علاقتنا على ضوءها - نحن المسلمين مع تلك المنطقة - استقيناها ومازلنا نتلقاها من المصادر الغربية عموما والاوربية بوجه خاص . لا من افريقيا مباشرة ولا من المصادر الاصلية التي كتبها المؤرخون والرحالة المسلمون . فاعجب لهذا الادراك القاصر والفهم الملتوي الذي يسيطر علينا مسلمي اليوم ويوجه حياتنا

لقد جمعت اوربا معارفها عن دول افريقيا في القرنين الماضيين ^(١) من التراث الاسلامي الذي وجدته في المكتبات والمدارس الاسلامية في كل من شبه جزيرة ايبيريا وجزر البحر الابيض المتوسط وما وصل اليها عن طريق التجار العرب والمسلمين الذين كانوا يجوبون شواطئ اوربا وهي في عصورها الوسطى المعروفة في تاريخ اوربا بعصور الجهل والتخلف حتى اطلق عليها اسم « عصور الظلام » فجننا نحن المسلمين الذين ننقل دون تبصر فاطلقنا نفس التسمية على الحقب التاريخية التي تقابل عندنا عصور الظلام في اوربا رغم انها من ازهى واعظم

(١) المعلومات الاساسية عن امبراطورية غانا وبلاد السودان تعود الى ما كتبه الرحالة والمؤرخون والجغرافيون المسلمون فقد زار ابن حوقل امبراطورية غانا الاسلامية في القرن العاشر الميلادي وابن بطوطة في القرن الرابع عشر . د/ابراهيم طرخان امبراطورية غانا الاسلامية ص ٩ .

المراحل في تاريخ المسلمين .

ذلك التراث كان هو العمود الفقري لمدرسة الخرائط التي اقيمت في جزيرة ميورقه ^(٢) واعتمد العاملون فيها من الاوربيين على ما دونه الرحالة والجغرافيون والمؤرخون المسلمون من امثال المسعودي في النصف الاول من القرن العاشر الميلادي وابن حوقل الذي جاب القارة الافريقية من الشرق الى الغرب في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي . والبكري في القرن الحادي عشر والادريسي وابن بطوطه وابن خلدون والسعدي وحسن ابن الوزان المعروف بـ (ليو الافريقي) وغيرهم هؤلاء المؤرخون والرحالة الذين عرفوا العالم بافريقيا القديمة وسجلت مؤلفاتهم للافارقة تاريخهم القديم وحفظت لهم تراثهم لان المسلمين هم الذين نقلوا لغة الكتابه التي بها تدون المعلومات الى افريقيا جنوب الصحراء وبعيدا عن السواحل قبل القرن العاشر الميلادي وكانت هي اللغة العربية .

عن مؤرخي المسلمين عرف المهتمون بالتاريخ ودراسته ان ممالك ودولا قامت في وسط افريقيا التي كانت معروفه ببلاد السودان . وهو المصطلح الذي اطلقه مؤرخو المسلمين وما زال متداولاً على منطقة واسعه في افريقيا تنحصر بين الصحراء في الشمال والغابات الاستوائية في الجنوب ، وتمتد شرقاً عبر دولة السودان الحالية الى مرتفعات الحبشة ، وغرباً الى المحيط الاطلسي .

وفي هذه المنطقة قامت امبراطورية غانا اول دولة افريقيه استكملت المقومات الاساسيه للدولة في القرن الميلادي الاول وبلغت ذروة مجدها عندما تحولت للاسلام بين القرن السابع ومنتصف القرن الحادي عشر الميلادي ^(٣) . ويورد دافدسون (Davidson) في كتابه (صحوة الافارقة) ان حضارة غانا كانت تفوق

(٢) المصدر السابق ص ١١ وعنه اخذت معظم المعلومات الواردة في هذا الفصل .

(٣) المصدر السابق ص ١٥ .

حضارة الانجلوساكسون زمن وليم الفاتح في القرن الحادي عشر^(٤) .

وكلمة غانا تعني (كما يروي المؤرخ الغيني جبريل نيان) تعني القيادة العسكرية ثم صارت تعني العاصمة مركز القيادة واتسع المدلول فصار يطلق على الامبراطورية كلها .

ولا احد يعرف بالضبط مدى اتساع امبراطورية غانا . وان كان يظن انها ربما تكون قد امتدت من ناحية الغرب الى اعالي نهر السنغال وفرعه باول ومن الشرق الى قرب مدينة تمبكتو الحالية . والى اعالي نهر النيجر ومنطقة الذهب في ونقاره غربا . ويحتمل انها وصلت الى المشارف الشمالية لجمهورية غانا الحديثة التي اتخذت اسمها تيمنا بتلك الامبراطورية والى الغابات الاستوائية جنوبا .

وتختلف الروايات عن اصل سكان هذه الامبراطورية وفي بعض وثائق قبائل الهوسا ان اهل غانا القدماء جاءوا من وادي دجله والفرات . اي ان لهم اصولا بابليه واشوريه قدموا الى غانا من شمال افريقيا . ويعتقد المسعودي انهم جاءوا من الحبشة . اما السعدي فيكتفي بالقول : (اننا لا نعلم اصلهم) والراجح انهم من البربر فاهل امبراطورية غانا القديمة يقولون ان اسرة بربرية كانت تحكم بلادهم منذ زمن بعيد . وقد اطلق على مؤسسي امبراطورية غانا اسم (البيض) لان لونهم كان يختلف عن لون اجسام المواطنين^(٥) . نشأت امبراطورية غانا اول ما نشأت في مدينة غانا القديمة التي اختلف المؤرخون حول تحديد موقعها . وان كانت الحفريات التي قام بها علماء اثار غربيون في الخمسينات كشفت انها تقع بالقرب من الحدود الجنوبية لجمهورية موريتانيا الحالية . ضمن اراضي جمهورية مالي الحديثة . على طريق القوافل الغربي القادم من مراکش . ويبعد الموقع عن مدينة تمبكتو بمسيرة عدة

(٤) المصدر السابق ص ١٠ .

(٥) المصدر السابق ص ٣٣ .

ايام الى الجنوب الغربي وعلى بعد حوالي الف ميل شمال جمهورية غانا الحالية و٢٠٠ ميل شمال باماكو عاصمة جمهورية مالي (٦) .

ويتفق المؤرخون المسلمون على ان امبراطورية غانا التي قامت اول امبراطورية في غرب افريقيا في القرن الاول الميلادي (حوالي ٣٠٠ ميلادية) حكمها اربعة واربعون ملكا اثنان وعشرون منهم قبل البعثة النبويه واثنان وعشرون بعدها .

ويذكر السعدي في كتابه ان اول سلطان في تلك الجهة كان يدعي قيمع . ودار امارته غانا وهي مدينه عظيمه في ارض باغن تملك فيها ١٢ ملكا قبل البعثة و٢٢ ملكا بعدها . اما صاحب الفتاش فيوضح ان عدد الذين حكموا قبل البعثة كانوا عشرين . وان قيمع ليس اسما وانما معناه ملك الذهب . واورد اسم كنسفي الذي قال ان الملك الذي عاصر الرسول (ص) اي في القرن الاول الهجري - السابع الميلادي .

عن هذا الملك اورد صاحب الكشف وصفا قد نراه بمقاييسنا الحاليه مبالغا فيه لكنه يوضح مدى مابلغته غانا من شأن وقوة وتقدم مادي وثراء حيث يقول : (ان له الف خيل مربوطه في داره ان مات واحد في صبح جئ باخر غيره قبل المساء وفي الليل كذلك . ولا ينام واحد منها الا على زريبه ويربط بحرير في عنقه وفي رجله ولا تري زبلا تحت واحد منها ، ولكل منها من الخدم ثلاثة انفس يجلسون تحته واحد يقوم بعلفه وواحد موكل على رصد وحمل زبله) .

وكانت مدينة الملك كما قال البكري تسمى الغابه . ومبانيها من الحجارة وخشب السنت . وللملك قصر وقباب ويحيط بالمدينة حائط كالسور . كان ملوك غانا الاوائل من البيض القادمين من الشمال ثم خلفهم السوننك الوطنيون الذين تولوا السلطة في نهاية القرن الثامن الميلادي باستثناء الفترة التي استولى فيها

المرابطون على عاصمة غانا (١٠٧٦م - ١٠٨٧م) . وبلغت غانا في عهد هذه الاسرة مجدها وعظمتها واتساعها .

وهناك اعتقاد خاطئ بان الاسلام دخل الى بلاد غانا القديمة على ايدي المrabطين . ويشير اكثر من مرجع الى ذلك رغم ان حكم المrabطين لدولة غانا القديمة لم يدم لاکثر من احد عشر عاما كما سبق وان اشرنا . وان بلاد غانا عرفت الاسلام واقبمت فيها المساجد وفتحت مدارس تحفيظ القرآن وتعليم اللغة العربية ، قبل حوالي قرنين من وصول المrabطين على الاقل . بل ان مملكة اوغست الاسلامية التي استولت عليها غانا عام ١٩٩٠م كانت تقع حسب رواية البكري على مسيرة شهرين من سبجلماسه ١٥ يوما من عاصمة غانا . ومكانها اليوم مدينة تجداوست ضمن جمهورية موريتانيا الحديثة قد لعبت دورا كبيرا في نشر الاسلام بين الافارقة وبلغت اوج عظمتها في القرنين التاسع والعاشر الميلادي فسبقته حركة المrabطين في الدعوة للاسلام هناك .

وكان العلماء والدعاة قد توغلوا جنوبا من مصر ومن الدولات الاسلاميه القائمة في شمال افريقيا ، بعضهم فرارا بعقيدته بعد تصاعد الخلافات السياسية وتضييق الحكام على العلماء ، وبعضهم رغبة في نشر العقيدة السمحاء وابلاغها الى من لم تصلهم . . هذا اضافة الى التجار والرحالة . فلم تكن الصحراء الكبرى عائقا وفاصلا كم صورها المؤرخون الغربيون ، ويريد سياسيوهم اليوم فرض هذا المفهوم . وانما كانت جسرا ومعبرا تدب فيه الحياه ليلا ونهارا . وتحمل القوافل اضافة للسلع التجارية على ظهورها الدعوة الى الله وتتيح تبادل المعرفة وتلاقح الثقافات .

وحتى قبل ان يدخل ملوك غانا القديمة الى الاسلام كان للمسلمين في بلاطهم ، شأن ووضوح خاص . يقدرونهم ويحترمونها ويسندون لهم الوظائف العليا والحساسة

ويطلبون مشورتهم ونصيحتهم^(٧) . وفي ذلك يقول البكري (وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يقدم عليه من المسلمين . والمسجد يقام على مقربة من مجلس حكم الملك) فهذا دليل على مدى التقدير الذي كان يحظى به المسلمون حتى ان الملك الوثني اقام لهم مسجدا في الحي الذي يضم بلاطه من المدينة ليؤدى فيه الذي يفدون عليه شعائهم .

اسند ملك غانا الوثني للمسلمين بعد تجربة وخبرة الوظائف العليا في حكومته لما تميزوا به من حسن سيرة وسلوك . فالبكري يورد في المسالك والممالك ان ترجمة الملك كانوا من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله وأكثر وزرائه . وهذه مناصب لا تسند الا لمن عرف بالامانه والكفاءة . ويقول البكري ايضا : (ان مدينة غانا مدينتان كبيرتان احدهما المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة بها ١٢ مسجدا احدها يجمعون - يصلون الجمعة - فيه . . . ولها الائمة والمؤذنين وفيها فقهاء وحملة علم وحواليها ابار عذبه ومدينة الملك على بعد ستة اميال من هذه وتسمى الغابة والمساكن بينهما متصلة) .

يورد دافدسون في كتابه (اعادة اكتشاف افريقيا القديمة Old Africa Rediscovered ان الحفريات التي قام بها عام ١٩٥١م عالمان فرنسيان كشفت عن بقايا المدينة الاسلامية او القسم الاسلامي من المدينة . ودلت الحفريات ان سكانها كانوا حوالي ٣٠ ألف نسمة . ويقول نفس المؤلف (الراجع ان هذه المدينة الاسلامية كانت مركزا للحكومة الاسلامية التي قامت في غانا في عهدها الاخير عندما اعتنق ملوك غانا الاسلام) ، ٣٠ ألف نسمة عدد ضخم اذا ما قورن بتعداد سكان مدن العالم المعروفه على قتلها في ذلك الوقت . وهو ايضا يوضح مدى اقبال الناس على الاسلام ودخوله افواجا . كما ان تقدير المسلمين وتقريبهم وتوليتهم الوظائف

(٧) د / حسن عيسى عبد الظاهر - الدعوة الاسلامية في غرب أفريقيا ص ٩٣ .

العليا دليل دامغ ينفي الادعاء الذي يزعم ان الاسلام انتشر هناك بالقوة .
 الحفريات التي اجريت كشفت عن عدد من المنازل والمساجد ووجد ٣٥ لوحا من
 الحجر الملون مكتوبا على بعضها ايات قرآنية بالخط العربي . . . اضافة الى مبنين
 كبيرين يبلغ طول احدهما ٦٦ قدما وعرضه نحو ٤٢ قدما وهو من طابقين .
 حسب الرواية التي اوردها دي لارونسيران تلوثان ملك غانا اعتنق الاسلام عام
 ٨٣٧م وشن حربا ضد جيرانه الوثنيين . واذا كانت هذه الرواية ليست دليلا على ان
 جميع ملوك غانا في ذلك القرن او قبله كانوا مسلمين فهي تؤكد ان بعضهم على
 الاقل كان قد اسلم وظل من لم يسلم وفقا لشهادة البكري التي اوردها سابقا على
 علاقة حسنة مع المسلمين .

لقد وصلت طلائع المرابطين الذين جاءوا لتصحيح العقيدة التي كانت موجوده
 من قبلهم ودفع مد الدعوه الاسلاميه الى تخوم ارجب في النصف الثاني من القرن
 الحادي عشر الميلادي . . . فاعادوا عام ١٠٥٥م مملكة اوغست الاسلاميه الى
 حظيرة الاسلام .

في عام ١٠٧٦م استولى المرابطون على مدينة غانا ، وهذا هو التاريخ الذي
 يمكن ان يؤرخ به لامبراطورية غانا الاسلاميه ، وليس لدخول الاسلام الى المنطقة .
 حيث اعتنقه عدد كبير من سكانها قبل ذلك التاريخ وبوصول المرابطين في مطلع
 الربع الاخير من القرن الحادي عشر وحتى انتهاء دولتهم اوائل القرن الثالث عشر
 الميلادي كانت حكومات غانا وجميع ملوكها من المسلمين .

كان نظام الحكم في غانا مركزيا حيث كان الملك ينظر في جميع شئون الدولة .
 وكان له مستشاروه ووزراؤه وكانت الامبراطورية مقسمه الى ولايات او ممالك .
 وكان للعاصمه ولكل ولايه خاضعه لغانا حاكم او ملك . ومن اشهر هذه الولايات
 اوكار التي تعتبر نواه امبراطوريه غانا ، وهوذ في الوسط وممالك البربر في

الشمال ورباط ، وتاكانات في الغرب ، وياماسكرو في الشرق ، وواجاد وكايناجا ويغن في الجنوب والجنوب الشرقي (٨) .

وكانت المجالس التي يعقدها الملك للنظر بنفسه في المظالم من التقاليد الراسخة في غانا ، ويصف البكري هذا المجلس بقوله (وهو - اي الملك - يجلس للناس في قبة وعلى يمينه اولاد ملوك بلده اي ملوك الاقاليم والولايات الخاضعة له ووالي المدينة حاكم العاصمة بين يدي الملك جالس على الارض وحواليه الوزراء جلوس على الارض) .

في العهد الوثني كان كبار موظفي الملك ومستشاروه ووزراؤه من المسلمين الذين كانوا يشكلون اكبر طبقه مثقفه في غانا فكان لهم دور بارز في بناء الدوله وارساء اسسها ، وقد ذكر جويلي (Gouilly) (٩) (ان العصر التاريخي لافريقيا السوداء بدأ بظهور الاسلام وان السود تقدموا وتطوروا وبلغوا شأوا عظيما من من المدينه بالاسلام وبلغته وحضارته) ، ولذلك قدم الادريسي وصفا رائعا لهيئة ركوب الملك المسلم للنظر في المظالم حيث كتب : (وهو - الملك المسلم - اعدل الناس فيما يحكى عنه ومن سيرته قربه من الناس وعدله فيهم له جملة قاده يركبون الى قصره كل يوم ، فاذا اجتمعوا اليه ركب وسار يقدمهم ويتمشى في ازقة المدينه ودائر البلد فمن كانت له مظلمة وانا به امر تصدى له فيظل حاضرا بين يديه حتى يقضي مظلمته ثم يرجع إلى قصره ويتفرق قواده ، فاذا كان بعد العصر وسكن حر الشمس ركب مرة ثانية وخرج وحواله اجناده فلا يقدر احد على قربه ولا على الوصول اليه وركوبه في كل يوم مرتين سيره معلومه) .

لقد اهتم اهل غانا بالاسلام وعملوا على نشره واصبح له اثر عظيم في

(٨) د / ابراهيم طرخان - امبراطورية غانا الاسلامية ص ٦٠ .

(٩) المصدر السابق ص ٩٠ .

حياتهم كلها حتى ان بعض العشائر كانت تختص بالعمل في الدعوة للاسلام فقط . وقد وصف الفرناطي في « تحفة الالباب » مدى محافظة اهل غانا على اداء الفروض وقد انتشرت في غانا المدن الاسلامية حتى قبل ان تصبح الدولة اسلامية ، فكانت غيارو على مقربة من نهر النيجر برسي غربها الى جانب اودغست وولاته ونيمه مراكز لنشر الدعوة الاسلامية . وكانت لغة القرآن هي لغة العبادة والكتابة الوحيدة . ثم اصبحت لغة الثقافة والتجارة والمكاتبات^(١٠) . كان في العاصمة وحدها ١٢ مسجدا قبل ان تتحول الدولة جميعها الى الاسلام . وكان كل مسجد ملحقا بمدرسة لتعليم القرآن واللغة العربية .

وعلى مشارف غانا كانت تقوم مملكة اوغست التي سبقتها الى اعتناق الاسلام . وازدهرت المملكتان المسلمتان في القرن الحادي عشر . كما قامت مملكة سلسي الاسلاميه ومملكة ماسنه في الجنوب الشرقي من غانا .

نعمت غانا بالامن والاستقرار في كنف الاسلام ويفضله وكان لها خياله يجوبون اطراف الصحراء^(١١) لحفظ الامن ، كما اشتهرت امبراطورية غانا بقوة جيشها وكثرة تعداده ، يذكر البكري (ان ملك غانا يعود جيشه الى مائتي الف منهم ازيد من اربعين الفا رماة) . وكان الجيش يتسلح بالاسلحة الحديثه من السيوف والحراب والرماح والخناجر وقد عشر في مدينة كومبي صالح عاصمة غانا على حراب وسكاكين وفؤوس وسهام ومسامير ومجموعات مختلفة من الالات والادوات الزراعيه كما عشر على مقص حديدي دقيق الصنع ربما كان هو اقدم ماعشر عليه من هذا النوع في جميع حفريات مواقع الحضارات القديمة . اضافة الى سنج (وزنات) زجاجيه واضح انها كانت تستخدم في وزن الذهب .

(١٠) د/ حسن عيسى عبدالظاهر - مصدر سابق .

(١١) المصدر السابق ص ٩٦ .

هذا التقدم الصناعي بما صاحبه من تقنيه عاليه وهذا التطور في نظم الحكم والإدارة والمعمار كان راسخا قبل اكثر من ستة قرون من عقد الدول الاوربيه كل من (فرنسا والمجلترا والنمسا وايطاليا وبلجيكا) مؤتمرا باسم مؤتمر كشف افريقيا وتحضيرها في سبتمبر ١٨٧٦م برئاسة ملك بلجيكا ليوبولد .

كانت غانا مملكة زراعيه الا ان نشاطها في انتاج الذهب . والتبادل التجاري جعل ملوكها على درجة كبيرة اصبحوا يلقبون فيها بملوك الذهب . واصبحت بلادهم تعرف ببلاد الذهب حتى ان كلا من الادريسي في « نزهة المشتاق » وابن الوردي في كتابه (تاريخ ابن الوردي) قد ذكر (انه كانت للملك غانا قطعة كبيره من الذهب كالصخرة العظيمة بها ثقب هو مرتبط فرس الملك) .

لقد كانت غانا اغنى امبراطوريات وممالك السودان الغربي بلا منازع . وكان موقع عاصمتها كومي صالِح (التي يبدو انها اصبحت العاصمة بعد مدينة غانا) على حدود الصحراء الجنوبيه مفيدا في جعلها مركز اتصال تجاري وثقافي بين شمال افريقيا ووسطها . كما ان تحكمها في طرق القوافل المؤدية الى مناجم الذهب في المنطقة الواقعة جنوب غرب غانا افادها كثيرا فاصبحت اكبر سوق تجاريه في بلاد السودان .

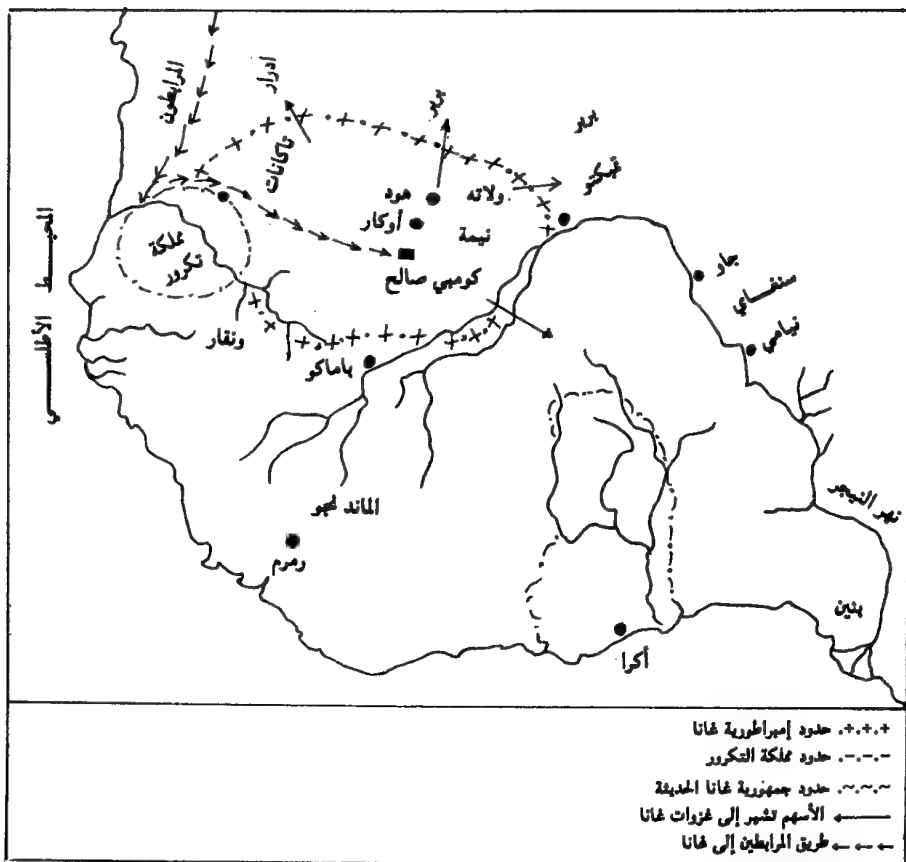
تاجرت غانا مع جميع المدن الهامة في شمال افريقيا مثل طرابلس واوجيلا وسجلماسه بل ان تلك المدن كانت ثغورا للصحراء الكبرى امدت بلاد البحر المتوسط بمنتجات غانا من الذهب والعاج والكولا والجلود والصمغ والعسل والقطن والقمح والدقيق .

ولان غانا بحكم موقعها معبراً تجارياً هاماً استطاعت ان تطور نظاما متقدما للضرائب واقامت نظاما دقيقا للجمارك التي كانت تتقاضاها على كل من التجارة الداخلية والخارجية .

ولما كانت السلطة والشرء مفسدتان كبيرتان اذا لم يكن الوازع الديني بالمستوى الذي يكبح جماحهما فقد انشغل الحكام المتأخرون في غانا بالحياة وملذاتها . وتفشت عندهم تجارة الرقيق ودخلت العادات والممارسات الضاله ففسدوا . وضعفت الدوله . وقردت اقاليمها على السلطة المركزية ، وشقت عصا الطاعه عليها . ثم ضرب الجفاف اطراف الامبراطوريه وزحف التصحر تدريجيا على مناطق شمال حوض نهر السنغال فاضطر الناس للهجرة والتفرق .

وفي مطلع القرن الثالث عشر الميلادي تعرضت غانا لغزو من قبائل الصوصو الوثنية القادمة من الجنوب . والذين استولوا على العاصمة كومبي صالح عام ١٢٠٣م ثم جاءت النهاية في منتصف نفس القرن على ايدي (ماري جاطه) مؤسس امبراطورية مالي . بعد معركة فاصلة مع الصوص عام ١٢٣٥م والذي استولى على العاصمة كومبي صالح في عام ١٢٤٠م .

ولان ماري جاطه كان مسلما فانه لم يتعقب المسلمين الذين خرجوا من غانا بعد سقوطها في ايدي الصوص . وانشأوا مدينة اسلاميه في ولايته لتظل شعله الاسلام مضيئة والله سبحانه وتعالى متم نوره ولو كره الكافرون . اختفت غانا منذ ذلك التاريخ من مسرح الاحداث السياسية . واليوم تقوم على انقاض الامبراطورية الاسلاميه جمهوريتا مالي وموريتانيا الحاليتين فتضم موريتانيا الحديثه معظم الجزء الشمالي الغربي من امبراطورية غانا القديمه . وفيه اهم مدنها العاصمة كومبي صالح وولاته ونيمه واودغست التي تحولت حاليا اما الى قرى صغيره او إلى أطلال .



إمبراطورية غانا في القرن الحادي عشر الميلادي (عن كتاب ابراهيم طرخان ص ٣٣) بتصرف

دولة مالي

في افريقيا كان الاسلام ومازال اسلاما مجاهدا ، يخوض معركة مستمرة مع اعداء الدعوة الحقّة الذين يدركون بسرعة أنها تهدد وجودهم ومصالحهم فيشنون على الاسلام وعلى المبشرين به حربا شعواء ، ويلجأون دائماً الى الحرب الاستنزافية من الداخل ، فبعد غانا تعرضت الممالك الاسلامية في حزام السافانا من المحيط الهندي الى المحيط الاطلسي لدسائس وحروب متصلة ومازالت قائمة إلى يومنا هذا .

من هذه الممالك امبراطورية مالي الاسلامية التي كافع مؤسسوها ليبقوا شعلة الاسلام التي أوقدتها غانا في غرب افريقيا مشتعلة تنير العقول وتهدي القلوب . لكن مالي نفسها آلت الى ما آلت اليه غانا ، وقامت بعدها بممالك ودويلات متفرقة في السهول الواقعة بين الصحراء الكبرى في الشمال والغابة الاستوائية في الجنوب . وغلب حب الجاه والسلطان على النفوس ، فتفشى التكالب على السلطة والاقبال على مباحج الدنيا ومغرياتها ، ولم ينته القرن التاسع عشر الا وقد سيطرت أوروبا النصرانية المسيحية على المنطقة بأكملها . . . استولت على السلطة والموارد والثروات لكن العقيدة مازالت حية تجاهد وتزداد توهجا وانتشارا .

تعد دولة مالي من أقوى وأغنى الدول التي قامت في غرب افريقيا ، ويميزها عن غيرها الدور الكبير الذي نهضت به لتوحيد القبائل الزنجية داخل وحدات وولايات أو ممالك ، وكذلك الدور البارز الذي قامت به في نشر الاسلام والدعوة له في جميع بلاد غربي افريقيا^(١) .

ويعد المستشرق دونتالديذر ظهور دولة مالي (وهي ليست مالي الحالية

(١) - د / ابراهيم على طرخان - دولة مالي الاسلامية - القاهرة - ١٩٧٣م ص ٢٥ .

وازدهارها أعظم ميزة لأعظم فترات التاريخ الافريقي تطورا وتقدما (جاء ذلك في كتابه تاريخ افريقيا جنوب الصحراء .

ولقد أسس دولة مالي قبائل الماندنغو (Mandingo) وقد سادت هذه القبائل لبضعة قرون في المنطقة الفسيحة الممتدة من نهر النيجر شرقا الى المحيط الاطلسي غربا وفي الوديان العليا لنهر السنغال ، وامتدت نحو الجنوب الى حوالي خط عرض (٩) شمالا ، والتسمية المتداولة بين قبائل الماندنغو هي الماننكا (Manenka) وقد اختلف المؤرخون في كتابة ونطق الاسم ، فكتبوه الماندنكا (Mandinka) والماندون (Mandin) وماندنغ (Mandeng) وماننج (Maning) وماندنجا (Mandenga) وهي متقاربة والاختلاف في رأينا لا يعود لتعدد الاسماء بقدر ما هو ناتج عن اختلاف النطق لدى من كتبوا فيه . وكلمة ماندي (Mandh) تتكون من مقطعين (ما) و (دي) وحرف الربط (ن) و (دي) تعنى في لغة السوننك عند أو في و (ما) السيد أي عند السيد أو في مركز اقامة السيد ، وعموما كلمة ماندي مصطلح لغوي اكثر منه جنسا فهو يطلق ويقصد به القبائل المتحدثة بلغة الماند .

والمالئك والبامباره والديولا والسوننك والبامباره او البانان هي اهم فروع الماندجو وهي التي نهضت في القرن السابع عشر الميلادي بعد زوال دولة مالي واعتبرت امتداداً لها ، كما اعتبرت اخر ممثل سياسي لدولة مالي التاريخية وذلك خلال هجمة الاستعمار الاوربي على افريقيا (٢) .

وتنتشر لغة الماندجو في العصر الحاضر في المناطق الجبلية باعالي نهر السنغال وتتركز القبائل المتكلمة بها في اقليم سانجاران ويلمبول ووادي جامبيا الادنى .

وكلمة (مالي) او (مل) وهي ماشتهرت به هذه الدولة في الكتب العربية والاجنبية هي تحريف لكلمة ماندي ، كما اشتهرت دولة مالي باسم بلاد التكرور والتكرور (٣) قد تكون احدى المدن او الممالك او الاقاليم التي خضعت لسيادة مالي .

فدولة (مالي) اشتهرت باكثر من اسم فهي دولة (الماندنغو) ودولة (مل) ، و (ملي) ثم هي (مملكة التكرور) ، وتاريخ بدء هذه الدولة غير محدد ولكن سجلها من القرن السابع الميلادي حتى بلغت ذروة مجدها خلال القرن الرابع عشر الميلادي ، وقد تداول على حكم هذه الدولة ما لا يقل عن ثمانين اسر منها اسرة كوروما (Kuruma) واسرة ديارا (Diara) واسرة موروكو (Moroco) واسرة كامارا (Kamara) واسرة باكاويكو (Bakayoko) وهي اسر لم تتوافر معلومات عنها واسرة التراورين (Taraore) وظهرت في منطقة كبرى باعالي نهر السنغال ، واتخذت من مدينة نياجاسو عاصمة لها . وتقع عند اعالي نهر باخوي احد فروع نهر السنغال .

ثم ظهرت اسرة الكونانين او الكونين (Conate) وكونت (مملكة دو) في اقليم (Douclougou) واتخذت من مدينة طابو (Tabou) عاصمة لها وظهرت بعد ذلك اسرة كيتا (Keita) وهي اهم الاسر في تاريخ دولة مالي . فهي صاحبة الفضل في تكوين دولة مترامية الاطراف ، وسلف اسرة كيتا شخص يدعى موسى ديجيو . ويقول الرحالة دولا فوس (Dola Foss) انه حكم مالي في الفترة من ١٢٠٠م حتى ١٢١٨م ، وانه من سلالة بلال الحبشي مؤذن الرسول (ص) ولكن الروايات المتواترة عن اصول

(٣) د/عبد بدوي مع حركة الاسلام في افريقيا القاهرة ١٩٧٠م ص ١٥٦ .

(٤) د/ابراهيم علي طرخان مصدر سابق ص ٣٣ .

اسرة كيتا تشير الى انها من سلالة على بن ابي طالب رضي الله عنه .
وتعرضت مالي في عهد هذه الاسر لعدد من الهجمات من جانب
سومانجورو امبراطور الصوص الوثنيين الذين قضوا على دولة غانا . وسيطروا
عليها في النهاية الى ان جاء احد احفاد هذه الاسره . وهو مسلم يدعى ماري
جاطة . وقمکن من الانتصار على امبراطورية الصوصو^(٥) واستولى على
اقاليمها ثم بعد ذلك وسع ماري جاطة من دائرة حكمه واعاد .
امبراطورية غانا بعد أن خلعها من حكم الصوصو للمسلمين . واستمرت
فتوحاته وعند وفاته عام ١٢٥٥م نتيجة تناوله طعاما فاسدا كانت دولة
مالي تمتد من بلاد الجلف غربا على المحيط الاطلسي إلى أواسط النيجر
شرقا . ومن فاتا جالون جنوبا الى كومبي صالح عاصمة غانا القديمة شمالا
وتقدر مساحة دولة ماري جاطة التي اطلق عليها اسم مالي الجنوبية مساحة
أوروبا مجتمعه وقد اتخذ من نياني عاصمة له بعد أن كانت كانجابا .
لم يكن المرابطون هم أول من أدخل الاسلام الى بلاد السودان كما هو
متواتر في القرن الحادي عشر الميلادي . بل ان الاسلام وصل الى هذه البلاد
في القرن الأول الهجري (القرن السابع الميلادي)^(٦) .
وقد أشار أحمد بابا مؤرخ دولة سنغاي الى وجود ١٢ مسجداً في غانا حوالي
عام ٦٠ هـ (٦٧٩م) كما تشير الدراسات المعروفة الى ان امبراطورية
اودغست الاسلامية التي كونها السوننك احد فروع الماندنغو قامت بدور كبير
في نشر الاسلام في القرن التاسع الميلادي .
وقد أدخل الاسلام هناك التجار المسلمون ، والدعاة الذين جاءوا من وادي

(٥) د/ عبدالرحمن زكي تاريخ الدول الاسلامية السودانية في غرب افريقيا - القاهرة ١٩٦١م ص ١٠١ .

(٦) د/ ابراهيم طرخان مصدر سابق ص ٤٧ .

النيل ومن شبه الجزيرة العربية وبلاد المغرب ، وكان للفتح الاسلامي في بلاد المغرب اثر كبير في دفع المسلمين شمالا حتى الاندلس وفرنسا وجنوبا حتى بلاد السودان . ثم جاء دور المرابطين في القرن الحادي عشر الميلادي ليقوي الاسلام بين الوثنيين بل شمل ايضا اصلاح عقيدة المسلمين الذين اعتنقوا الاسلام ولم يلتزموا بأحكامه ، وارسلوا العلماء بين قبائل اقليم (السافنا حاليا) لبث العقيدة الصحيحة ، وبفضلهم نشطت الاتصالات التجارية والثقافية بين بلاد السودان وبين العالم الاسلامي . مما اتاح الفرصة لنشر الافكار المتطورة . والمدنية الاسلامية بين الافارقة . وانشأ المرابطون مدينة (تنبكتو) على منحني نهر النيجر والتي كانت مركزا اسلاميا ثقافيا وتجاريا في بلاد السودان . وقد بلغت دولة مالي أوج نهضتها وقوتها في عهد منسا موسى (٧١٢هـ - ٧٣٨هـ) (١٣١٢هـ) (١٣٣٧م) ^(٨) وتوسعت دولته وأصبحت مساحتها تعادل مساحة أوروبا جميعها وقد حج واشتهر بالتقى والصالح .

ولعل من أبرز سمات انتشار الاسلام في بلاد السودان أنه ابتداء بالطبقات العليا والاسر الحاكمة ثم انتشر بعد ذلك بين الرعايا ، وانتشر عن طريق الدعوة والموعظة الحسنة وليس عن طريق السيف كما يزعم اعداء الاسلام . وقصة اسلام احد ملوك مالي والتي أوردتها كتابات غربيين نقلا عن الروايات العربية توضح لنا هذه الحقيقة ^(٩) . ويورد المؤرخ أبو عبدالله بن عبدالعزيز البكري (١٠٩٤م) في كتابه المسالك والممالك قصة اسلام هذا الملك فيقول . . . (عرف ملك مالي بالمسلماني ، لأن بلاده اجذبت عاما بعد

(٧) - د / عبده بدوي مصدر سابق ص ١٥٧ .

(٩) - د / ابراهيم علي طرخان مصدر سابق ص ٥٠ .

(٨) - د / عبدالرحمن زكي مصدر سابق ص ١٠٣ .

عام فاستسقوا بقرابينهم من البقر حتى كادوا يفنونها ، وكان عندهم ضيف من المسلمين يقرأ القرآن ويعلم السنة فشكا اليه الملك ماداهمهم من ذلك . فقال له (ايها الملك لو آمنت بالله تعالى واقرتت بوحدانيته وبمحمد عليه الصلاة والسلام ، واقرتت برسالته ، واعتقدت شرائع الاسلام كلها ، لرجوت لك الفرج مما أنت فيه وحل بك ، وأن تعم الرحمة أهل بلدك وأن يحسدك على ذلك من عاداك وناواك ، فلم يزل به حتى أسلم وأخلص نيته ، واقراه من كتاب الله ماتيسر عليه وعلمه من الفرائض والسنة ما لايسع جهله ، ثم أمهله الى ليلة الجمعة فأمره فتطهر فيها طهرا سابغا والبسه المسلم ثوب قطن كان عنده ، وبرزا الى ربوة من الأرض ، فقام المسلم يصلي والملك عن يمينه يأتهم به ، فصليا من الليل ماشاء الله ، والمسلم يدعو والملك يؤمن فما انفلج الصباح الا والله قد اعمهم بالسقي ، فأمر الملك بكسر الدكاكير (أي الأصنام) واخرج السحرة من بلاده ، وصح اسلامه واسلام عقبه وخاصته ، وأهل مملكته مشركون فوسموا ملكهم منذ ذلك الوقت بالمسلماني) .

وتقول رواية البكري أنها قصة اسلام أول ملوك مالي والذي اسماه المؤرخون باسم برمندانه . ولكن ابن خلدون كان اكثر دقة حين قال (ان برمندانه هذا كان أول من حج من ملوك مالي وليس أول من اسلم) ورواية البكري توضح ايضا ان الاسلام لم يكن غربيا في مالي ، عندما اسلم هذا الملك ، وتقول روايات أخرى أن مؤسس اسرة الترويين التي حكمت مالي واسمه منسانو من تراورا قد اعتنق الاسلام ، واسرة الترويين سبقت اسرة الكونانيين في حكم مالي :

وكان الماندنغو من أكثر شعوب غرب افريقيا تمسكا بالاسلام وتحمسا له . وازداد انتشاره بهم واصبح دين الدولة الرسمي ، ومن مظاهر تمسك

شعب مالي بالاسلام شدة الحرص على تعليم القرآن للصبيه ، وقد شهد ابن بطوطه خلال رحلته في مالي عام ١٣٥٢م - ١٣٥٣م كثيرا من هذه المظاهر ، منها أنه دخل على قاضي مالي يوم العيد فوجد اولاده في القيود فقال : الا تسرحهم ؟ فأجابه القاضي لا أفعل حتى يحفظوا القرآن ^(١٠) .

ومر ذات يوم وهو في مالي بشاب حسن الصورة وعليه ثياب فاخرة وفي رجليه قيد ثقيل ، فسأل مرافقه عما ارتكبه هذا الشاب من جرم فقال أنه قيد حتى ينتهي من حفظ القرآن ، وشهد ابن بطوطه صلاة الجمعة ومدى ازدحام المصلين ، كما كان علماء المسلمين يتمتعون بمكانة رفيعة لدى دولة مالي ، وأورد عبدالرحمن ابن عامر السعدي في كتابه تاريخ السودان ، انه كان يوجد في مملكة جنبي التي كان يحكمها ملك الماندنجو حوالي ٤٢٠٠ عالم . وهو مايدل دلالة واضحة على نشاط الدعوة الاسلامية . واعتنت دولة مالي ببناء المساجد حتى صار في كل مدينة مسجد أو أكثر ، وبلغ اهتمام بعض السلاطين حد الاكثار في بنائها حتى أن السلطان منسي موسى (١٣٠٧هـ - ١٣٣٢م) كان يبني مسجدا في كل مكان تدركه صلاة الجمعة فيه ، وعمرت المساجد بالمصلين ، ويقول ابن بطوطه أنه اذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الانسان الى المسجد لم يجد أين يصلي لكثرة الزحام ^(١١) .

وكانت سماحة الاسلام هي السبب الرئيسي في انتشاره بين الافارقة ، فالاسلام في ذلك الوقت انتشرين اقوى القبائل واعظمها شأنًا ، وكان بإمكانهم مقاومته بالقوة لو انه دخل اليهم بالقوة عن طريقا لغزو كما يدعي اعداء الاسلام وقد ارتفع بهم الاسلام وادى الى قيام اكبر واقوى الحضارات في

(١٠) - مصدر سابق ص ٥٨ .

(١١) د/ حسن عيسى عبدالظاهر - الدعوة الاسلامية في غرب افريقيا وقيام دولة الغراني ص ١٠١/١٠٢ .

البلاد السودان.

ولقد جاء الاسلام الى الزوج وهم سادة في اوطانهم يتمتعون بكامل الحرية والاستقلال والسيادة والقوة ، ولم يستخدم معهم دعاة الاسلام القوة والقسر قط ولكنهم قبلوه واعتقنوه عن رضا واقتناع .^(١٢)

ويقول المؤرخ الليبري القس بليدن (Blyden) في كتابه (Christiani, Islam & the Negro Race) اذا دخل المعلم المسلم قرية وثنية بكتبه واوراقه ومسبحته سرعان مايلتف حوله الناس . وسرعان مايبدأ في حل مشاكلهم ، واذا عرض الاسلام على الوثني كان له أن يختار بين القبول أو الرفض . ولم يكن مع المسلمين نقود للرشوة او وعود جوفاء فقد دعوا لدينهم (في هدوء) .

وقد كان الدعاة المسلمون يمتزجون بالزواج بالمصاهرة والاختلاط . ويذوبون بالمجتمع الافريقي دون قهر او ضغط لذلك تقبل الافارقة الاسلام وقاموا بدورهم بنشره بين مواطنيهم . ويقول د/ابراهيم علي طرخان في كتابه (دولة مالي الاسلامية) : إن سر انتشار الاسلام ايضاً انه لم يؤد الى تدمير النظم المحلية القائمة ، مما ساعد على قوة البناء الاسلامي الذي قام في افريقيه لانه استند الى البناء الوطني ولم يدع الى هدمه ، بل ان المواطنين انفسهم هم الذين اختاروا الصورة الجديدة للحياة) .

ويعلق احد الدعاة الى النصرانية على سرعة انتشار الاسلام في افريقيا بقوله :ان السر في نجاح الدعاة المسلمين في مهمتهم في افريقيا السوداء هو انهم احترمو العادات والتقاليد المحلية ، ولم يحتقروها وهذا ماينبغي ان تحذوا البعثات التنصيرية المحلية حذوه .^(١٣)

ومن عوامل سرعة انتصار الاسلام ايضاً ان البلاد الاصلية التي جاء منها الاسلام وهي الحجاز ومصر وبلاد المغرب لم تدع اي نوع من انواع السيادة او الحماية . فالاسلام في افريقيا السوداء تراث الوطنيين . وهم سادة على انفسهم وعلى بلادهم على عكس ما فعلت البعثات التنصيرية . ويقول القس الليبيري بليدين (لقد جاءت المسيحية الى الافريقي باعتباره عبداً . وعلى الاقل بوصفه خاضعا محكوما فتعلم الزنجي وبنوه من بعده بجانب تعاليم المسيحية انه جنس منحط عديم الاهلية والكفاءة) . ويقول في موضع آخر في كتابه (المسيحية والاسلام والجنس الزنجي) لقد دهم المستعمر الاوربي الوطنيين الافارقة واجبرهم على اعتناق المسيحية بمختلف الوسائل والاغراء واستولى على بلادهم بالعسف والقهر والتفرقة . وانزلهم منزلة دون منازل (الانسانية) .

ولم يشعر الافريقي المسلم ان الاسلام يقطعه عن ماضيه وعن مجتمعه ، بينما الاستعمار الاوربي جعل المسيحي الافريقي حائراً فلا هو قريب من مجتمعه ولا هو مقبول عند المستعمر الاوربي لكي ينتسب الى الحضارة الاوربية ، فحرمه المستعمر الثقافة المعقولة والحقوق الانسانية الطبيعية المتاحة للمسيحي الابيض . وذلك عكس الاسلام الذي اعترف منذ فجر ظهوره في افريقيا بالمساواة التامة . وكفل للمسلمين جميع حقوقهم دون نظر الى لون أو جنس . وقد حققت دولة مالي الاسلامية طفرة حضارية كبرى في منطقة غرب افريقيا وشهدت انظمة مستقره للحكم والقضاء والدبلوماسية (الاسفار) ونظما ماليه واقتصادية وحرية قوية ومستقره . ويقول العمرو القلقشندي (بهذه المملكة الوزراء والقضاء والكتاب والدواوين . والسلطان لا يكتب شيئا في الغالب بل يكل كل الامر الى صاحب وظيفة من

هؤلاء (١٣) .

وعرفت حكومة مالي التخصّص في الإدارة وكانت تتكون من ١٤ أقليما . وكانت الوحدة الإدارية في تنظيم هذه الدولة المترامية الاطراف هي (الدجو Dugu) اي القرية ومجموعة القرى وضواحيها تعرف باسم الكافو (Kafo) اي الاقليم او المقاطعة ومجموعة الاقاليم تكون ما يعرف باسم الديامانا (Dinmana) اي الولاية او المملكة ومالي كانت تعد احدى الولايات .

وكان نظام القضاء في مالي نظاما دقيقا وكان محل اهتمام السلطان وقد وجد القضاة من الافارقة وغيرهم . وكان القاضي الاعلى مستشارا للسلطان ، وكانت بعض القضايا تستأنف للنظر امام السلطان نفسه .

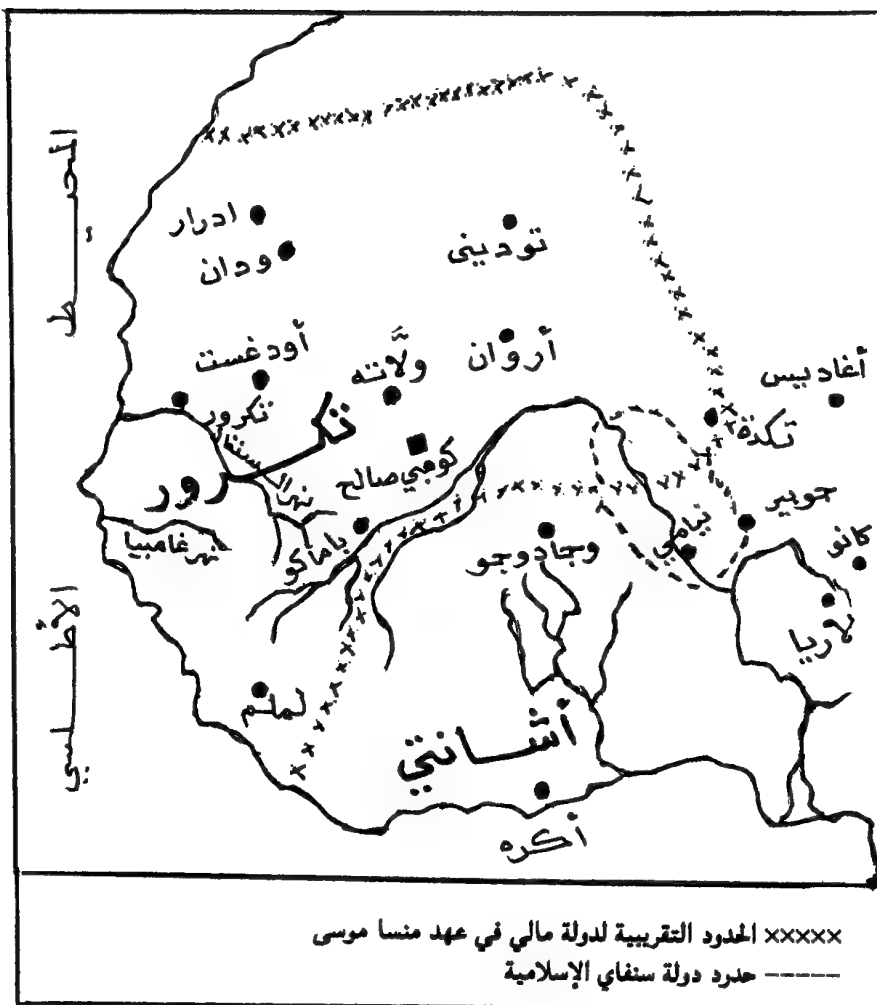
كما عرفت مالي الجيش العامل ونظمته ودريته احسن تنظيم وتدريب وكان يتكون من الفرسان والرجال ويقسم الى فرق وعلى كل فرقه ضابط . والاسلحة كانت السيوف والحراب والقسي والنشاب ويقال ان عدد جيش مالي بلغ ألف جندي وهو رقم كبير جدا اذا قورن بعدد سكان الدولة في ذلك الوقت .

اما الحياة الاقتصادية فكانت تقوم على التجارة والزراعة واستثمار الثروات الطبيعية وفي مقدمتها استخراج الذهب والنحاس والملح .

وقد علق بعض كتاب الغرب على نجاح حكومة مال كنموذج للحكومات القومية في غربي افريقيا وبانه دليل واقعي على قدرة الافريقيين على تنظيم شئونهم وادارة حكوماتهم ذوات المسئوليات الضخمة .

البعد عن الاسلام وانهيار مالي :

بدأت عوامل الضعف تدب في دولة مالي بسبب بعد حكامها وخاصة في عهد ماري جاطة عن تعاليم الاسلام وافتقن الحكام بكثرة المال



عن كتاب دولة مالي للدكتور إبراهيم طرخان (ص ٧٨) يتصرف

والجاء والبحث عن الملذات واشباع الشهوات .

هذا بالإضافة إلى فساد الحكام واسرافهم وتفشي والانحلال الاخلاقي ، وروي ابن بطوطة انه كان يرى الغلمان والجواري تقدم الاكل للسلطان وللأمراء وهم عرايا تماما . بالإضافة الى نقطة ضعف اخرى وهي ان الحكم كان وراثيا . وذكر ذلك الملك منسى موسى لابن امير حاجب في مصر (نحن اهل بيت يتوارث الملك وان اغلب حالهم في ذلك ان يورث ابن الاخت) (١٤) .

ونتيجة لهذا الحكم الاستبدادي صارت ثروة البلد الرئيسية ملكا للحاكم . ويقول ابن امير حاجب (وحدثنى السلطان ان الذهب له متحصلة كالقطعيه الا ما يأخذه اهل تلك البلاد منه على سبيل السرقة) . وجاء اول معول في هدم دولة مالي عندما انفصلت سنغاي عام ١٣٥٥م وهي الدولة التي ورثت فيما بعد ملك دولة مالي في غرب افريقيا .

(٣) دولة سنغاي

دولة سنغاي (وتكتب ايضا سنغي وصنغي) من الدول الافريقية التي ازدهرت بالاسلام . وقد بدأت تاريخيا في القرون الميلادية الاولى الا انها بلغت اوج حضارتها وتقدمها بعد دخول الاسلام اليها في القرن الهجري الاول (السابع الميلادي) . واستمرت حتى عهد قريب اذ كان لها وجود فعلي ومؤثر في منطقة غربي افريقيا حتى عام ١٥٩١م اي قرب نهاية القرن السادس عشر الميلادي . وكان لوجودها تأثير واضح في تأخير وصول الاستعمار الاوربي الى المناطق الداخلية في القارة الافريقية . وقد عاصرت دولة سنغاي دولتي غانا ومالي . وخضعت في بعض الفترات لحكم دولة مالي . وكان ذلك ما بين عامي ١٢٥٥ - ١٢٧٠م ثم استعادت استقلالها . ولكنها بعد فترة قصيرة خضعت مره اخرى لحكم دولة مالي في الفترة ما بين ١٢٨٥ - ١٣٠٠ هـ ولكن توسعت دولة سنغاي في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي وبلغت اوج مجدها عقب انتهاء دولتي غانا ومالي .

ويرى غالبية الباحثين ان اسم دولة سنغاي يرجع الى قبيلة صنهاجة العربية التي هاجرت في بداية القرون الميلادية الاولى الى افريقيا . وقد دخل الاسلام الى دولة سنغاي مثلما دخل الى الدول الافريقية الاخرى مع التجار المسلمين . وقد ساعد على انتشار الاسلام في هذه الدوله وقوعها على طريق (تادقلة) ^(١) الذي كان بمثابة طريق تجاري دولي يربط بين شمال القارة وجنوبها . وهذا الطريق لم يقف تأثيره عند حد التبادل التجاري وإنما تحول الى ما يمكن تسميته بطريق ثقافي يتدفق منه الدعاة المسلمون الى افريقيا متخذين

(١) د / عبدالرحمن زكي - تاريخ الدولة الاسلامية السودانية في غرب افريقيا القاهرة ١٩٦١ م ص ١٣٣ - د / عبدالرحمن عبد الله الشيخ دول الاسلام وحضارته في غرب افريقيا - دار اللواء للتوزيع والنشر - الرياض - ١٩٨٣م / ١٤٠٣ هـ

من سنغاي محطة للذهاب والإياب .

وكان الدعاة المسلمون ينطلقون من المناطق المجاورة لنهر النيجر - وهو رابع اكبر انهار افريقيا (بعد نهر النيل ونهر الكونغو ونهر السنغال) . وكان المواطنون الافارقة يستبشرون بمقدمهم ورحبون بهم فقد سمعوا عن هذا الدين الجديد الذي لا يتدقق قرآنا واحاديث من افواههم فقط وإنما يتدقق كذلك منطقا مطهرا وسلوكا قويا في كل ما يأخذون به من سبل الحياة . وقد اقبل الافارقة ملوكا وامراء ومواطنين على اعتناق الاسلام وتحمسوا له فقد وجدوا في الاسلام ما يكرم انسانيتهن وما يظهر روحهم وما يحملهم على التماسك والترابط وممارسة الحياة في سلام وامان ^(٢) .

وبلغت دولة سنغاي اوج تقدمها في عهد الحاكم سن علي (١٤٦٤-١٤٩٢ م) وهو ينتمي الى اسرة تسمى (زا) وحكمت الدولة بعد حكم اسرة (لمظه) والتي ترجع جذورها الى اصول مغربية ^(٣) .

على الصعيد الاقتصادي حققت سنغاي ازدهارا كبيرا بسبب مايمكن ان نسميه تنوع القاعده الإقتصادية . حيث اعتمدت الدولة على اربعة مصادر هي التعدين (وكان يتركز على استخراج الذهب والملح) ، ثم الزراعة (حيث ساعد اتساع رقعة الدولة على تنوع المحاصيل) ثم التجارة وقد ازدهرت لسيطرة الدولة على طرق التجارة الرئيسية بين الشمال والجنوب ثم الصناعة حيث عرفت الدولة صناعة المنسوجات التيلية والقطنية وصناعة دبغ الجلود وهذا يؤكد كذب المزاعم الاوربية القائلة بان افريقيا حين دخلها الاوروبيون كان يسكنها مجموعات قبلية متناثرة من العراة الحفاة

(٢) د / عهده بدوي - مع حركة الاسلام في افريقيا مصدر سابق ص ١٦٢ .

(٣) المصدر السابق ص ١٦٣ .

المتوحشين^(٤) .

وعلى الصعيد السياسي استفاد اهل سنغاي من انظمة الدول الاسلامية المجاورة (وخاصة غانا ومالي)

وطورها بما يتفق واحتياجاتهم . وتمكن حكام سنغاي من القضاء على النظام القبلي الذي كان سائدا في ذلك الوقت . وادارة الدولة على اسس مركزية في الامور الهامة والتشريع ولا مركزية في التنفيذ . وتم تقسيم الدولة في عهد أسكاي محمد علي الى أربعة أقاليم هي : دندي ، بالا ، كومينا ، نيك ، وكان لكل أقليم حاكم يعين من يعاونونه في إدارة شئون الأقاليم .

وإما الجيش في دولة سنغاي فكان تنظيمه دقيقا ويتشكل من فرسان وفرق وطوارئ يركبون الجمال ، وفرق مشاة والفرق المتطوعة وهي تتطوع بنفسها للجهاد أثناء الأخطار التي تتعرض لها الدولة ، وكان التجنيد إجبارياً على كل قادر على حمل السلاح .

وعلى الصعيد العلمي شهدت دولة سنغاي ازدهاراً كبيراً في الجانب الثقافي والعلمي وكانت تنبكتو وجيني من المراكز الثقافية التي يشار إليها بالبنان ، وعرفت سنغاي البعثات العلمية الخارجية حيث كانت تبعث طلابها الى كل من مصر والمغرب لتحصيل العلم وكانت توليهم عند عودتهم ارفع المناصب .

(٤) د/عبدالرحمن عبدالله اشيع - مصدر سابق ص ٧٤ .

(٥) المصدر السابق ص ٧٥ .

(٤) دولة كانم

شهد القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ميلاد دولة قوية في منطقة

المراعي بين نهري النيل والنيجر .

وتقع في الشمال الشرقي من بحيرة تشاد ، وتسمى دولة كانم وقد هباً لها . موقعها من بحيرة تشاد شهرة واسعة وأصبحت يطلق عليها اسم دولة مفترق الطريق العظيم لأفريقيا الإستوائية ^(٦) .

وكان لموقع هذه الدولة أثره في استقبال الهجرات القادمة من كل مكان من الشرق والشمال . وكانت قمة هذه الهجرات الأسرة السيفية التي تنسب الى سيف بن ذي يزن من الشمال ، فقد استطاعت هذه الأسرة أن تقف على قمة الأحداث هناك . وأن تنتهج اسلوباً جديداً على هذه المنطقة من اساليب الحكم ، يتمثل في تجميع الحكم في يد مجلس شورى مكون من (١٢) شخصاً من الأسرة الحاكمة ثم يرفع المجلس هذه القضايا يدوره الى السلطان للبت فيها ^(٧) . ولقد تعمق الإسلام في نفوسهم الى حد أن ام السلطان بري الأول قد أودعته السجن لأنه اكتفى بسجن بعض اللصوص ولم يطبق عليهم حد السرقة المقرر في الإسلام ^(٨) .

وقد تمكن الكانميون من الخروج من اقليميتهم وإقاموا علاقات وثيقة مع الرباط وتونس والقاهرة وبغداد ، وقد استمرت هذه الدولة قوية باسلامها . ولكن الضعف بدأ يدب فيها في القرن الثالث عشر الميلادي ببعد حكامها عن الأخذ بتعاليم الإسلام . ففتنتهم السلطة وتناحروا عليها حتى اصبحت احدى مقاطعات دولة البرنو في القرن السابع عشر الميلادي .

(٦) عهده بلوي - مصدر سابق ص ١٤٣ .

(٧) د/عبدالرحمن زكي - مصدر سابق ص ١٧٦ .

(٨) د/عده بلوي مصدر سابق ص ١٤٥ .

(٥) دولة البرنو

وحول بحيرة تشاد أيضاً قامت دولة اسلامية منذ مطلع القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) . ظل لها شأن وحضارة واستمرار تاريخي حتى مطلع القرن العشرين . تلك هي دولة البرنو التي شملت أجزاء من أربع دول أفريقية حالية . وهي مناطق من شمال شرق نيجيريا وجنوب غرب تشاد وجنوب شرق النيجر وجانب من شمال الكاميرون ، وما زال الجزء الشمالي من نيجيريا يحمل اسم (البرنو) ذي الدلالة التاريخية والحضارية التليدة .

وتعتبر الأسرة السيفية (نسبة إلى سيف بن ذي يزن) . والتي حكمت دولة كانم في شرق بحيرة تشاد التي توسعت حتى على غرب البحيرة هي المؤسس الحقيقي لدولة البرنو ^(٩) . والكثير من المؤرخين يؤرخون لدولتي كانم والبرنو على أنهما امبراطورية واحدة سيطرت على حكمها أسرة واحدة هي الاسرة السيفية . التي ظلت تحكم البرنو حتى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي . فالسلطان السيفي أحمد بن علي ظل يحكم من عام ١٧٩٣م حتى عام ١٨١٠م حين تعرضت دولته لغزوات خارجية أهمها غزوات الفولانيين . وتعرض السلطان أحمد بن علي للهزيمة على أيديهم في موقعه بالقرب من قصر (اكسمو) . وهرب السلطان إلى (كترنوه) . ولكن الشيخ محمد بن الأمين الكافي تمكن من تجهيز فرقة من الكافيين وصد الفولانيين وتمكن من إجلائهم عن الجزء الشرقي من البرنو بعد انتصاره عليهم في موقعه عند (نكرون) . وأعاد السلطان أحمد بن علي إلى عاصمة الملك ومن ثم أصبح الكافي عام ١٨٣٩م ملكاً وخلفه ابنه الشيخ عمر الذي قضى على الأسرة السيفية وأصبح هو الحاكم فعلاً واسماً ^(١٠) .

ولكن عوامل الضعف بدأت في أركان الدولة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي إلى أن وصل إليها في عام ١٨٩٣م القائد السوداني الأصل (رابح فضل الله) . واستطاع أن يكون لنفسه امبراطورية واسعة ولقب نفسه بلقب سلطان برنو وملحقاتها . ولكن الغزاة الأوربيين لم يمهلوه طويلاً . وفي عام ١٨٩٠م حمل عليه الفرنسيون وتمكن من صدهم في عدة معارك . ولكنهم في النهاية تمكنوا من هزيمته وقتله .. وضمت برنو إلى مستعمرة فرنسية أطلق عليها اسم (إفريقيا الاستوائية الفرنسية) .

(٦) دولة الفونج

اختلف المؤرخون حول كلمة (الفونج) التي أطلقت على سلطنة (سنار). وكانت عاصمتها في مدينة سنار الحالية جنوب الخرطوم ، فقد قيل أنها كلمة في لغة (الشلك) الذين يقيمون في أعالي النيل الأزرق، وقيل أنها لغة (النوير) على أن المعنى الذي تعبر عنه هذه الكلمة في هذه اللغات جميعاً هو معنى (الغريب) مما يدل على أن المؤسسين لها كانوا وافدين على المنطقة^(١٢).

ومما يدل على اشتراك دولة الفونج في معترك الأحداث في هذه المنطقة الرسالة التي بعث بها مؤسسها عمارة دونقس إلى السلطان العثماني سليم الأول، والذي كان يقوم بفتوحاته في هذه المنطقة . فقد جاء فيها (إني لا أعلم ماالذي يحملك على حربي وامتلاك بلادي ،فان كان لتأكيد الإسلام فاني وأهل مملكتي عرب مسلمون ، ندين بدين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان لغرض مادي فاعلم أن أكثر أهل مملكتي عرب بادية، وقد هاجروا الى هذه البلاد طلباً للرزق^(١٣).

وقد استمرت المناوشات والحروب بينهم وبين الحبشة . وقد جذبهم السودان بمراعيه وبعده عن حكام الحبشة . ونزلوا الى السودان الا انهم لم يقفوا كظاهرة منعزلة ، بل سارعوا الى الاندماج مع السكان الوطنيين وبالإضافة الى سلوكهم الحميد أخذوا يتحدثون معهم بحب عن الاسلام ويقدمون لهم نماذج عملية عن المواطن المسلم الملتزم في علاقاته مع ربه ومع الناس من حولهم . فتقرب الناس منهم وصاهروهم بلا حدود. ودخلوا في الاسلام افواجا، وامام هذا الامتزاج والوحدة الاسلامية والتي لاتعلوها وحدة

١١- د/عبدعدي - مصدر سابق ص ١٤٩-١٤٢.

١٢- المصدر السابق ص١١٩.

١٣- المصدر السابق ص ١٢٠.

أخرى . قوي الاسلام في دولة الفونج التي تحملت مسؤولية ابلاغ هذا الدين لمن حولهم ، وذلك بهدف نشر الاسلام ثم تأمين انفسهم من الحبشة إن ارادت بهم شراً . ومن مملكة علوة المسيحية في شمال السودان الحالية ان ارادت ان تتحرك باسم المسيحية .

وعرفت دولة الفونج الاحلاف لمواجهة التحرشات من الممالك المسيحية فوقع زعيم الفونج (عمارة دونقس) حلفاً مع زعيم مسلم آخر هو عبدالله جماع زعيم العبدلاب . وكان من ثمره هذا الحلف التصدي لتحرشات مملكة علوة المسيحية وهزيمتها في موقعة (اربجي) شمال الخرطوم ، ثم دخول عاصمة مملكة (المقررة) المسيحية واقامة العبدلاب بها ، وبهذه الموقعة انهار النفوذ المسيحي في جنوب وادي النيل ومنطقة النوبة ، وبحلول عام ١٥٠٥م اقامت مملكة الفونج دولة اسلامية قوية . وهي نواة دولة السودان الحديث تمتد على اقليم الجزيرة الممتدة من سنار الى سوبا في ضواحي الخرطوم الحالية ^(١٤) .

واخذت هذه الدولة بكل اسباب الحضارة . فكان لها نظام حكم قائم على الشريعة الاسلامية وجوهره الشورى . وحظيت بازدهار صناعي وزراعي اكثر . وتجمعت القبائل حولها وكانت تحمل الاسلام الى القبائل الوثنية وتدخل في معارك معهم واستخدموا أسلوباً جديراً بالاعجاب ففي معاركهم مع القبائل الوثنية كانوا يستقدمون الاسرى ثم يطلعونهم على الاسلام ويعلمونهم مبادئه . واذا ما اطمأنوا الى ان الدين الجديد مازج نفوسهم وأضاءها من جميع النواحي ، دفعوا بهم الى المناطق التي قدموا منها ليكونوا دعاة جدد الى الاسلام .

(٧) دولة المهديّة

كانت دولة المهديّة التي اقامها عبدالله بن محمد احمد الملقب بالمهدي في السودان في الربع الاخير من القرن التاسع عشر (اغسطس ١٨٨١م نوفمبر ١٨٩٨م) مرحلة فاصلة في تاريخ افريقيا جنوب الصحراء بصفة خاصة وبصفة عامة . فهي تشكل نهاية مرحلة ^(١) بدأت منذ قرون عندما اسقطت الدولة الاسلاميّة في الاندلس ، وتحول وضع المسلمين من الريادة والتقدم الى التبعية والتقهقر ، وبعد ان كانوا مبشرين يدفعون تخوم الاسلام الى الامام في آسيا وافريقيا واوروبا ، اصبحوا مدافعين تطارد فلولهم جيوش الصليبيّة .

فما تشرق شمس الا وينسحبون من أرض جديدة حتى غزتهم الجيوش الصليبيّة في عقر دارهم ، ولم ينته القرن التاسع عشر حتى استولت اوربا المسيحية بطريقة مباشرة او غير مباشرة على جميع ديار المسلمين ما عدا منطقة أواسط الجزيرة العربيّة وظلوا يحكمونها حتى منتصف القرن العشرين .

لكن الاسلام بطبيعته لا يستسلم في مثل هذه الظروف الصعبة . فقد هب حماة العقيدة الاسلاميّة بتسخير من الله العليّ القدير ينافحون عنها . ويستमितون في سبيلها فاستطاع المهديون ضمن محاولات اخرى كثيرة مشتته في أرجاء العالم الاسلامي اقامة دولة اسلامية في السودان ، سرعان ما لفتت أنظار الصليبيين فتكالبوا عليها . واعتقد الصليبيون ان القضاء على الدولة المهديّة هو قضاء على فكرة قيام الدولة في بلاد المسلمين ^(٢) على اساس الدين . وهو المبدأ الذي اختطه النبي (ص) وهو يقيم دولة المسلمين الاولى في المدينة المنورة امتثالاً لامر الله تعالى ليحكم بما انزل الله ، وسار من بعده

(٢/١) كانت نهاية مرحلة خارج شبه الجزيرة العربيّة التي كانت الحركة الرهابية فيها في الربع الاول من القرن العشرين محاولة اخرى شجاعة استمات الصليبيون في محاولة اجهاضها مستغلين في ذلك محمد علي باشا وابنائنه .

المسلمون على نهجه . يبتعدون عنه حيناً ويقتربون منه احيانا من التطبيق . لكن المبدأ ظل قائماً وعليه قامت جميع الدول والممالك الاسلامية حتى اواسط القرن العاشر الميلادي . تضعف وتقوى . بل ان رمزها ظل حيا في الاستانة الى ان اختفى في سنة ١٩٢٤م حين اسقطت الخلافة الاسلامية .

بغيا ب شمس الدولة المهدية بدأ ظهور الدولة القومية في موطن الاسلام . واصبح شعار الوطن والهوية القومية في بلاد المسلمين يسبق شعار العقيدة في الدساتير والتشريعات . ويكتفى بالقول ان دين الدولة الرسمي هو الاسلام . وصار التنصير فعلاً يمارس في وضع النهار امام مكاتب الحكام ان لم يكن انطلاقاً منها .

ونعود الى المهدية لنقدم لها بان التنصير دخل الى وادي النيل . وتوغل جنوبا في القرن السادس الميلادي .

عندما وصلت اول بعثتين تنصيريتين ارسلهما الامبراطور الروماني جستنيان وزوجته تيودورا الى السودان . وعند دخول الاسلام الى السودان وجد هناك ثلاث ممالك مسيحية في شمال السودان هي نوباديا والمقرة وعلوة^(٣) .

ففي القرن السابع الميلادي فتح المسلمون مصر وتوغل الاسلام جنوبا . فكانت حروب ومعاهدات عبدالله بن سعد ابن ابي السرح مع البجة في شرق السودان . ثم حولت كنيسة دنقلا العجوز الى مسجد^(٤) ، وفي عام ١٣٤٠م انتهت آخر الممالك المسيحية في الشمال ، وبقيت مملكة المقررة جنوب الخوطوم الحالية^(٤)

(٣) الامبراطور الروماني جستنيان (٥٦٥/٧٣٥م) بعد ان استولى على مصر اعدم مائتي الف من الاقباط في مدينة الاسكندرية وهرب بعضهم الى السودان فلاحقهم جستنيان ولما كانت زوجته تيودورا تتبع مذهبها مخالفاً له ارسلت سرا بعثة تنصيرية لينشروا مذهبها هناك .

(٤) الصحابي عبدالله بن سعد بن ابي السرح والي مصر (٦٤٦-٦٤٧م-٢٥هـ) وصلت قواته في رمضان ٦٦٢م الى دنقلا في شمال السودان الحالي (D.H.Makki, sudan The Chritian Design) .

فاستطاعها تحالف عمارة دنقس وعبدالله جماع واقاما على انقاضها عام ١٥٠٥م ثاني دولة اسلامية بعد مصر في وادي النيل ، وكانت عاصمتها سنار على النيل الازرق . دولة الفونج استمرت مائتي عام وامتدت من هضبة الحبشة الى تخوم دارفور ومن دنقلا الى اواسط السودان الحديث ، وحتى البحر الاحمر شرقاً .

اما الدولة المهديّة فقد قامت على ايدي محمد احمد بن عبدالله الذي عرف فيما بعد بالمهدي . وعرفت دولته بدولة المهديّة كرس محمد احمد حياته لدراسة القرآن وعلوم الدين . ولاحظ انتشار البدع والمفاهيم الخاطئة في بيئته الاجتماعية . فبدأ يعد نفسه لمحاربتها ، ففرغ لتنقية العقيدة من الشوائب . وقاد حرباً شعواء ضد الاستعمار الانجليزي والتركي ^(٥) وكان يسميها الحرب ضد الكفار .

استطاع المهدي بقوة ايمانه وتوجهه واتباعه لشرع الله . وباخلاصه للدعوة ان يهزم الجيوش الانجليزية والتركية في كثير من المعارك . وكانت اول معارك تهزم فيها جيوش الامبراطورية البريطانية في افريقيا والمستعمرات . وقد خلد ذلك شاعر الامبراطورية كبلنغ ^(٦) الذي اشترك في احدى هذه المعارك . وكان يتغنى بامجاد الانجليز ونشرهم الحضارة فتغنى بشجاعة جنود المهديّة الذين قال انه شاهدهم يقتحمون نيران المدافع ويتسابقون الى الموت حتى ادخلوا الرعب في قلوب جنود ملكة بريطانيا . ولم يكن كبلنغ يدري ان الذي يدفعهم

هو قوة العقيدة وطلب الشهادة . في كتابة تاريخ المهديّة The Mahdiya

(٥) نظام الحكم الذي اقامه محمد علي باشا في مصر ومدّه جنوباً فشمل السودان عرف لدى المؤرخين بالحكم التركي لكنه كان نظاماً علمانياً غربي التوجه ، وفي عهد اسماعيل باشا ألغى الحكم بالشريعة الاسلامية واستبدلت بمواد من الدستور الفرنسي . هذا ماوردّه الدكتور السيد احمد فرج في كتابه (جذور علمانية - ص ٣٢ ، ٣٥) .

(٦) القصيدة بعنوان (Fuzzy Wazzy) وقد ترجمها للعربية الاستاذ ضرار صالح ضرار في اكثر من اربعين بيتاً وكتبها كبلنغ بين ١٨٨٣م-١٨٨٥م .

المنشور عام ١٩٤٩م أورد أ.ب.ثيولود ما نصه : (ان جوهر دعوة المهدي هو الاعتقاد القوي الخالص لله والانقياد له والاعتناح بتفاهة الدنيا والعمل لسعادة الدار الآخرة التي سيحظى بها المؤمنون الحقيقيون. وان المسلم بالالتزام والتطبيق الدقيق للاسلام سلوكاً وعقيدة ومراقبة الله يستطيع ان يعد نفسه للحياة الآخرة) . ويضيف ثيولود ان هذه المفاهيم تأكدت وتكررت باستمرار في رسائل المهدي وفي أوراده المكتوبة ويقول : (ان المهدي اعلن الجهاد وانتصر بأسلحة بدائية ، السيوف والفؤوس والعصي على اقوى جيش لا قوى امبراطورية في ذلك الوقت . فهزم جيش هكس في معركة شيكان وعرف بالجيش الذي ابتلعه الصحراء (The Lost Army In The Desert) .

استطاع المهدي في مارس عام ١٨٨٥م ان يحرر الخرطوم التي اصبحت وهي تحت حكم الاتراك المسلمين اكبر معاقل الكفر في السودان . فقد عبر جنود المهديّة النيل الابيض ودخلوا قصر غردون وهم يهللون الله أكبر تجلجل في ارجاء القصر المنيف . وقتلوا غردون القائد المنصر الذي اعد نفسه في دراساته اللاهوتية في القدس لتوسيع دائرة النصرانية في افريقيا .

وبعد وفاة المهدي في مارس ١٨٨٣م امدرمان بعد مرضه بالحمى ارسل خليفته عبدالله التعايشي الجيوش حاملة رسالة تصحيح العقيدة والدعوة جنوبا وشرقا وغربا . فانتصرت جيوش المهديّة على يوحنا امبراطور الحبشة المسيحية الذي قاد بنفسه الجيش للقضاء على المهديّة . ثم ارسل التعايشي جيشا ثانيا شمالا لتحرير مصر من حكم الانجليز الكفار . وكتب الى ملكة بريطانيا يدعوها للدخول في الاسلام .

وقبله كتب المهدي الى توفيق باشا خديوي مصر يدعوه للتحالف معه يداً واحدة ضد الكفار ، ومن اجل اقامة الدين الخفيف : (لنكن جميعا يداً واحدة لاقامة الدين واخراج اعداء الله (الانجليز) من بلاد المسلمين . وقد حررت لك

هذا الخطاب وأنا بالخرطوم شفقة عليك .. وحرصا على هديتك . فارجو الله ان يشرح صدرك لقبوله ، ويدلك على صلاحك ورشادك في الدارين . وها انا اقدم على جهتك جنود الله عن قريب ان شاء الله) ^(٧) . وكتب لقواده المتوجهين الى الجبهة الشمالية لطرد الانجليز ثم مواصلة طريقهم لتحرير مصر التي كانت تحت حكم الحديويين المتحالفين مع الانجليز : (وسيروا الى الله عرجى ومكاسير .. فانكم احبابي من العقلاء والفضلاء الذين يعلمون ان قيامنا هذا هو بالله ولله ابتداء وانتهاء ولو كانت الاموال والتشاهيل مما ينفع او يضر لكان للترك (الترك) في ذلك حظ وافر ^(٨) .

يقول ثيوبولد في كتابه (المهديه- تاريخ السودان الانجليزي المصري ١٨٨١م-١٨٩٥م) ما نصه : (ان الهدف الاساسي لدعوة المهدي لم يتغير . فعلى امتداد دعوته ظل يركز على افكاره التي دعا لها وهي الثقة بالله وفناء هذه الدنيا والاقبال على نعيم الاخرة ^(٩)).

ويعود فيورد في مكان اخر ما ترجمته (كانت المهدي حركه دينية وعسكرية وهي بحق يقودها اناس حملوا السلاح يقاثلون في سبيل الله ورسوله والمهدي ، شعارها لا اله الا الله وان محمدا رسول الله).

الخليفة عبدالله التعايشي سار على نهج المهدي يحكم بشرع الله تعالى وسنة رسوله (ص). يكتب للحكام في بلاد المسلمين يدعوهم الى شرع الله . فكتب الى السلطان عبدالحميد في الاستانه ما نصه : (واعلم ان ما دعوناك اليه هو الدين الحق القويم . والمنهاج الواضح المستقيم فلا تعرض عنه الى

(٧) د/ عبدالرحمن عبدالوهاب- توشكي ص ٣٠.

(٨) المصدر السابق ص ٣١.

(٩) ثيوبولد - المهديه ص ٤٣.

(١٠) مصدر سابق - ص ١٥٣ توشكي .

نزوات الباطل ، فان الحق جدير بالاتباع والباطل حري بالتلاشي والضياع . ولو كان قصدي من هذا الامر ملك الدنيا الزائل وعزها الفاني الذي ما تحته طائل لكان في السودان وملحقاتها كفاية كما تعلم من اتساعها وتنوع ثمراتها ولكن ما اقصد كما يعلم الله الا احياء السنة المحمدية والطريقة النبوية بين اظهر عامة البرية) (١١)

سرعان ما لفتت حركة المهديّة التصحيحية انظار الغرب المسيحي الذي كان اول من انتبه الى خطرها عليه . فوصفوها بانها حركة دراويش (الدرويش هو الشخص الذي يتقمص رجل الدين ويتصرف دون اكتراث وبطريقة غير مسئولة تسيء للدين) . واشاعوا ذلك بين المسلمين داخل السودان في المناطق التي لم تصلها دعوة المهديّة في الايام الاولى . وخارج السودان في البلاد الاسلامية حتى يعزلوا المهديّة عن اي تعاطف او تأييد اسلامي . اما في اوربا بصفة عامة وفي بريطانيا بصفة خاصة فقد وصفت بانها حركة بربرية متعطشة للدماء . وكتب كثير من الاوروبيين يروجون الاشاعات الساذجة لتأليب اوربا المسيحية ضد المهديّة . ومن هؤلاء سلاطين باشا في كتابه (السيف والنار في السودان The fire And The sword In Sudan) وونجت باشا في كتابه (المهديّة والسودان المصري Mahdism And The Egyption Sudan) وكرومر في كتابه (مصر الحديثة Modern Egypt) وغيرهم (١٢)

لقد لفقوا اساطير كثيرة ونجحوا للأسف في اقناع الرأي العام داخل وخارج السودان بها في ذلك الوقت بل ما زال غالبية كتاب المسلمين يأخذون بما جاء في كتابات الغربيين عن المهديّة ولم يكلفوا انفسهم عناء الرجوع الى المصادر الاصلية عن هذه الحركة الاسلامية التصحيحية .

في الثامن من شهر سبتمبر عام ١٨٩٨م كانت معركة كرري الشهيرة في تاريخ المهديّة . وفيها واجه ٥٢٠٠٠ مسلم مسلّحين بالسيوف والحراب . والفؤوس وعدد من البنادق القديمة التي أسروها في معارك سابقة الجيش الإنجليزي - التركي المسلّح باحدث الأسلحة . ودارت معركة فاصلة استشهد فيها أكثر من عشرة آلاف . وأصيب أكثر من ١٦٠٠٠ آخرين دخل بعدها الجيش الغازي وبين صفوفه للأسف عدد كبير من المسلمين مدينة أمدردمان عاصمة المهديّة . واستباحها لمدة ثلاثة أيام ثم فتح الباب على مصراعيه للعمل التنصيري . واتخذ المستعمر القرار الذي مازال ينفذ على نطاق العالم الإسلامي بأن تكثف الجهود لتحويل الحركة الإسلامية في ميدان التربية والتطبيق من اسلام مجاهد مقاتل في مختلف ميادين الحياة الى ممارسات تحصر في نطاق العبادات فقط . والى حركات صوفية تهويمية ينصرف فيها الناس من العمل بالاسلام الى العمل في طاعة الزعيم الصوفي وخدمته .

لقد كان القضاء على المهديّة هو بحق هزيمة حلم ما زال يراود النفوس لاقامة دولة الاسلام من جديد مكان الدولة القومية الدخيلة على مختلف مواطن الاسلام .. حلم هزم ولكنه لم يجهض .

(٨) دولة حميد المرجبي

هذه هي اقدم دولة اقامها المسلمون في ادغال افريقيا فمثلما توغل الاسلام في غرب افريقيا الى ما بعد نهر النيجر الى ساحل المحيط الاطلسي ، ووصل الى اراضي الهوسا في نيجيريا الحالية . كذلك نقله التجار والدعاة الى ما بعد نهر الزامبيزي جنوبا على شواطئ افريقيا الشرقية فقد مر بنا ان حاكم احدى السلطنات استضاف فاسكو دي جاما الذي اشتهر بانه مكتشف الطريق الى الشرق في قصر فخم . وزوده بالمعلومات اللازمة عن طريق الملاحة الذي اعتادت سفن التجار المسلمين السفر فيه منذ وقت طويل .

وقد اهتمدى المستكشفون الاوربيون المشهورون في التاريخ الجغرافي لافريقيا من امثال اسبيك وجون بيرتون وصمويل بيكرولفنجستون واستانلي في شرق ووسط افريقيا . ومنجو بارك وبارت واودني وبيرتون وديجوكام في غرب افريقيا بارشادات المسلمين الذين سبقوهم الى تلك المناطق . واقاموا فيها واسسوا المدن والمراكز التجارية واقاموا المساجد والمدارس وادخلوا المحاصيل الزراعية الجديدة . كما تزاجوا وتصاهروا مع السكان الاصليين ^(٢) .

لقد استشهدنا على دخول الاسلام الى غرب افريقيا في القرن الهجري الاول وقيام الدول والممالك الاسلامية في غرب افريقيا على اطراف حزام الغابات الاستوائية بكتابات الرحالة والمؤرخين المسلمين الذين زاروا وكتبوا عن تلك المناطق قبل خمسة قرون ^(٣) من وصول اول اوروبي اليها . هذا باعتراف

(١) سيد عبدالمجيد بكر - الاقليات المسلمة في افريقيا - سلسلة رابطة العالم الاسلامي الشهرية - يونيو ١٩٨٥م ص-

١٠/٩

(٢) د/شوقي الجمل - تاريخ كشف افريقيا - الطبعة الثانية ١٩٨٠م .

(٣) المرجع السابق .

الاوربيين انفسهم . فقد وصل القائد المسلم عقبة بن نافع الى منطقة تبستي الواقعة حاليا بين ليبيا وتشاد في اواخر النصف الاول من القرن الهجري الاول (حوالي عام ٦٠هـ / ٦٧٩م) ^(٤) . وهناك بعض المصادر تذكر ان حملة اسلامية وصلت الى اعالي نهر السنغال عام ٧٢٠م ^(٥) .

اما هنا فنستشهد بكتابات اولئك المستكشفين الاوربيين الذين اثبتوا في مذكراتهم انهم كلما اكتشفوا مكانا جديدا وجدوا ان المسلمين قد سبقوهم اليه . ومنهم حصلوا على معلوماتهم الاساسية عن تلك المناطق . بل ان اول بعثة استكشافية اوربية وصلت الى شرقي افريقيا بعثة اسبيك وجون بيرتون (Speak and John Burton) في يونيو عام ١٨٥٧م كانت قد قدمت اليها على سفينة من عدن يملكها مسلمون .. وعندما وصلت البعثة زنجبار اكرمها السلطان مجيد سلطان زنجبار . ونقلها على يخته الخاص الى ميناء باما مويو على الساحل الشرقي لافريقيا ^(٦) .

في مذكراته المنشورة في كتاب : النيل الابيض (The white Nile *) . يورد اسبيك ان العرب الذين وجدهم حول بحيرة تنجانيقا اخبروه بوجود بحيرة ضخمة (وهي البحيرة التي ينبع منها نهر النيل) تقع بعد مسيرة ثلاثة اسابيع ، مما يعني انهم قد خبروا المنطقة وتجولوا فيها . هذه البحيرة وصلها اسبيك في اغسطس عام ١٨٥٨م ونزل عند شاطئها الجنوبي عند بلدة مونزا واطلق عليها اسم فكتوريا (اسم ملكة بريطانيا بادئا بذلك تاريخا طويلا استمر حتى يومنا هذا في طمس الاسماء والتاريخ والهوية الافريقية على ايدي الاوربيين) . ثم كتب يقول : (لقد صحت رواية العرب بحذافيرها فهذه البحيرة اوسع رقعة من

(٤) سيد عبد الحميد بكر - الاقليات المسلمة في افريقيا - سلسلة رابطة العالم الاسلامي الشهرية - دعوة الحق - يونيو .

١٩٨٥م ص ٦٧ - ٦٨ .

(٥) المصدر السابق ص ٦٦ .

بحيرة تنجانيقا بكثير) .

ومثلما فعل اسبيك قام صوميل بيكر (S . Baker) بطمس اسم بحيرة لوتاتزيجي عندما وصلها في ١٤/٣/١٨٦٤م فاطلق عليها اسم بحيرة البرت تخليدا لاسم زوج ملكة بريطانيا الذي توفي في تلك الفترة واطلق اسم مرشيزون رئيس الجمعية الجغرافية البريطانية على الشلالات المعروفة اليوم باسمه .

كذلك فان الاسكتلندي منجوبارك المعروف بانه مكتشف نهر النيجر ، بدأ رحلته من مصب النهر في يناير ١٧٩٦م وقد وصف في كتابه المعنون (رحلات في المناطق الداخلية بافريقيا

Travels In The Interior Districts Of Africa) مدينة سيجو التي وجدها على نهر النيجر بقوله (ان منازلها مبنية من الفخار المربع وان المساجد منتشرة فيها ، وقدر عدد سكانها بثلاثين الف نسمة) (٧) .

وفي عام ١٨٢٢م ارشد تاجر مسلم منا فزان يدعى محمد الوردي المستكشفين بيرتون واودني (عبر بلاد

الهوسا واصلهم الى كوكا غربي بحيرة تشاد ومنها الى مدينة كانو الحالية في نيجيريا . فقال بيرتون في مذكراته انه وجد (المسلمين يحكمونها ولها سلطان وسوق ضخمة غاية النظام ، وللسوق خمسة عشر بوابة تغلق ليلا) (٨) .

وبيرتون (Burton) زار مدينة لاغوس على ساحل المحيط الاطلسي فوجد ان المسلمين قد سبقوه اليها بزمان طويل . ولهم فيها املاك وعقارات وعندما وصل الى مدينة سوكتو (حاليا في شمال نيجيريا) وجد سلطانها

Moorehead , Alan : The White Nile (New York 1960)

(٦) د/شوقي الجمل - تاريخ كشف افريقيا (الطبعة الثانية ١٩٨٠م)

(٧) المصدر السابق ص ١٠٤ .

(٨) المصدر السابق ص ١٠٦ .

المسلم مشغولا بالاعداد لمعركة فلم يتمكن من توقيع الاتفاقيات التي كلفته وزارة المستعمرات البريطانية بتوقيعها معه .

وفي عام ١٨٧٤م زار استانلي (Stanley) الملك (امتيه) الذي كانت تقوم مملكته في مكان اوغندا الحالية ، وقد كتب في مذكراته انه جلس عدة اسابيع ينتظر السماح له بمقابلة الكباكا (الملك) ولم يسمح له الا بعد طول انتظار . وقد اعطاه الكباكا اذنا حمله معه كوثيقة رسمية يستطيع بموجبها التجول في مملكة الكباكا . وهذا يدل على انه كانت هناك دولة قائمة بالفعل لها نظامها ولها حدودها ونظمها الداخلية مما يعني ان مفهوم الدولة كان معروفا ومطبقا .

قبل قدوم الاسلام الى افريقيا كانت المسيحية محصورة في مصر القديمة واثيوبيا وعلى نهر النيل حتى منطقة شمال السودان الحالي . حيث كانت تقوم ممالك مسيحية في دنقلا وعلوة والمقرة . ولما اكتسح الاسلام شمال افريقيا وتوغل جنوبا فشمّل شرقها ووسطها وغربها حتى اطراف الغابات الاستوائية . وامتد على سواحلها الشرقية جنوبا ودخل الى المنطقة الواقعة جنوب الغابات الاستوائية لم تكن في افريقيا سوى دولة مسيحية واحدة هي امبراطورية الحبشة فوق الهضبة الاثيوبية تحاصرها الدويلات الاسلامية وحتى هذه الامبراطورية كانت ستخضع للمسلمين في اواخر القرن التاسع عشر لولا تدخل اوربا .

فقد قام الانجليز وحلفاؤهم بعد هزيمتهم على ايدي المهدي وطردهم من السودان بتحريض اباطرة الحبشة المسيحية ومدهم بالسلاح لوقف تقدم المد الاسلامي شرقا . تصدى للاجباش اثنان من كبار قواد المهدي هما حمّـسـدان

ابوعنجه^(٩) الذي هزمهم وطارد فلولهم الى ماوراء مدينة غندار الحالية في الهضبة الحبشية ، ولما اعادوا الكرة بقيادة امبراطورهم يوحنا نازلهم الزاكي طمل. وهزمهم في معركة فاصلة اصيب فيها الامبراطور وهلك^(١٠) .

في عام ١٨٧٦م اجتمع ملوك اوربا في بروكسل بدعوة من الملك البلجيكي ليوبولد الثاني (في مؤتمرهم المعروف باسم مؤتمر بروكسل لكشف الاقاليم في قلب افريقيا ونشر الحضارة فيها) وهو المؤتمر الذي بدأ به الاستعمار الاوروبي المخطط الصليبي لغزو افريقيا .

هذا المؤتمر كون لجنة اطلق عليها اسم الهيئة الدولية لكشف افريقيا وادخال الحضارة فيها (International Association For Exploration And Civilizing Of Africa وعلى الرغم من ان هذه الهيئة كانت تضم فرنسا وانجلترا والمانيا والنمسا وايطاليا فقط الا ان المستعمرين استخدموا لفظ (الدولية) بقصد التميويه واكساب مخططهم سمة كاذبة وهو ما درجت عليه الدول الغربية الى يومنا هذا . فيطلقون صفة الدولية على كل لجنة او مشروع ثم يوطنوه لخدمة مصالحهم .

الطريف في الامر انه في نفس ذلك العام (١٨٧٦م) الذي كان ينعقد فيه مؤتمر بروكسل لاستكشاف وتحضير افريقيا ، كان المستكشف استانلي قد وصل الى مدينة نيانجوي التي اقامها المسلمون في قلب افريقيا ووجد فيها حضارة راسخة ومدنية متقدمة حيث شاهد القصور والحدائق والناس يرتدون الحرير وينامون على اسرة محمية بالناموسيات (الستائرالحامية من

(٩) حمدان ابو عنجه والزاكي طمل من كبار قواد المهديّة وهما من ابناء جنوب السودان الذي تعمل الكنائس حاليا على فصله واقامة دولة مسيحية فيه .

(١٠) ضرار صالح ضرار / تاريخ السودان الحديث ص ١٩٢/١٩٣ و 1951 , P. Theabald, The Mahdia .

الناموس^(١١) .

وفي هذه المنطقة بين بحيرة تنجانيقا والشلالات التي عرفت فيما بعد بشلالات استانلي اقام المسلمون نظاما للحكم استكمل كل مقومات الدولة^(١٢) وكان يرأس هذه الدولة حميد بن محمد المرجبي المعروف في التاريخ الافريقي باسم تيبو تيب (Tippu Tip) وهو الذي قال استانلي في مذكراته انه استعان به ليدله على نهر لوالابا .

حيث سبق ان قام برحلات عديدة قبل قدوم لفنجستون اول مستكشف اوروبي يطأ ارض تلك المنطقة . وكان لفنجستون يريد ان يعرف ما اذا كان هذا النهر متصلا بنهر النيل ام نهر الكنفو . ومات دون ان يحقق هذا الهدف فجاء ستانلي ليكمل المهمة ويهدد للاستعمار .

حكم حميد المرجبي^(١٣) . هذه الدولة من عاصمته كاسنجو حتى عام ١٨٩٠م وخلفه ابنه سيفو . وكانت كاسنجو ترتبط بطرق تجارية حية عبر اوجيجي بزنجبار في شرق افريقيا ومن خلالها مع الدول والسلطنات الاسلامية وخطوط التجارة الدولية .

وقد شهد عدد من الكتاب البلجيكي وغيرهم من الكتاب الاوربيين بان هذه الدولة كانت قد بلغت شأنا عظيما من التقدم . وكانت بها قصور مؤثثة بافخر الاثاث ومساجد ومدارس يدرس فيها الطلاب الافارقة القرآن الكريم وعلوم الدين واللغة العربية والحساب .. وهذا ماجاء في كتاب تشكيل افريقيا الحديثة (The Making Of Modern Africa) المجلد الاول وقد شارك في وضعه

(١١) د.شوقي الجمل / تاريخ كشف افريقيا ص ١٨٧ .

(١٢) يورد الدكتور عبدالرحمن عبدالله الشيخ في كتابه (دول الاسلام وحضارته في افريقيا) الطبعة الاولى

١٤٠٣/١٩٨٣م ص ٤١ (ان دولة حميد المرجبي قامت في اعالي نهر الكنفو عام ١٨٧٠/١٨٩٠م .

عدد من المؤلفين هم عمرابانبريلي كوبر واي .ايه جافين وأر .جي وأفغبو .
 اول مركز استعماري في وسط افريقيا اسسه استانلي باسم ملك
 بلجيكا عام ١٨٨٠م، وكان ذلك هو بداية الاستعمار البلجيكي لهذه
 المنطقة وقد استمر حتى ١٩٦٠م . واستانلي هذا هو الرجل الذي
 جاء بدعوى كشف افريقيا لكن هدفه الحقيقي كان خدمة اهداف
 الدول التي ارسلته فاسس عددا من المستعمرات . ووقع كثيرا من
 الاتفاقيات التي خدع فيها زعماء القبائل الافريقية ممهدا بذلك الطريق
 امام الاستعمار الاوربي للقارة الافريقية .

وفي عام ١٨٨٤م كانت الولايات المتحدة الامريكية اول بلد يوافق رسميا
 على استعمار بلجيكا للكنغو .

وفي يوليو ١٨٨٥م اعلنت بلجيكا قيام ما أسمته بدولة الكنفو
 الحرة (كلمة حرة هنا تعني انها مفتوحة امام التجارة وبمنأى عن
 التنافس الاستعماري . وليس لها صلة بكلمة حرية المعروفة) كأول
 مستعمرة واعلن الملك ليوبولد نفسه رئيسا لها . وظلت بلجيكا تستعبد
 ابناء الكنفو الذين قالت انها جاءت لتحضيرهم حتى استاء الاستعمار
 الاوربي نفسه من ممارساتها الوحشية ، وثار ضدها كما سنرى فيما بعد
 اضطرت المستعمرة التي اقامتها بلجيكا باسم دولة الكنفو الحرة عام
 ١٨٨٥م للاعتراف بسلطة حميد المرجي على هذه المنطقة عندما عجزت
 عن التخلص منه . او اخضاعه لسلطتها فاتبعت معه سياسة (تمسك حتى
 تتمكن) ، وشيثا فشيئا حاصرت دولته ثم طلبت منه ان يسمح باقامة
 قوة بلجيكية صغيرة من ضابط وبضعة جنود في الجزيرة المواجهة
 لشلالات استانلي كموقع استراتيجي مستقبلي . وتعيين ممثل للسلطات

البلجيكية في بلاطه حتى يكون عيناً عليه . في هذه الاثناء كان المرجبي يعمل سراً على جمع وتكديس الاسلحة إستعداداً للحرب وقد اعلنت مجموعة من القبائل الافريقية ولاءها وانضمامها تحت زعامته ضد الاستعمار البلجيكي . ومن الزعماء المحليين الذين تحالفوا معه ضد المستعمرين جونجو لوتيني ولوينجو . وأورد ذلك سدني هند في كتابه (The Fall Of The Congo Arabs) وهند هذا طبيب بريطاني كان عضواً في الجمعية الجغرافية البريطانية واشترك في الحملة العدوانية التي قادها البلجيكي دانس ضد دولة المسلمين في وسط افريقيا عام ١٨٩٢م . كانت دولة المرجبي تحظى بتأييد المواطنين وعدد كبير من زعماء القبائل . والذين لم يكونوا ينظرون الى المسلمين على أنهم أجنب أو مستعمرون . وقد مرت بنا شهادة جرينفل الوزير في أول وزارة وطنية في الكنفو بعد الاستقلال حيث كتب يقول : (لقد زور البلجيكيون كل شئ في الكنفو . فليست مدينة ستانلي قيل سوى مدينة تيبو تيب (حميد المرجبي) التي أقامها قبل قدوم الرحالة استانلي . لقد ترك المسلمون لنا لغة متولدة من لغتهم وديننا وحضارة وسماحة تسوي بين كل الناس . كما تركوا على أرضنا دماءهم ، والبلجيكيون يحصدونهم بالاسلحة الحديثة . ليس العرب كما قيل لنا تجار رقيق وإنما هم تلك الموجه الانسانية التي اختلطت بنا وصاهرتنا) .

أول ما عمدت اليه السلطات الاستعمارية البلجيكية لاضعاف دولة المرجبي كان محاصرتها اقتصاديا . فحولت طرق التجارة من شرق القارة الى غربها لاضعاف مركز المسلمين الذين تعتبر طرق التجارة هي الشريان الذي يربطهم بشرق القارة والعالم الخارجي . وكانت واحدة من البوادر الأولى لتوجيه افريقيا غربا الى اوروبا ضمن الجهود التي مازالت مستمرة لتغريبها وقطع صلتها بالشرق .

كان لنجاح حركة المهديين الذين رفعوا لواء تصحيح العقيدة وتخليص المسلمين من ظلم وجور الحاكم غير المسلم ، والمسلم الذي لا يتمسك بتعاليم الاسلام في

تحرير السودان عام ١٨٨٥م من الاستعمار الانجليزي وهم عزل الا من سلاح العقيدة ، وكتابتهم للملكة بريطانية يدعونها لدخول الاسلام ، وارسالهم الجيوش لمصر لاعادة حكامها الى الالتزام بالاسلام ، والى الحبشة لادخالها في الاسلام أثر عظيم نبه المستعمرين الى الدور الفعال الذي تلعبه العقيدة الصحيحة في النفوس . وحفز المسلمين في وسط افريقيا للوقوف في وجه أول سلطة استعمارية هناك بدأت تمد نفوذها في الكنفو .

انطلقت الشرارة الأولى عام ١٨٩٢م عندما هجم المسلمون على ممثل الاستعمار البلجيكي في منطقة لومامي ثم هاجموا الحاميات الأخرى التي أرسلتها السلطات البلجيكية لتأسيس المراكز الاستعمارية الأولى .

في ذلك العام بعث ممثل المستعمرة البلجيكية في بلاط السلطان سيفو (الذي خلف والده المرجبي) رسالة الى الكابتن دانيس قائد قوات الاحتلال يبلغه فيها وفقا لما أورده سدني هند (أنه سجين في قصر الزعيم العربي . وان سيفو خرج من كاسنجو على رأس عشرة آلاف مقاتل مسلحين بالبنادق والسيوف . وأنه أعلن (أي سيفو) اذا لم يسلم البلجيكيون له جونجو (الذي كان قد نقض تحت ضغط وإغراءات المستعمرين عهده معه وانضم اليهم حيا أو ميتا ، ويجلوا عن المنطقة التي يعتبرها سيفو تحت سيطرته بمقتضى الاتفاقيات السابقة التي وقعها البلجيك مع والده ، فإنه سيعبر نهر لومامي ليقضي على قوة البلجيكيين ويستولى على كل الأقليم الممتد حتى مدينة (ليوبولدفيل) ، ومن هنا يتضح ان البلجيكي في بلاط السلطان سيفو كان جاسوسا عليه . ولولا أنه ابلغ دانيس مبكرا بتلك التحركات ربما تغير مجرى التاريخ في وسط افريقيا .

(١٢) برره الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ / المصدر السابق / ص أن تيبو ولد في اوائل عام ١٨٤٠م وبدأ حياته العملية في التجارة وفي ١٨٦٧/٧/٢٩م قابل لفنجستون في قرية تبعد ثلاثة ايام عن بحيرة مويرو وقدم له مساعدات فعالة .

والاتفاقية التي يتحدث عنها السلطان سيفو هي (اتفاقية زنجبار) التي كان (المستكشف) استانلي قد وقعها مع حميد المرجبي قبل اربعة عشر عاما تقريبا باسم سلطات الاستعمار البلجيكي ونصت على أن يكون نهرلومامي هو الحد الغربي لدولة المرجبي .

في ١٨٩٢/١١/٢٦م عبرت القوات المحتلة نهر لومامي بعد أن هزمت قوات سيفو واستولت على بعض الحصون . وقدر هند الذي اشترك في هذا الاعتداء عدد الذين قتلوا بين صفوف الجيش المدافع بأكثر من ثلاثة آلاف مابين قتل وغريق .

انسحب سيفو الى عاصمته كاسنجو ليستعد لمعركة جديدة ، واستطاع أن يخوض عدة معارك انتصر فيها ... لكن القائد موهارا قائد منطقة نيانجوه قتل برصاصة طائشة في ١٨٨٣/١/٩م فقد كان الافارقة حديثي عهد بالأسلحة النارية وقد اشتهر عن موهارا أنه لم يهزم في أي معركة ، وكان يكرر قوله أنه يفضل أن يقتل في ميدان الحرب من أن يشاهد جيشه يهزم أمام عينيه .

وكان لوفاة موهارا انعكاس سيئ على قوات سيفو فسارع البلجيكيون في اعقاب وفاته بالهجوم على مدينة نيانجوي . وكانت مدينة كبيرة على الضفة اليمنى لنهر لولابا ومركزا تجاريا هاما ، فاستولوا عليها في مارس ١٨٩٣م وعمدوا لتخريبها . واشعال النار فيها للقضاء على أي أثر للمسلمين فيها ثم برروا ذلك بقولهم أنهم كانوا يخشون خيانة أهلها المختبئين في المساكن ففضلوا احراقهم^(١٤) . وفي ١٨٩٣/٤/١٧م تقدمت قوات الاحتلال جنوب كاسونجو واحتلتها ، فسقطت بذلك عاصمة دولة المسلمين في وسط افريقيا ، يقول سدني هند الذي كان مع الجيش الغازي أنهم وجدوا أن أهلها كانوا ينامون على اسرة مغطاة بالحبر ،

وكل منهم مزود بكلية (ناموسية) . كما وجدوا الستائر المعلقة على النوافذ ، وكانت المنازل محاطة بحدائق البرتقال والموز ، وغيرها من الفواكه . ووجد الجيش المحتل في مخازن المدينة كميات كبيرة من الارز والذرة والصابون والأطعمة ، وغنموا اعداداً كبيرة من الاغنام والماشية . واورد ايضا أنهم وجدوا أن كل منزل كان ملحقاً به حمام ، وهي ظاهرة تمثل قمة التحضر في القرن التاسع عشر داخل غابات افريقيا ، وقال : (ان المدينة مقامة على حافة غابة ازيلت أشجارها ليزرع مكانها قصب السكر والذرة والارز والفواكه) وهذه المحاصيل كان المسلمون هم أول من أدخلها الى افريقيا (١٥) .

لم يكن المسلمون هنا مستعمرين والدليل على ذلك أن قوات افريقية كثيرة هبت لنجدتهم والوقوف الى جانبهم ومنهم القائد روماليزي الذي جاء من اوجيجي وعبر بحيرة تنجانيقا ثم وضع نفسه تحت امرة سيفو .

بعد أن كسب الملك سيفو أكثر من معركة ضد البلجيك اصيب في شهر ديسمبر عام ١٨٩٣م وكان جرحه قاتلاً فتسلم الراية بعده روماليزي الذي تحصن على الضفة اليمنى لنهر ليولندي ، واقام ثلاثة حصون على الطرق المؤدية الى كاسونجو . كما أقام جسراً على النهر ليؤمن اتصاله بمدينة كابا مباري حيث كان يتحصن زعيم افريقي آخر يدافع عن وجود المسلمين يدعى نزيجي وهو الابن الأكبر لجونجو ليوتيببي الذي خدعه المحتلون فانضم اليهم ، كما ذكرنا سابقاً ثم قتلوه فيما بعد بتهمة التأمر .

في هذه الاثناء استطاع راشد بن نزيجي أن يكون جيشاً اتجه به للانضمام الى قوات روماليزي ، وقد بلغ الدعم الشعبي للجيش المدافع ذروته

١٥ - كذلك أورد الدكتور عبدالرحمن عبدالله الشيخ في كتابه دول الاسلام وحضارته في افريقيا شهادة المندوب السامي البريطاني في

شرق افريقيا Charles Eliot (ان تيبوتيب قام بدور حضاري هام في هذه المناطق) .

فكانت الامدادات والمؤن تتدفق على القوات المحاربة من المنطقة الواقعة حول بحيرة تنجانيقا .

هذه الاستعدادات أخافت القوات الاستعمارية فاضطرت لطلب نجدة سريعة من أوروبا رأساً ، ومن غرب القارة ... وقد وفد عدد كبير من الضباط من مختلف الجنسيات الأوروبية ، لدعم البلجيكيين . فحاصروا القوات المدافعة عن المدن الرئيسية . وقطعوا طرق الإتصال بينها وخطوط الإمدادات والماء إليها .

ودارت المعارك بعد ذلك واستشهد فيها عدد كبير ، ودمر الغزاة الحصون . وسقطت مدينة كابامباري فانطفأت بذلك شمس هذه الدولة التي أقامها المسلمون في قلب القارة الفريقية . وانشأوا فيها مدناً متحضرة أدهشت الأوروبيين بما وصلت إليه من تقدم واشاد كتابهم بما شهدوه فيها من حضارة وعمران .

والآن لنا أن نتساءل ... هل استطاع البلجيكيون إقامة حضارة أزهى من التي وجدوها وسط افريقيا وقوضوها ليقيموا مستعمرة الكنفو مكانها ؟

لم يكن موضوع هذا البحث مخصصا لتتبع تاريخ الاستعمار في افريقيا وانما ابانه حقيقة تراكت عليها رواسب كثيرة ، وهي ان افريقيا لم تكن مغلقة ولا معزولة عن العالم الخارجي عندما جاء اليها الأوروبيون . وان الحضارة الاسلامية كانت قائمة فيها . ومقبولة من جانب الافريقين الذين كانوا يؤمنون بها ويدافعون عنها ولهذا فان اجابتنا على السؤال ستكون في شكل أمثلة مختصرة .

الذين درسوا تاريخ افريقيا يعرفون أن الأوروبيين كانوا واعين من الوهلة الاولى الى أن هدف ليوبولد الثاني كان هدفا استعماريا . واثبت تطور الاحداث أن ما قام به البلجيك أو غيرهم من الأوروبيين سواء الفرنسيين أو الانجليز أو الايطاليين وقبلهم الاسبان والبرتغاليون كان جميعه يتنافى مع أبسط المفاهيم والقيم الحضارية ... وان النظرة الأوروبية لافريقيا كانت تراها كنزا ينتظرهم . وينبغي

استغلال أبنائها وثرواتها لتحقيق التقدم والازدهار والرفاهية داخل أوروبا .
 القى ليوبولد الثاني ملك بلجيكا ومستشاره بجميع الخطب الطنانه التي
 تتحدث عن التحضير وراء ظهورهم ، واصدر الملك الذي عين نفسه رئيسا
 لمستعمرة الكنفو امرا في يوليو ١٨٨٥م اعتبرت بموجبه جميع أراضي الكنفو ملكا
 خاصا للحكومة البلجيكية . ثم اصدر عام ١٨٩١م قانونا جعل جميع الفيلة والعاج
 واشجار المطاط ملكا خاصا للتاج البلجيكي ، وبموجبه اجبر جميع المواطنين على بيع
 مالديهم من هذين الصنفين للسلطات الاستعمارية ، وفي عام ١٨٩٦م اصدر ليوبولد
 قرارا آخر وضع بموجبه حوالي ١٢٠٠٠ ميل مربع من الارضي الغنية بغابات
 المطاط ضمن ممتلكات التاج البلجيكي . واصبح عائدها يذهب الى بلجيكا رأسا ،
 ولايضمن في ميزانية المستعمرة .

ثم تواصلت القوانين الصادرة من الملك ليوبولد الثاني ولم يكن يرد فيها
 سوى المنح السبل التي تصدر وتستنزف خيرات وموارد الكنفو . ونقل ثرواتها
 الى بلجيكا . فمنحت الشركات الكبرى اراضي تحتكرها ويكون للملك ليوبولد
 شخصا أو للحكومة البلجيكية نصيب من ارباحها ، واعطيت هذه الشركات
 والسلطات الادارية المستعمرة صلاحيات واسعة للتحكم في رقاب المواطنين حتى
 تحقق اقصى مايمكن من الارباح .

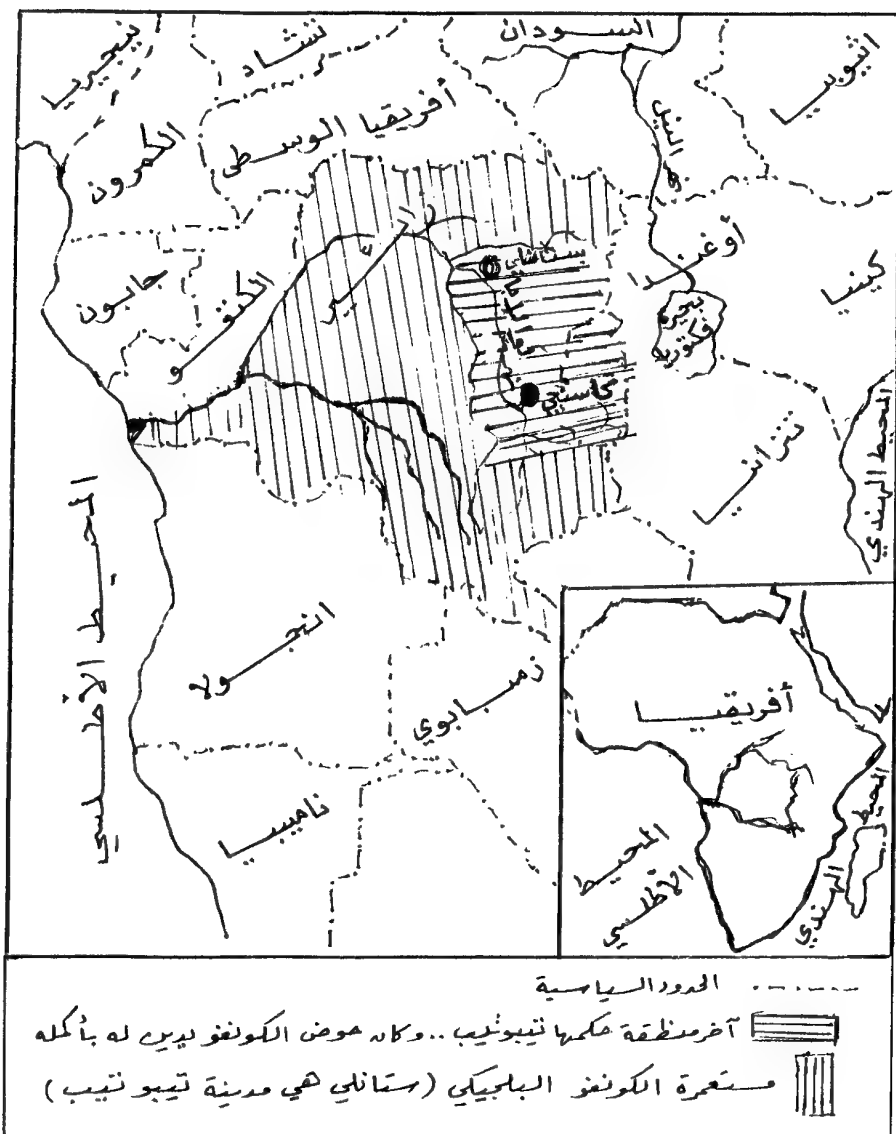
فصدر أمر يقضي بأن يحصل كل مواطن على تصريح من السلطات
 الاستعمارية اذا أراد مغادرة قريته الى قرية أخرى ، أو لزيارة اقاربه في منطقة
 أخرى ، واصبح كل من توجد عنده بموجب هذه القوانين ادنى كمية من المطاط أو
 العاج يحكم عليه بأنه سارق رغم انها منتجات وطنه وتوقع عليه أقصى العقوبة .
 ويجبر المواطنون على جمع المطاط والعاج وتقديمها للملك المستعمرة ، وكل من يعجز
 عن تقديم الحصة المقررة عليه توقع عليه أقصى عقوبة . فكان القتل رميا

بالرصاص أو قطع الأيدي عقوبة ينفذها المشرفون على العمال دون الرجوع إلى أية جهة عليا . وكان الإستيلاء على الاراضي التي في حوزة الافريقي وعلى زوجته واولاده أمر شائع لمجرد تقصيره في السخرة المرغم على اداؤها ^(١٦) .

وقد قال السير جلبرت باركر عضو مجلس العموم البريطاني عام ١٩٠٣م أمام هذا المجلس ، (أن الوضع في الكنفو اصبح عارا يلصق بحضارتنا ، فالكنفو اليوم سجن كبير وكل عامل بجانبه حارس يرقب حركاته ، وترتب على ذلك أن سكان الكنفو الذين كان عددهم ٢٠٠.٠٠٠ نسمة اختفى منهم ٣٠.٠٠٠ في ظل حكومة الكنفو) وهي الحكومة الإستعمارية التي رأسها الملك ليوبولد الثاني الذي رأس مؤتمر بروكسل عام ١٨٧٦م لتحضير افريقيا .

وكانت الصحف البريطانية تنشر صورا كاركاتورية للملك ليوبولد الثاني جالسا على عرش من جماجم الكنفوليين محاطا بحقائب الذهب .

فما اقيم في المدن البلجيكية ومازال قائما من أبنية ومتاحف وحدائق وحظائر بل وكنائس وغيرها من مشروعات كان جميعه من الكنفو ، بقرة بلجيكا الحلوب كما كان يطلق عليها في اوربا . ومايقال في البرلمانات الاوروبية ، أو يكتب في الصحافة لم يكن يجد اذنا صاغية لدى الملك ، أو مستشاريه وكان الرد المفحم يوجه دائما الى تلك الدول فتذكر بما تفعله الشركات الفرنسية والبريطانية وماينفذه ممثلو الحكومات الاوروبية الاخرى من أعمال مماثلة في مستعمراتهم الافريقية فلا يجرو أي منهم على انتقاد الآخر .



دولة المسلمين وسط أذغال أفريقيا قبل أن يثدها الاستعمار
(عن كتاب كفت أفريقيا (ص ٢١٨) برصرف)

(٩) دولة الفولاني

بعد انهيار دولة سنغاي الاسلامية سادت منطقة السودان الغربي فترة من الفوضى استمرت حوالي قرنين من الزمان ، تعرض المسلمون خلالها للتشردم والإقسام الى امارات صغيرة متناحرة . فكانت امارة جوبير (احدى امارات الهوسا) تتصارع على السيادة مع امارة زمرا ، وتصارعت امارات أخرى مثل كيببي ، وكاتسببا ، وكانو ، وناوشت دولة البرنو ^(١) وادى الصراع وعدم الاستقرار الى عدم التركيز على النواحي الثقافية والدينية ، واختلطت العادات الوثنية بالتقاليد الاسلامية . وصار غالبية الحكام يحملون لقب مسلم شكلا دون فهم واع لاصول هذا الدين . وعندما ادرك أحد ابناء الفولاني المسلمين بما ألم بالدين على ايدي هؤلاء الحكام ، أعلن الجهاد في سبيل الله لاعادة الدين الاسلامي الى أصوله وقواعده ، وصارت امارة جوبير هي الساحة التي انطلقت منها هذه الحركة الجهادية والتي بنجاحها في عام ١٨٠٤م ^(٢) على يد الشيخ عثمان بن فوديو (عثمان دان فوديو) قامت دولة اسلامية كبرى اعادت للدين الاسلامي مكانته في المنطقة ، وبدأت مرحلة جديدة من الدعوة الاسلامية في وسط غرب افريقيا . موجهة الى المسلمين لتصحيح اسلامهم والى غير المسلمين للدخول في الاسلام ، والى المجتمع لاقامة شرع الله ^(٣) ، والشيخ عثمان بن فوديو ينتمي الى شعب الفولاني وهو شعب كبير ينتشر في غرب افريقيا منذ القدم ، وقد تعددت الاراء والنظريات حول تحديد نسبهم وأصلهم ، فالفلانيون ينسبون انفسهم الى (العياض بن اسحاق) ومن ابناء العياض هذا (فلان بن العياض) واذا صح هذا النسب

١ - د / عبدالله عبد الرازق ابراهيم - المسلمون والاستعمار الأوروبي لافريقيا الكويت ذو القعدة ١٤٠٩هـ - يوليو ١٩٨٩م ص ٣٩ .

٢ - المرجع السابق ص ٣٨ .

٣ - د / حسن عيسى عبد الظاهر - الدعوة الاسلامية في غرب افريقيا وقيام دولة الفولاني الرياض ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ص ١٥١ .

يكونون قد سموا باسم جدهم الأول . ويرى بعض الباحثين أن تسميتهم بـ (الفولاني أو الفلاته) تسمية عربية ^(٤) وقد يكون مصدرها الافلات من الحدود ، اذ هم شعب رحل ينتشر في المنطقة من حوض السنغال الى حوض النيل . ومن ناحية الجنس يرى البعض أنهم جنس مستقل له خصائصه ، مع اختلاف هذه المجموعة ايضا في تحديد هذا الجنس هل هم زنوج أم حاميون . ويذهب البعض الآخر الى أنهم شعب خليط من عدة أجناس حدث بينها امتزاج ومصاهرة أدت الى تميز الفولاني .

ولكن الروايات تكاد تجمع على أن أصل الفولاني واصهارهم التوردب تعود الى جذور شرقية عربية ، وعلماء الفولاني وكتابهم يعمقون أصول نسبهم حتى يوصلوه بالخليل ابراهيم ابي الأنبياء عليه الصلاة والسلام ، والفلاينيون لم يكونوا وحدهم جماعة الشيخ عثمان بن فوديو . فالجماعة ضمت الفولاني والهوسوي والزنجي . ومنهم من كان مسلما أصلا . ومنهم من دخل الاسلام على يد الشيخ وأعوانه من الدعاة . وطريق اقامة دولة الفولاني الاسلامية لم يكن سهلا ممهدا . بل تواصل جهادهم بقيادة الشيخ عثمان قرابة ٤٠ عاما ، تعرضوا خلالها لمطاردة الحكام وتضييق في العيش مما اضطرهم الى الهجرة أكثر من مرة وإلى خوض عدد من الحروب استشهد الآلاف منهم فيها .

وقد ولد الشيخ عثمان بن فوديو بقرية طقل بأرض جوبير في صفر ١١٦٨ هـ (ديسمبر ١٧٥٤م) ونشأ في بيت اشتهر بالعلم والصلاح وكان ابوه محمد فوديو عثمان يلقب بالفوديو أي الفقيه . وقد أولع منذ صغره بالعلم والعبادة معا . وكان دؤوبا جلدا في طلب العلم ، شغوفًا به حتى غرق من كل فروع المعرفة الاسلامية . ولم يزل مجتهدا في طلبه والرحلة اليه حتى صار شيخا يقتدي به ،

وانتهت اليه الرئاسة والامامه ، وشهد بعلمه علماء زمانه ^(٥) .

ولما بلغ العشرين من عمره بدأ حلقات التعليم وتوافدت عليه جموع المسلمين وازداد أتباعه يوما بعد يوم ^(٦) الأمر الذي أقلق مضجع أمير جوبير فحاول اعتراض طريقه ، لكنه أحس بخطورة الموقف فانحنى للعاصفة وترك الشيخ وسبيله . بل وافق على قيام مجتمع اسلامي في مدينة ديجل من دون أن يتعرض للشيخ وأتباعه . لأنه أحس أن الشيخ عثمان لم يهين نفسه لملك أو سلطان بل كان عاكفا على العلم والتعليم .

مات حاكم امارة جوبير وجاء من بعده حاكم آخر يدعى « نافاتا » فأدرك قوة أتباع الشيخ عثمان ، وأحس بالخطر على ملكه ، فما كان منه الا أن أصدر مرسوما يتضمن مايلي :

أولاً : عدم السماح لأي شخص باعتناق الدين الاسلامي الا من ورثة من أجداده .

ثانياً : لا يسمح لأحد بلبس العمامه بعد تاريخ المرسوم ، والا تضرب امرأة بخمارها على وجهها .

ثالثاً : عدم السماح لأحد بالوعظ الا الشيخ عثمان نفسه .

واذا حللنا بنود هذا المرسوم النافاتي نجد أنه وضع للحد من نشاط الشيخ . وعدم السماح لدخول أناس جدد في الدعوة المحمدية ، وعودة النساء الى السفور والخروج عن تقاليد الشريعة الاسلامية ، وقصر الوعظ على الشيخ نفسه ، وكل هذه الامور تعرقل مسيرة الكفاح والجهاد ، ونشر الدعوة .

٥ - المرجع السابق ص ١٦٢ .

٦ - مراحل قيام دولة الفولاني وجهاد الشيخ عثمان بن فوديو وأتباعه نقلا عن كتاب د / عبدالله عبد الرازق ابراهيم -

المسلمون والاستعمار الاوروبي لافريقيا - الكويت ١٩٨٩م - ص ٤٢ - ص ٤٩ .

كان من الطبيعي أن يعارض فريق من أتباع الشيخ هذه الأوامر ، وخصوصا عبدالله بن فودي الأخ الأصغر للشيخ وساعده الأيمن في حركته الاصلاحية ، فقررا الوقوف بعنف ضد هذه الاجراءات مهما كلفهم ذلك من مشاق ، لكن الشيخ عثمان عارض استخدام القوة لأنه في بداية طريق طويل . ولا يريد الدخول في صراع مع الطبقة الحاكمة حتى لا تتشتت جهوده وتتبدد محاولاته ، وينصرف عن هدفه الأسمى وهو اعلاء كلمة الدين ، ورفع راية الاسلام والمسلمين خفاقة بين السكان الوثنيين . وفي الوقت نفسه أدرك الشيخ ان الصدام مع الحكام مؤجل الى حين ، فقبل المرسوم ، وهو يعلم علم اليقين ان الدائرة سوف تحل على هؤلاء المشركين ، لأنه يؤمن بانتشار الدعوة الاسلامية بالطرائق السلمية حتى يحين الوقت لاعلان الجهاد المسلح ضد كل من يقف في سبيل الله والدين .

كان هذا المرسوم بداية مرحلة جديدة من جهاد المسلمين في غرب افريقيا . ويعتبره بعض المؤرخين الطلقة الأولى التي أشعلت نور الجهاد هناك . ولكن شاءت الأقدار أن يموت هذا الحاكم بعد قليل من اصدار مرسومه في عام ١٨٠٣م . وخلفه ابنه سونفا الذي كان أحد تلاميذ الشيخ عثمان . ووعد الحاكم الجديد بالغاء ما جاء في المرسوم واطاعة أوامر استاذه ، والسماح له بحرية الوعظ والإرشاد ، لكن هذا الحاكم شعر بخطر الشيخ فانقلب ، ووصلت به الحال الى التفكير في قتل شيخه واستاذه والتأمر على أتباعه وأعوانه ، وتعقدت الأمور وازدادت العلاقات سوءا بعد رفض الشيخ أن يسلم أحد رجاله ويدعى عبدالسلام لهذا الحاكم الجوييري الذي هاجم بلدة عبدالسلام ، وقتل الناس وهم نيام في شهر الصيام ، وقادى هذا الحاكم في إذلال المسلمين وعلى رأسهم الشيخ عثمان حيث طلب منه ترك الجماعة ، والعيش في المنفى وحيدا ، لكن الشيخ رفض ترك جماعته ، وقرر التحرك بهم الى مكان بعيد يدعى جودو . وهنا اصدر الحاكم

أمرا بالقبض على الشيخ ، وطلب من حكام الامارات قتل المسلمين ومصادرة أموالهم وغزو القرى الاسلامية ، ونهب مافيها ، فكان هذا العمل بداية الجهاد واعلان قيام الامبراطورية الاسلامية .

بعد أن صار الشيخ قائداً واماماً لجماعة من المسلمين من الفولاني الذين وجدوا فيه ارتفاعاً لشأنهم ، وتقجيلاً لآمال طالما كانوا يحلمون بها فصاروا عدته وسلاحه ضد قوى البغي والضلال .

كانت الهجرة الى مدينة جودو بداية تأسيس امبراطورية الفولاني التي اتخذت من مدينة سوكونتو عاصمة لها ، وأخذ الشيخ معه الانصار والاتباع الى أطراف الصحراء وهناك أقروا له بالطاعة والولاء ، وحلفوا اليمين على طاعته على الكتاب والسنة ، وحمل الشيخ لقب أمير المؤمنين ذلك اللقب الذي استمر مع الخلافة حتى نهايتها في عام ١٩٠٣م كما حمل لقب خليفة وهو اللقب الذي حمّله أبناؤه وذريته من بعده .

كانت هذه البيعة بداية الجهاد ، وإيذاناً بالأخذ بنظام الخلافة الاسلامية ، ذلك لأن البيعة كانت تعني نقل الجهاد من الدور السلبي الى الدور الايجابي الجديد ، وانتشرت أخبار الجهاد ضد حكام الهوسا ، وأصدر الشيخ وثيقة أهل السودان التي صارت اعلاتنا رسمياً للجهاد ، حيث حدد الشيخ الاسس التي بني عليها الجهاد ، واقترت هذه الوثيقة مبادئ منها : ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب اجماعاً ، وان الهجرة من بلاد الكفار واجبه اجماعاً ، وان الجهاد واجب اجماعاً وان قتال البغاة واجب اجماعاً .

كان الرد العملي على الوثيقة ان ارسل الحاكم الى اخوانه الامراء في كل من كاتسينا وكانو ، ودورا يطلب منهم يد المساعدة لأنه (اهل شرارة من النار في امارته حتى اتسعت رقعتها وزادت حدتها ، وصار فوق احتماله القضاء

على خطورتها ٠

تزعّم سلطان جويبر جبهة المعارضة ضد الشيخ عثمان ، وصارت الحرب وشيكة بين المؤمنين والوثنيين ، لم يجد الشيخ بدا من اعلان الجهاد في سبيل الله ، فلبى تلاميذه النداء لأن ارتباطهم به لم يكن مجرد حلقات درس تنتهي ، بل كان الارتباط عميقا بالحب والتقدير ، فكانوا له مؤيدين . تكبدوا المعاناة وتحملوا عبء الكفاح عندما هاجم الشيخ امارّة جويبر اثر قرار حاكمها بتأديب الشيخ عثمان ، فحدث الإلتحام ، وبدأت الحرب وانتقلت الدعوة من مرحلة السلم إلى مرحلة الجهاد المسلح ، وبعد أن اغار حاكم جويبر على قوى المسلمين وممتلكات الموحدين .

وفي الرابع من يونيه عام ١٨٠٤م تقدمت قوات الجهاد بزعامة عبدالله بن فودي الذي اخلّى مواقعه في جودو توقعا لهجوم من سلطان جويبر ، واتجه الى بحيرة تابكين كوتو ، وعلى ضفاف هذه البحيرة أطبق المسلمون على قوات البغي والعدوان ودارت عليها الدائرة ، فهرب من وجد سبيلا لذلك وسقط في ساحة المعركة الكثير ، وتفرق شمل الأعداء في أول مواجهة حاسمة في الجهاد ، لكن النصر لم يكن نهائيا لأن فلول المشركين عادت ، بعد أن جمعت قواتها في سنة ١٨٠٥م وبدأت الهجوم من جديد على الشيخ وجماعته ، ودارت معركة تسونسو التي هزم فيها المسلمون في البداية ، وراح منهم أكثر من ألف شهيد ولكنهم صمدوا للهجوم .

استمرت الحرب سجالا بين الطرفين دون تفوق طرف على الآخر ، وتمكنت قوات الجهاد من السيطرة على امارّة كيبى واتخذتها عاصمة لها . وتوالى سقوط امارات الهوسا في ايدي المسلمين حيث سقطت زاربا عام ١٨٠٥م واستمر النصر حليفا للشيخ واتباعه حتى تحقق النصر المبين ، ودخل عاصمة الامارة وتسمى

الكالالا في عام ١٨٠٨ م ، وتم قتل السلطان يونفا مع عدد من أتباعه ، وانتهت مقاومة الوثنيين ، وصارت كلمة الذين آمنوا هي العليا ، وتوافدت القبائل زرافات ووحدانا الى معسكر الشيخ تعلن الدخول في الاسلام والانضمام الى حلف المسلمين وتوسعت دولة الفولاني ، وتكونت اماراة جديدة ، واعطي الشيخ اعلاما لاتباعه لاعلان الجهاد في مختلف المناطق ، فتوسعت رقعة الدولة ، ودخل الناس تحت راية الجهاد ، وانتقل الشيخ الى مدينة سيفاوا عام ١٨٠٩ م ، بينما ابنه محمد بلو في مدينة سوكونتو .

وعادت المنطقة الى حكم المسلمين ، ولأول مرة تشكلت وحدة سياسية كبرى أطلق عليها امبراطورية الفولاني .

وقامت دولة الفولاني على نظام الخلافة الاسلامية ، وصار الخليفة يشرف على كل امارات الدولة ، وتأصلت جذور الدعوة الاسلامية فنمت وترعرعت وآت أكلها وقسك المسلمون بالشريعة الغراء ، وساد الأمن ارجاء المنطقة التي ازدهرت بها الحضارة الاسلامية .

وفي عام ١٨١٢ م ، اقتصر دور الشيخ على التأليف والوعظ والارشاد بعد أن قسم الامبراطورية الى قسمين : قسم شرقي تحت اشراف ابنه محمد بلو ، والآخر غربي تحت اشراف اخيه عبدالله بن فودي ، وكرس الشيخ الجزء الباقي من حياته في التأمل والدراسة في مدينة سيفاوا حتى وافاه الأجل المحتوم في ١٨١٧ م ، بعد أن أرسى قواعد دولة اسلامية . وحكم ابناؤه من بعده مدة قرن من الزمان حتى سقوط هذه الخلافة في ايدي البريطانيين في عام ١٩٠٣ م . لقد لعب ابناء الشيخ واحفاده دورا بطوليا ضد الاستعمار الاوروبي الذي تكالب على مناطق الدولة الاسلامية ابتداء من الربع الاخير للقرن التاسع عشر وخاضوا صراعا مريرا ضد الجيوش البريطانية التي جاءت للقضاء على هذه الحضارة الاسلامية الزاهرة . لكن

رغم سقوط الدولة عسكريا الا ان الاسس التي وضعوها والنظم الاسلامية التي ساروا عليها ادهشت الاوربيين وجعلتهم عاجزين عن ابدال تلك الحضارة الراسخة بنظم جاءوا بها فاضطروا للابقاء عليها مؤقتا حتى يتسنى لهم فرصة الانقضاض على الدولة الفولانية والقضاء عليها .

وقد حاولت بعض الكتابات المغرضه ان تقلل من اهمية الجهاد وبخاصة الكتاب الغربيين مثل (Webster) وبستر في كتابه سنوات الثورة في غرب افريقيا منذ عام ١٨٠٠م (West Africa , Since 1800 The Revolutionary Years In) والذي زعم فيه ان الجهاد كان صراعاً سياسيا بين الهوسا والفولاني استخدم فيه الفولاني عامل الدين في مناورة عسكرية للسيطرة على بلاد الهوسا . ومثله ميك (Meak) في كتابه القبائل الشمالية في نيجيريا (The Northern Tribes of Nigeria) والذي يرى ان جهاد الفولاني كان يخفي وراءه اطماعا سياسية في ثوب الاصلاح الديني (٧) .

ولكن هذه الافتراءات مردود عليها فقد اتفق جميع المؤرخين المنصفين على ان الحركة ارتكزت اساسا على الاسلام . ويرى العالم النيجيري عبدالله سميث في كتابه (الثورة الاسلامية في القرن التاسع عشر) (٨) ان الحركة كانت اكثر من محاولة مجموعة من الرجال المحرومين من اجل السيطرة السياسية لصالحهم . بل كانت حركة فكرية تهدف الى خلق مجتمع مثالي تسوده الشريعة الغراء . فالفولاني لم تجمعهم عصبية لقبيلة معينة ولا كونهم ابناء منطقة معينة . فاتباع الشيخ كانوا يتزايدون مع رحلاته وفي حلقاته العلمية ، لم يكن يتعهدهم بالتعليم فقط ولكن بالتربية والتوجيه السليم ، ويحاول جهد طاقته ان يقيم لهم منهجا اسلاميا فهما وتطبيقا ، ولم يكن الرابط بينهم تمذهبهم بمذهب واحد معين ، او انطلاقهم من منطلق الوطنية او القومية ، ولم يكن الشيخ هو المعلم الوحيد في

وطنه حتى يقال ان تجمع الناس حوله كان ضروره بل كان هناك المئات غيره ، ولم يكن الشيخ ولا الدعوة التي يدعو اليها من اهل السلطان حتى يتجمعوا عليها رغبة او رهبة ، بل كان الامر بالعكس فكان الداعيه ابعد علماء مجتمعه عن هذا الميدان واشدهم بغضا له ، فقد كانت الدعوة الى الاسلام هي العروة الوثقى التي تجمعت حولها جماعة الفولاني . الدعوه الموجهة الي المسلمين لتصحيح اسلامهم والى غير المسلمين للدخول الى الاسلام والى المجتمع لاقامة شريعة الاسلام ^(٩) .

وقد تناولنا بشئ من التفصيل هذه الدولة لان اصولها ممتدة حتى الان في نيجيريا والتي تدين للشيخ عثمان واتباعه بانها حاليا اكبر دوله اسلاميه في افريقيا جنوب الصحراء . ولان ابناء الفولاني تحملوا شرف الدعوة حتى بداية الغزو الصليبي الاستعماري لافريقيا في مطلع القرن العشرين وسقط منهم الآف القتلى شهداء العقيدة الاسلامية .

(٧) د/ عبدالله عبد الرزاق - مصدر سابق ص ٤٨ .

(٨) المصدر السابق ص ٤٨ .

(٩) د/ حسن عيسى عبدالظاهر - مرجع سابق ص ١٥٠/١٥١ .

الفصل الثالث

كيف يعمل المنصرون في أفريقيا

كيف يحمل المنصرون في افريقيا

فيما سبق استعرضنا جوانبا من التاريخ المشرف للاسلام في افريقيا . وقدما نماذج لعديد من الدول التي اقامت حضارات تليده التزمت الاسلام منهجاً متكاملأ للحياة دينا ودوله امه وحكومته ، فكرا وعباده . وان هذه الدول حافظت على كيانها وعلى قوتها ، في ظل تمسكها بهذا المنهج . وعانت من الضعف بعدما بعدت عنه او حاولت تجزئته ولعل من اسباب ابتعاد هذه الدول عن الاخذ بالمنهج الاسلامي يتمثل في تهاون المسئولون فيها وسماحهم لدخول المنصرين في بعثات منظمة الى ديار المسلمين الافارقة . والتي هي مستمرة في مخططاتها . وكانت تطوره طبقا للظروف والمتغيرات . وفي هذا الفصل نتعرض لدراسة وردت بالتفصيل في ملفات مؤتمر كلورادو لتنصير المسلمين والتي بحثت في ذلك المؤتمر تحت عنوان : (الوضع بين الاسلام والمسيحية في افريقيا جنوب الصحراء) ^(١) وتتضمن مقترحات لاختب وحدث الاساليب لاجراء المسلمين من دينهم وادخالهم في المسيحية قدر المستطاع .

وهذه الدراسة اعدّها جيرالد سوانك مساعد المدير العام للبعثة التنصيرية العاملة في بلاد السودان . والمسئول المباشر عن الكهنوتات التي تتولى مهمة التنصير وسط المسلمين هناك وهو مزود بخبرة ٣٨ عاماً في العمل التنصيري في كل من السودان ونيجيريا . ومؤلف كتاب :

(امكانيات التنصير الواسعة بين سكان وسط نيجيريا) هذه الرسالة افرد لها ملف كلورادو ١٨ صفحة معززة بالخرائط والرسوم البيانية والجداول الاحصائية المقارنه . وقد غطت ٢٨ بلدا وفيها عرض مفصل للكيفية التي يعمل بها المنصرون في تلك البلاد .

١/ Gerald O. Swank , The Comparative Status of Christianity And Islam In Sub - Sahra (١)

Africa, (The Gospel And Islam) 1978, P. 236 - 254 .

هذه البلدان صنفّت على أنّها (بلدان إفريقيا جنوب الصحراء) ويلاحظ أنّ جزءاً كبيراً من الدول العربية وعدداً من الدول الإسلامية التي ليس فيها وجود مسيحي . ضمن هذه المنطقة المستهدفة . والدول التي وردت ضمن الدراسة هي السودان والصومال وتشاد وجيبوتي ومالي والسنغال واثيوبيا ونيجيريا وأوغندا وكينيا وغانا وداهومي وليبيريا ومدغشقر وملاوي وساحل العاج وغينيا وجزر القمر والكاميرون وإفريقيا الوسطى وموزمبيق والنيجر وغينيا بيساو وفولتا العليا وسيرالون وتوجو وتنزانيا وغامبيا (٢) .

في هذه الدراسة طرح سوانك خمسة أسئلة أساسية وفيما يلي نص الأسئلة ومعالجتها ونترجمها كما وردت .

١/ ماهي صورة المسيحية في عيون المسلمين ؟

٢/ كيف ينظر المسيحيون للمسلمين ؟

٣/ ماهي العلاقة بين الإسلام والمسيحية ؟

٤/ مامدى معرفة المسلمين بالمسيحية ؟

٥/ ماهو الوضع المقارن للتعليم وسط كل من المسيحيين والمسلمين وما هو تأثير المسيحيين في السياسة والحكم ؟

فيما يلي أهم ماورد في الدراسة :

يقول سوانك : (الإسلام هنا يشكّل تأثيراً حقيقياً إذ يوجد ٧٠ مليون مسلم من بين ٨٠ مليون مسلم في إفريقيا جنوب الصحراء لم يتم تنصيرهم بعد (أي تم تنصير عشرة ملايين) وهنا لابد من الإشارة الى التأثير الفعال والفرص الشمينه التي اتاحها انتشار الراديو والترانزستور وهجرة المسيحيين الى المدن والاضاع الصناعية الجديده وانتشار الابريشيات والاديره التي اصبحت تقامس عملها بحرية في مناطق كثيرة . وقد أورد سوانك انه في احد اقاليم نيجيريا طرد

اثنان من المنصرين بين المسلمين فرفعت الكنيسة الموضوع للجهات الرسمية التي تفهمت الوضع على حد قوله واعادتهما فاستمرا في اداء مهمتهما .
ثم يوردهناك اكثر من ٧٠ ٪ من هذه الدول تمت اسلمتها (كلمة تمت اسلمته أو أسلمتها هي المصطلح الذي استخدمه سوانك في هذه الدراسة ليقول لمستعميه ان الاسلام دخیل على هؤلاء الناس وقد اخفى عنهم ان الاسلام وجد في اجزاء واسعة من هذه المنطقة قبل المسيحية بعدة قرون) كما في جزر القمر وجيبوتي وغامبيا ومالي والنيجر والسنغال والصومال . وفي دول اخرى تشكل العقيدة الاسلامية ما بين ٣٥ - ٧٠ ٪ كما في السودان وتشاد واثيوبيا ونيجيريا وسيراليون وفولتا العليا . اما المجموعة الثالثة فالاسلام يشكل فيها ٣٥ ٪ من عدد السكان وهذا يعني ان ١٤ من الـ ٢٨ بلدا موضع الدراسة يتخذ الاسلام فيها مكانه جوهرية . وله قابلية كبرى للتوسع فيها وهذه غير البلدان التي يشكل فيها وجوده ١٠٠ ٪ كما في الصومال وجزر القمر وجيبوتي .

يذكر سوانك ان استبياننا من عدة اسئلة وجه لتجيب عليه المنظمات المكلفة بالتنصير هنا وسط المسلمين وكان السؤال الاول عن عدد المسلمين الذين استطاعت ان تعرض عليهم الاسلام وكانت الاجابة ان النسبة بلغت في نيجيريا واوغندا ٥٠ ٪ ... ويقول : (هناك ٢١٣ قبيلة في افريقيا جنوب الصحراء اما انها ادخلت الاسلام باكملها او انها اسلمت بشكل واسع ونسبة تبلغ ٧٥ ٪ واعلى من ذلك وان خط الاسلام يمتد عبر افريقيا الى ما بين ١٠٠ / ٢٠٠ ميلاً تقريبا جنوب الصحراء الكبرى . هذا الخط ظل يتقدم جنوبا باستمرار منذ القرن السادس وحتى حوالي عام ١٩٥٠ م .

ولقد تصدت المسيحية للاسلام في افريقيا جنوب الصحراء واستطاعت ان توقف تقدمه جنوباً . والمسيحية اليوم تكسب مزيدا من الاتباع بين ذوي الديانات

التقليدية اكثر مما يكسب الاسلام وهو يتزايد هنا بالاساليب البايولوجيه (يعني انه لا يدخله اناس جدد وانما بالانجاب ... هذه المعلومات غير صحيحة طبعاً ونعتقد ان سوانك يعلم ذلك لكنه يريد تحفيز زملائه لتكثيف نشاطهم) .

ويتحدث سوانك عن القبائل المسلمة بقوله : ((هناك مجموعات قبلية كثيرة لم تؤسلم بشكل واسع لكنها تضم مسلمين كثيرين فمثلا قبيلة الماكوند في جنوب تنزانيا عدد افرادها ٥٥٠ الفا وتمتد الى داخل اراضي موزمبيق . من الماكوند ٩٠٪ يقولون انهم مسلمون وقد اتخذوا عام ١٩٩٠ / ١٩٩٢م اسماء اسلامية وامتنعوا عن اكل لحم الخنزير . ويلتزمون بنسبة ٣٠٪ باداء الصيام و١٠٪ منهم يؤدون صلاة الجمعة ، لكنهم لم يتخلوا عن عاداتهم واعتقاداتهم التقليدية . ولديهم محرمات طقوسية ويمارسون السحر)) . ثم يمضي للقول .

بهذا المقياس الاخير يتضح ان ٨٠٪ من ابناء هذه القبيلة مازالوا يتبعون معتقدات فاسدة ولا يمارسون الا نسبة ضئيلة من التقاليد الاسلامية . بين الماكوند قيادات قليلة متعلمة معظم المدرسين لا يستطيعون قراءة القرآن بل يرفضون تدريس الاسلام في المدارس (وتأمل ايها القارئ الكريم كيف يعمل المنصرون على جمع تفاصيل ادق المعلومات) ويضيف :

((لقد اعطت هجرة الماكوند الذين يعيشون في موزمبيق الى تنزانيا وهم احيائيون متعصبون دعما قويا للعمل التنصيري وسط هذه القبيلة فهم اشد اقبالا على السفر والترحال ولديهم استعداد اكثر لدخول المسيحية بدل الاسلام كما ساعد تطلعهم للتعليم والمعرفة على انشاء ابرشيات صغيرة وسط تجمعاتهم المهاجرة وعبرهم امكن التأثير على ماكوند تنزانيا المسلمين)) .

المثال الثاني من شمال نيجيريا حيث توجد قبيلة النوب (Nupe) وعدد افرادها ٥٨٧ الفا وهي بهذا تشكل امبراطورية اسلامية واسعة وعمل بعثات التنصير

المنظم بدأ وسطهم منذ عام ١٨٩٠م وفي عام ١٩٠١م وبعد ثلاثة محاولات تمكنت البعثة الداخلية لتنصير بلاد السودان من انشاء مركز تنصيري في وسط قبيلة النوب ثم دخلت بعثة ثالثة بعد ذلك التاريخ باربع او خمس سنوات ... يقول سوانك : (هؤلاء الناس مسلمون بدرجة عالية فبالرغم من العمل التنصيري المكثف بينهم خاصة في مجال التعليم الا انه لم يحرز تقدما يذكر وامكن تنصير عدد ضئيل جداً إذ أوضحت دراسة اجريت عام ١٩٧٠م انه تم تنصير ١٥٠٠ شخص فقط واليوم هناك ٥٠٪ من اعضاء هذه القبيلة لا يدرون ماهو الإنجيل ، هذان المثالان يوضحان مدى الصعوبة التي تواجهها الكنيسة في جهودها لاختراق المجتمع الاسلامي) .

هذا قول سوانك نفسه وهو شهادة بين شهادات كثيرة وردت في الكتاب تؤكد على رسوخ الاسلام الذي كما نعلم لا يحتاج لاي شهادة من المنصرين او غيرهم . حالياً يوجد ٢٩ مليون شخص لم يتم تنصيرهم بعد ، ينتمون لـ ٣٣٦ قبيلة أخرى على خط المواجهة مع الإسلام ولا بد من تنصيرهم ، لأن المسلمين يسابقوننا في الوصول الى هؤلاء الناس . والاحتمال الأكبر هو أن يصبحوا خلال الخمسة والعشرين عاما القادمة (قدمت الدراسة عام ١٩٧٨م) إما مسلمين أو مسحيين . ويمضي سوانك في عرض هذه المعلومات الدقيقة بناء على دراسات ميدانية تم اجراؤها عن جميع القبائل والطوائف والتجمعات الطائفية . فيقول : العيساويون طائفة مسلمة في شمال نيجيريا . ظهرت عام ١٨٤٣م . ويسبب تقديسهم للمسيح اعتبروا من قبل المسلمين المتطرفين (المسلم المتطرف مصطلح يطلق على المسلم المتمسك بدينه والمدافع عنه) خارجين عن الاسلام . ويسبب اعتقاداتهم وممارساتهم اللا اسلامية نبذهم المسلمون . كما أن المسيحيين لم يقبلوهم . لكن في السنوات الثلاث الأخيرة أبدوا استجابة واضحة للمنصرين . وقبل عدة شهور مضت من

عام (١٩٧٨م) صرح زعيمهم وأتباعه الثمانمائة برغبتهم في دخول المسيحية هذا في رأينا ورغم أنهم مجرد مجموعة صغيرة الا أنه يشكل شقا آخر في جدار الاسلام .

المثال الآخر من قبيلة الفولاني . وهم مسلمون بدو في غرب افريقيا ، عددهم حوالي (٨) ملايين وينتشرون من السنغال شمالا الى داخل دولة افريقيا الوسطى . ويعيش نصفهم تقريبا في نيجيريا ، ولهم يعود بالدرجة الأولى الفضل في أسلمة نيجيريا في القرن التاسع عشر ، فطبيعتهم البدوية جعلتهم يرعون قطعانهم حول القرى والمدن الزراعية ، حيث يوجد مسلمون داخلها يتبادلون معهم الحبوب والعلف مقابل الحليب ، طبيعتهم المتحركة جعلتنا نلجأ الى اقامة كنائس متحركة حتى نتمكن من الوصول اليهم ، وحاليا اثمرت جهودنا . يوجد على الأقل ثلاثة أو أربعة من ابناء الفولاني في كل واحدة من مدارس تدريس الانجيل الثماني في نيجيريا ، ونحن على قناة تامة بأن الفولاني على اعتاب الدخول الى المسيحية .

نموذج لوضع المسلم

الذي يتحول للمسيحية

ومن بين أفراد قبيلة الهوسا البالغ عددهم ما بين ١٢ - ١٥ مليونا ، ينتشرون في نيجيريا والبلدان المجاورة لها . هناك أقل من ألف شخص خرجوا من الاسلام ليدخلوا في المسيحية والعدد الأكبر من هؤلاء كان في النيجر والسبب أن مقاومة المسيحية هنا ضعيفة بين المسلمين ، وقد وصلت رسالة التنصير الى عدد كبير منهم نتيجة للعمل المكثف الذي بذل خلال ٣٥ عاما الماضية عبر الراديو الترانزستور ومن خلال الأدب المتداول . وبعض البعثات . ومستشفيات العيون . والعيادات الطبية الأخرى المنتشرة في شمال النيجر وفي شمال نيجيريا .

لقد أصبح من الأشياء الراسخة في تلك المناطق أن المسيحيين يوفون بكلمتهم .

ويمكن الاعتماد عليهم . وكثير من المسلمين هناك هذه الأيام يعتبر مايقوله المسيحيون هو الصحيح ، لكنهم يقولون أنهم لا يستطيعون ممارسة المسيحية عمليا . ويعني ذلك أن هناك ضغوضا اجتماعية كبيرة عليهم تمنعهم من أن يعيشوا كمسيحيين .

هنا انبه الى أنه في عملنا التنصيري يوجد عنصر بالغ الأهمية وهو أنه في كثير من الأحيان واثناء تقديم الانجيل للناس يقول المنصر اشياء تجعل من يستمع اليه ينفر ويرفض تقبل مايسمعه .

هناك كلمات معينة مشحونه بالعاطفه يستخدمها المنصر . تجعل الشخص المستهدف يصد عنها سواء جاءت مباشرة أو من خلال الراديو . ولهذا ينبغي على المسيحيين اكتشاف طرق وأساليب جديدة تمكنهم من الدخول الى عقل المسلم . وجعل المسلمين يستمعون الى رسالة التنصير لوقت كاف .

لقد اعطانا مركز بعثات التنصير المتطور ، أدوات مفيدة نستطيع بواسطتها تصنيف أي مجموعة من الناس ، وهذا يمكن تطبيقه على كل جماعة مؤسلمة حتى نتفهم الاسلوب الأمثل لاختراق كل وحدة اسلامية متجانسة .

وفي كتاب كنائس كينيا الذي صدر عام ١٩٧٣م نموذج توصيفي رائع لنوع المعلومات التي نحن بحاجة ماسة اليها . في اداء عملنا التنصيري بين المسلمين ويمكن جمعها مستعينين بخريطة كينيا التي تبين الجماعات التي لم يتم تنصيرها بعد كمثال يتبع .

هذا النموذج يوضح كيف أمكن اختراق المجتمعات الاسلامية الصغيرة في كينيا وهو مثال لما ينبغي تطبيقه في كل بلد توجد به أغلبية اسلامية . فبمجرد تمكنا من تصنيف أوضاع الناس . وظروفهم . ودراسة تكوينهم . نستطيع أن نبدأ العمل .

نحن بحاجة لاجراء دراسة من هذا النوع بين ٢٠ مليونا في نيجيريا

يشكلون عشر أو احدى عشرة مجموعة مختلفة . فمن بين اشياء أخرى علينا أن نعرف أي شريحة اجتماعية وسطهم لديها استعداد أكبر وأشد قابلية للاستجابة لنا ، في هذا الوقت . أو ماهي احتياجاتهم الملحة التي نوليها اهتمامنا اثناء تقديمنا الانجيل لهم ؟

نعود الى الأمثلة الأساسية التي طرحت في أول هذا الحديث .. ماهي صورة المسيحية في عيون المسلمين في افريقيا جنوب الصحراء ؟ وهل رأى المسلمون المسيحية على الطبيعة وفي الواقع المعاش ؟

نورد للإجابة على هذا السؤال واحدا من الأمثلة الرائعة فقد قال مسلمو الفولاني أنهم رأوا مدى التغير الذي حدث لدى شعب الجورماتشي منذ أن تحول الى المسيحية ... وأنهم مهتمون لهذا السبب بالمسيحية . السؤال الثاني كيف يرى المسيحيون المسلمون ؟ هو الآخر سؤال بنفس الدرجة من الأهمية ، وقد وجهت السؤال التالي للمسيحيين في غانا . ما رأيكم في شعب الداجومبا في شمال غانا وهل ترغبون في تنصيرهم ؟ وكانت الإجابة التي صاحبته هزة من الكتف أنهم مسلمون . وكأنه لا توجد امكانية دعك من وجود ضرورة لا يصال رسالة الانجيل الى هؤلاء الناس .

مثل هذه الإجابة كررها المسيحيون في عدد من الدول في غرب افريقيا فالبنسبة لكثير من المنصرين هناك أن العمل على تنصير المسلمين لا يرقى لمجرد الاحتمال . فهم يرون المسلمين اما أنهم خارج قدرة الانجيل لتحويلهم عن عقيدتهم أو انهم يرون أن ذلك غير مهم انطلاقا من قناعة فسيولوجية (دينية) .

ثم ماهي العلاقة بين المسيحي والمسلم ؟ وماذا عندما يتولى المسلمون السلطة . أو ماهي التغيرات التي تحدث عندما يكون هناك عدد من المسيحيين في وظائف حكومية ؟

مثلا تأثير المسيحيين في أواسط نيجيريا كان ذا أهمية استراتيجية فهناك عدد من حكام الأقاليم مسيحيون . وآخرون في وضع يمكنهم من التأثير على صناعة القرار وزعيم قبيلة الكاجورو الذي يتبعه ٢٠ ألف شخص يتولى منصب رئاسة مجلس زعماء القبائل فهو وآخرون مسيحيون ويشكلون تأثيراً عظيماً على ذلك المجلس الهام .

سؤال آخر ... ماهو الوضع المقارن للتربية العربية في أواسط المسيحيين مقارنة بمجتمع المسلمين ؟ عادة يكون المسيحيون هم الذين يتقدمون بسرعة أكثر من المسلمين ، وهذا يعطيهم وضعاً متقدماً على النخبة الإسلامية المتعلمة الذين تلقوا فقط تعليماً تقليدياً في القرآن واللغة العربية . انتهى كلام سوانك .

وأمام هذا الرصد الدقيق من جانب المنصرين لاغلك الا أن نتساءل عن ما لدينا من معلومات ودراسات ميدانية عن أوضاع هؤلاء المسلمين الذين يتربص بهم المنصرون من كل صوب ؟

فالخطط الصليبية التي يضعها المنصرون . ليست حبرا على ورق . ولكن سرعان ماتنتقل الى حيز التنفيذ ، وبكل دقة ، بل ويتجاوزها أحيانا المنصرون لمواجهة مايطرأ لهم اثناء عمليات التنفيذ .

ولم يتورع المنصرون عن استخدام كل الوسائل سواء كانت مشروعة (ونعني بذلك أنها مسموح بها من قبل الدولة التي يمارسون نشاطهم فيها) أو غير مشروعة لتنفيذ مخططاتهم ، بل وصل بهم الأمر الى استخدام القوة المسلحة لتغيير أنظمة الحكم التي تتراسها شخصيات مسلمة ، وتقوم بعرقلة نشاطهم ، وقد حدث ذلك في حقبة الثمانينات في اوغندا ، حيث أعاد المنصرون جيشاً من المتمردين الاوغنديين غالبيتهم من المسيحيين وقاموا بغزو اوغندا. انطلاقاً من تنزانيا التي كان يحكمها في ذلك الوقت القس جوليس نيريري ، وتمكنوا من

اسقاط حكم الرئيس عيدي أمين أول حاكم مسلم لاوغندا بعد أن اسبقوا الغزو بحملة قاسية لتشويه صورة عيدي أمين في الخارج ، وتصويره وحشا من أكلي لحوم البشر (٣) .

وما ذلك الا لان عيدي امين قد بدأ يهتم بالدعوة الاسلامية ونشر اللغة العربية (لغة القرآن) بين ارجاء بلاده . وبدأ يكشف الابعاد التنصيرية لبعض المدارس والمراكز الثقافية البريطانية المنتشرة في اوغندا . واحاط بالدور التخريبي الذي تقوم به الكنائس في هذا البلد الذي تقطنه غالبية اسلامية ، مما يؤكد ان السبب لم يكن سياسيا بل اخذهم على عيدي امين ان حكومته كانت تضم ٣٠ وزيرا بينهم فقط ثمانية مسيحيين ومطالبتهم بنصف مقاعد الحكومة في بلد كان المسلمون في ذلك الوقت يشكلون فيه غالبية تصل الى ٨٠ ٪ (٤) .

وحاول المنصرون تنظيم إنقلاب عسكري في نيجيريا وقد ثارت ثائرتهم لانضمام هذا البلد المسلم الى منظمة المؤتمر الاسلامي . وكانت اخر هذه المحاولات الفاشلة في ٢٢ ابريل ١٩٩٠م ولعل الله سبحانه وتعالى اراد بانتصارها المؤقت الذي دام ٢٤ ساعة فقط كشف الابعاد التنصيرية وراء ذلك الانقلاب . ففي البيان الاول والاخير الذي اذاعه المتحردون بقيادة جنرال يدعى جيجي اوجواز اوكا (٥) زعموا انها ليست انقلابا وانما ثورة ضد سيطرة مسلمي الشمال على وسط وجنوب نيجيريا الذي تقطنه على حد زعمهم اغلبية مسيحية ووصل بهم الامر الى فصل الولايات ذات الاغلبية الاسلامية عن نيجيريا واعلن الجنرال اوكا في البيان الذي اذاعه بعد سيطرتهم على الاذاعة الوطنية في نيجيريا « انه تم فصل ولايات الشمال الاقطاعية كاتسينا وكانو وبوشي عن باقي البلاد وان سيطرة

٣ - مجلة مراة افريقيا من اصدار منظمة الدعوة الإسلامية بالفيديو - الخرطوم ١٩٩٠م .

(٤) محمود شاكر - العالم الاسلامي ومحاولات السيطرة عليه ص ٦٢ .

(٥) وكالة رويتر للانباء - برقية رقم ٢٧ بتاريخ ٢٢ ابريل ١٩٩٠م .

ولايات الشمال الاقطاعية والارستقراطية اصبحت في الماضي » .

وقد جاء في البيان بالنص : « انها ثورة ضد حالة العبودية التي فرضها مسلمو الشمال الذين يتولون السلطة في نيجيريا على سكان الجنوب والوسط ، فالنظام الدكتاتوري للجنرال بابنجيدا جعل سكان الجنوب والحزام الواقع وسط البلاد يعيشون في عبودية . (٦) . والمحاولة الانقلابية ضد بابانجيدا تدخل في اطار الجهود التي يقوم بها المنصرون ضد نيجيريا هذا البلد المسلم منذ الاستقلال عن بريطانيا ، وذلك باثارة الفتن والنعرات العرقية بين اقاليمها الاربع الشمال والجنوب والشرق والغرب ، ومن اشهر المؤامرات الكنسية ضد هذا البلد تلك التي راح ضحيتها الشهيدان احمدو بللو حفيد الداعية الاسلامي عثمان دان فوديو ، وابويكر تفاوا وعائلتهما ، وبدأ التدبير لهذه المؤامرة منذ اوائل ديسمبر ١٩٦٥م عندما قام الميجور (تشوكومانزوغو) النصراني والذي كان يعمل مدرسا في المدرسة الحربية في الشمال بمناورات ليلية على انها مناورات تدريبية يجري فيها اطلاق النار وتحركات للقوات حتى اصبحت التحركات واصوات الرصاص مألوفا للسلطات ، وفي فجر ١٥ يناير عام ١٩٦٦م تحرك نزوغو بمجموعة من المتآمرين نحو منزل الزعيم احمدو بللو والقوا قنابلهم على الحرس القليلين ثم انتزعوه هو وزوجته من فراشه واطلقوا عليهما الرصاص ولم يهدأ حقدهم الى ان قطعوا الجثتين اربا ثم تركوا المنزل طعمه للنيران ، اما في العاصمة لاجوس فقد توجهت في نفس الليلة مجموعة اخرى من المتآمرين وخطفت رئيس الجمهورية الاتحادي ابويكر تفاو ووزير المالية الاتحادي فستوس اوكوني ايبو المتهم بملاوة المسلمين ، ونقلوهما مع بعض افراد عائلتهما بعيداً عن العاصمة ، حيث قتلوا جميعا بعد ايام من بدء المؤامرة . وباغتيال الشهيدين احمدو بللو وابويكر تفاوا خلى الجو للمنصرين فترة من الزمن

(٦) وكالة الانباء الفرنسية - برقية رقم ٢٨ بتاريخ ٢٢ ابريل ١٩٩٠م .

ادخلوا خلالها نيجيريا في دوامة الحرب الاهلية ، محاولة فصل بيافرا التي لاتزال اثارها باقية حتى اليوم . (٧) .

وهناك نموذج اخر أكثر وضوحا للتدخل العسكري ضد الدول الاسلامية في افريقيا وهو مايجري حاليا في جنوب السودان واعلان المتمردين صراحة وبدعم من الدول الصليبية والدوائر الكنسية العالمية انهم (لا يسعون لفصل جنوب السودان فقط وتكوين دولة مسيحية هناك بل يسعون لتحرير شمال السودان وبقية وادي النيل من الاستعمار العربي) (٨) . ومن اساليبهم ايضا اثارة القلاقل والاضطرابات بين الدول الاسلامية في افريقيا والتوتر الذي حدث بين الدولتين المسلمتين السنغال وموريتانيا عام ١٩٨٩م نتاج عمل هؤلاء المنصرين الذين يشيرون النعرات العنصرية وروجون للاختلاف بين العرب والافارقة وبين السود والبيض ، وكان هدفهم من اثارة الاضطرابات في ذلك التاريخ بعينه لان السنغال كانت ستستقبل بعد شهور قادة الدول الاسلامية لحضور القمة الخامسة لمنظمة المؤتمر الاسلامي لتكون اول دولة افريقية تترأس القمة الاسلامية (٩) .

ومن اساليبهم ايضا شن الحروب الاعلامية ضد الجماعات الاسلامية حتى تلك التي تعمل في الاطار السياسي الشرعي للدول الاسلامية وحتى تلك التي تخوض الانتخابات لتصل الى الحكم عن طريق صناديق الاقتراع وهو ماتدعو الدول الصليبية الي تحقيقه ولكنهم يشنطون غيظا عندما تفرز هذه الصناديق تفوق الاسلاميين كما حدث في الجزائر وظهروا حقدا شديدا عندما فازت

(٧) محمود شاكر - نيجيريا - مواطن الشعوب الاسلامية - مؤسسة الرسالة - بيروت - عام ١٩٧١م ص ٩٩/٩٦ .

(٨) انظر تفاصيل أكثر في فصل (تنصير السودان) من هذا الكتاب ص ٦٠ .

(٩) كان من المقرر عقد هذا المؤتمر في يناير عام ١٩٩١م الا انه أجل بسبب الغزو العراقي لدولة الكويت والذي انتهى

في مارس من نفس العام ، وعقدت القمة في الفترة من ٩ - ١٢ ديسمبر ١٩٩١م بدلا من ٢٣ - ٢٥ نوفمبر .

الجبهة الاسلامية للانتقاذ في اول انتخابات محلية تجري في الجزائر بعد الاستقلال ففور ظهور النتيجة خرجت معظم الصحف الاوربية والامريكية في اليوم التالي بالخبر على صدر صفحاتها الاولى وهي عادة لا تلقي اي اهتمام لقضايا العالم النامي وخاصة الداخلية مثل الانتخابات . فخصصت صحيفة الهيرالد تريبون الامريكية موضوعها الرئيسي في صدر الصفحة الاولى لنتائج انتخابات الجزائر تحت عنوان (صدمة الجزائر) ^(١٠) ونشرت صورا لزعيم الجبهة عباس مدني على اربع اعمده . وتحت عنوان مفاجأة الانتخابات كتبت مجلة نيوزويك الامريكية تقول : ان الفوز غير المتوقع للاصوليين في الجزائر يبعث رسالة انذار الى الدول المجاورة ولكل العالم العربي ^(١١) .

وعلى نفس النهج نشرت صحيفة التايمز البريطانية تعليقا مطولا حول فوز الاسلاميين في انتخابات الجزائر تحذرفيه من خطورة المد الاسلامي في منطقة المغرب العربي مشيرة الى تصاعد المعارضه الاسلامية، واستعداد الحكام العرب ضد هذا المد الاسلامي قائلة (ان الحكام درجو على ملاحقة السياسيين المتطرفين وتركوا الحبل على القارب لائمة المساجد يتحدثون في كل شئ فكانت هذه النتيجة) ^(١٢) .

رحلات بابا الفاتيكان وزياراته المتكررة لافريقيا تدخل هي الاخرى في اطار تنفيذ المخطط ويركز البابا في جولاته الافريقية على زيارة الدول التي ورثت الدول الاسلامية العظيمة في التاريخ الافريقي والتي تقع على امتداد حزام المواجهة وجنوبه ففي شهر يناير عام ١٩٩٠م خرجت دولة مالي بقيادة رئيسها المسلم

(١٠) صحيفة انترناشيونال هيرالد تريبون عدد ١٤ يونيو ١٩٩٠م .

(١١) كلمة نيوزويك الامريكية عدد ٢٥ يونيو ١٩٩٠م .

(١٢) جريدة التايمز البريطانية تاريخ ١٦ يونيو ١٩٩٠م .

موسى تراوري^(١٣) لاستقبال بابا الفاتيكان . واقامت له المهرجانات وهو الذي يقود حرب التنصير في بلادهم وفي بلاد غيرهم من المسلمين . وهذا الاستقبال وجده ايضا البابا في بلد مسلم آخر هو تشاد التي خرج رئيسها المسلم^(١٤) على رأس المستقبليين ثم في السودان عام ١٩٩٢م .

يؤكد جوسكين نفارو (GOSKIN NAFARO) المتحدث باسم الفاتيكان : ان افريقيا شأنها شأن امريكا اللاتينية بمثابة خزان للكاتوليكيين في المستقبل^(١٥) ويدلل على نجاح المخطط التنصيري بقوله : كل ما عليك ان تنظر الى الارقام ففي عام ١٩٠١م كان في افريقيا ١١ مليون كاثوليكي اما الان (عام ١٩٨٩م) فقد بلغ عدد المسيحيين في افريقيا ٨٥ مليوناً .

وهذا جاء نتيجة جهود متواصلة حتى انهم ترجموا الانجيل الى ٦٥٢ لغة ولهجة محلية افريقية^(١٦) . ويعتمد المنصرون في حروبهم الاعلامية ببثهم التعاليم النصرانية على اجهزة الراديو (البث الاذاعي) . لانها من الوسائل التي تمتاز بسرعة الانتشار واوردت وكالة الانباء الاسلامية الدولية في تقرير لها

تفاصيل عن اكبر مركزين للارسل لتنصير المسلمين . فالمركز الاول ومقره جزيرة سيشل يعمل بواسطة مرسلات قوتها ٢٣٠ كيلو واط من الواحد صباحا الى الثامنة مساءً ، ويبلغ مجموع ساعات الارسل ١٥٤ ساعة في الاسبوع وتذاع البرامج باللغات العربية والامهرية والفارسية والصومالية و الاوردو والسنهال

(١٣) الرئيس موسى تراوري من سلالة التروارين مؤسس دولة مالي التي بلغت ذروة مجدها في القرن الرابع عشر الميلادي وقد نشرت جريدة التايمز البريطانية بتاريخ ١/٢٩/١٩٩٠م صور له مع بابا الفاتيكان يشهدان مهرجانا شعبيا اقيم احتفاء بمقدم البابا .

(١٤) كان الرئيس التشادي في ذلك الوقت حسين حيري وقد تخرج من الازهر الشريف .

(١٥) د/ عبدالودود شلبي - حقائق ووثائق - مرجع سابق ص ٩٣ .

(١٦) مستشار رابطة العالم الاسلامي في اوغندا الشيخ عبده عبيد في حديث لوكالة الانباء الاسلامية بتاريخ

والسندي والبنجابي اضافة الى اللغات الانجليزية والفرنسية والبرتغالية .
 والمركز الثاني يتبع (اذاعة حول العالم) وهي مجموعة من مراكز الارسال
 وتتركز في سوازيلاند ومونت كارلو وقبرص ، ففي سوازيلاند توجد محطة
 للموجه المتوسطة قوتها ٥٠ كيلو واط ، وخمس محطات للموجة القصيرة اربع
 منها بقوة ٢٥ كيلو واط لكل منها ، وواحدة قوتها ١٠٠ كيلو واط ، وتقدم ٢٥٨
 ساعة من البرامج التنصيرية اسبوعيا ، وتذيع باللغات الصومالية والسواحلية
 والاوردو والهوسا والشيوا والانجليزية والفرنسية والالمانية والبرتغالية وعدد آخر
 من اللهجات الافريقية المحلية ، وفي قبرص محطة للموجة المتوسطة تقوى الارسال
 الذي تلتقطه من مونت كارلو وتذاع منها البرامج باللغات العربية والفارسية وبعض
 اللغات الاسيوية الاخرى ومدة ارسالها ٣٠ ساعة اسبوعيا .
 وتوجد في مونت كارلو محطات للموجة المتوسطة قوتها ١٠٠٠ كيلو واط وثلاث
 محطات للموجة القصيرة اثنان منها بقوة ١٠٠ كيلو واط والثالثة بقوة ١٠ كيلو واط
 ومحطة للموجة الطويلة قوتها ٢٠٠٠ كيلو واط .
 وتذيع برامجها باربعين لغة منها العربية واللهجة البربرية والتركية والالبانية
 وساعات ارسالها ١٣٠ ساعة في الاسبوع .
 والى جانب هذين المركزين الرئيسيين توجد اذاعات تنصيرية اخرى تنطلق من
 بوتسوانا وجنوب افريقيا وليبيريا وليسوتو واندونيسيا .
 وهناك برنامج تنصيري موجه الى الشرق الاوسط من امريكا يحتوي على مواد
 تنصيرية ومدة ارساله ١٢٦ ساعة في الاسبوع إضافة الى البرامج الاخرى
 الصادرة من الفلبين ومدة ارسالها ١٣٣ ساعة في الاسبوع .
 انها حملة شعواء تشن على كل الجبهات ولكن المسلمين عنها غافلون .
 وقد مرت بنا دراسة جيرالد سوانك التي تقف دليلاً قاطعاً على ان الصراع

في افريقيا ليس صراعاً سياسياً وإنما صراعاً دينياً موجه ضد الإسلام .
الذي لا شك فيه هو ان المنصرين يتبعون اساليب كثيرة وملتوية لنشر عقيدتهم
المنحرفة بين المسلمين ليضلونهم عن دينهم ، وبين غير المسلمين ليقطعوا امامهم
طريق الهداية الى الاسلام . وبين المسلمين لا يكتفون بالوسائل المسموعة
والمريئة وحدها بل يلجأون الى الطرق الخفية فيعمدون الى اختراق ثقافة
المجتمع لازالة الحاجز النفسي ضد افكارهم . ومن ثم تغيير مفاهيم الناس
وعاداتهم وتقاليدهم من خلال دس القصص والحكايات التنصيرية في ثنايا
الموروث الشعبي للقبيلة او الطائفة أو الطبقة الاجتماعية المستهدفة . فيتناقلها
الناس في اسماهم وامثالهم دون ان ينتبهوا لما تحمله من افكار معادية .
وكمثال على ذلك القول المشهور (اعط مالقيصر لقيصر وماله لله) او (الدين
للالة والمجد للوطن) وهي تعابير تقوم عليها نظريات سياسية واجتماعية تعني
الفصل بين الدين والدولة . وشائعة في كتابات الادباء والكتاب المسلمين . وفي
بعض المذاهب السياسية السائدة في بلاد المسلمين . وكذلك الخرافات التي
تزعم ظهور مريم العذراء واقامة مايسمى باحتفالات رأس السنة . واطفاء
الشموع في المناسبات الى غير ذلك . ويهتم المنصرون ايضا بتنمية ألفة
لرموزهم خاصة الصليبان بين الناس ويعملون على ترويجها بطبعها او نحتها
وتصويرها على الاشياء المستخدمة في حياة الناس اليومية . كالملابس والاعاب
الاطفال وعلى السجاد والمفارش ^(١٨) والمصوغات الذهبية والمعدنية مستغلين في
ذلك جهل الناس وعدم معرفتهم لاشكالها .

ولقد تنبته سيدتان فاضلتان في مدينة الدمام في المملكة العربية السعودية ^(١٩)
الى هذه الخدعة عام ١٩٨٨م وقامتا بطبع وتوزيع ورقه ارشادية لتنبيه المسلمين

(١٨) انظر صورة كيس الوسادة في آخر الفصل .

(١٩) السيدتان هما الدكتورة مريم خان ، والجمهورية بنت عبدالمحسن المعلمتان بكلية البنات بالدمام .

حتى يتجنبوا الوقوع في شرك المنصرين وذيلتا تلك الورقة برجاء الاعانه على توزيعها على نطاق اوسع . وهانحن ننقل اشكال تلك الصليبان^(٢٠) ومعانيها مع شئ من الاضافة راجين من الله حسن الجزاء والثوية لهما ولنا .
 مذكرين بان المنصرين يستحدثون كل يوم اساليب وطرقا شيطانية جديدة .
 فهدفهم هو القضاء على العالم الاسلامي كما قال المنصر الامريكي روبرت ماكس (لن يتوقف سعينا نحو تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في مكة ويقام قداس الاحد في المدينة) ، وقال المنصر الالماني هانز (لم يحدث ان اتفقت الكنائس واتحدت الا في هذا العصر الذي اتخذ فيه الجميع خطة تنصير المسلمين إقنوما رابعا يضاف الى الاقانيم الثلاثة التي تقوم عليها عقيدتنا نحن .
 المسيحيين) .

ولم يكتف المنصرون باطلاق المقولات العامة فقط بل حددوا مناطقاً ودولاً بعينها لتكثيف حملاتهم التنصيرية فيها . وكمثال على ذلك قال القس جون باتريك وهو يتحدث عن تنصير افريقيا (ان سقوط السودان في ايدينا يعني سقوط نصف افريقيا كلها وطرد العرب والمسلمين منها) .

واليوم لاتكاد تخلو مدينة في السودان من كنيسة ، والعاصمة المثلثة فيها

اكثر من احد عشر كنيسة ست منها في الخرطوم القديمة وثلاث في امدرمان (دون امتداداتها الجديدة) . واثنان في الخرطوم بحري جميعها تحتل افضل المواقع . وعند ملتقى طرق المواصلات . هذا بالإضافة الى عدد آخر من الكنائس التي اقيمت في السنوات الاخيرة في معظم احياء العاصمة دون ترخيص من السلطات . وقد بلغت ستا وعشرين كنيسة عام ١٩٨٩م^(٢١) .

وفي السودان تمتلك الكنائس شركات ومؤسسات ، وتدير اعمالا تجارية .

(٢٠) انظر تافصل السادس ص () .

(٢١) د . شليبي - مرجع سابق ص ١٦ - ١٧ نقلا عن كتاب التبشير المسيحي في العاصمة المثلثة لحسن مكي .

لتمويل مشاريعها التنصيرية كما كانت تستطيع إلى وقت قريب .أن تستورد ماتريد تحت غطاء الاغاثة والمساعدات دون أن تدفع أي جمارك أو ضرائب ^(٧) .

اذن هناك مؤامرات خطيرة تحاك في الظلام بإحكام شديد لسلخ السودان عن عقيدته الاسلامية وتحويلها من عقيدة فاعلة في مختلف أوجه الحياة ، الى ممارسات طقوسية خاملة ، وقد اكتشف المنصرون من تجاربهم الطويلة في العمل التنصيري أن أفضل مدخل لتحقيق هذا الهدف هو السيطرة على العقول ، ومتى ماتحقق لهم ذلك أصبح كل شئ سهلا ، ففي العقول تغير القيم والمفاهيم والمعتقدات وتغرس بذور التنصير ، صمويل زويمر صاحب دعوة تنصير المسلمين ، ورئيس جمعيات التنصير في الدول العربية في النصف الأول من هذا القرن قال في كلمته التي القاها أمام مؤتمر المنصرين العاملين في الدول العربية . والذي عقد في القدس عام ١٩٠٤م (ان مهمة التنصير التي ندبتكم الدول المسيحية للقيام بها ليست هي ادخال المسلمين في المسيحية ، وانما أن تخرجوا المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقا لاصلة له بالله ، وبالتالي لاصلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها وهذا ماقمتم به خلال المائة عام السابقة خير قيام .. وهو ما اهنكم عليه وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيين جميعا من أجله كل التهنية ، لقد قضينا ايها الاخوان في هذه الحقبة من ثلث القرن التاسع عشر الى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الاسلامية المستقلة وفي التي تخضع للنفوذ المسيحي أو يحكمها المسيحيون ، نشرنا في تلك الربوع مراكز التنصير والكنائس والجمعيات ، انكم أعددتكم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الاسلامية لقبول السير في الطريق الذي مهتدتم له كل التمهيد ^(٨) .

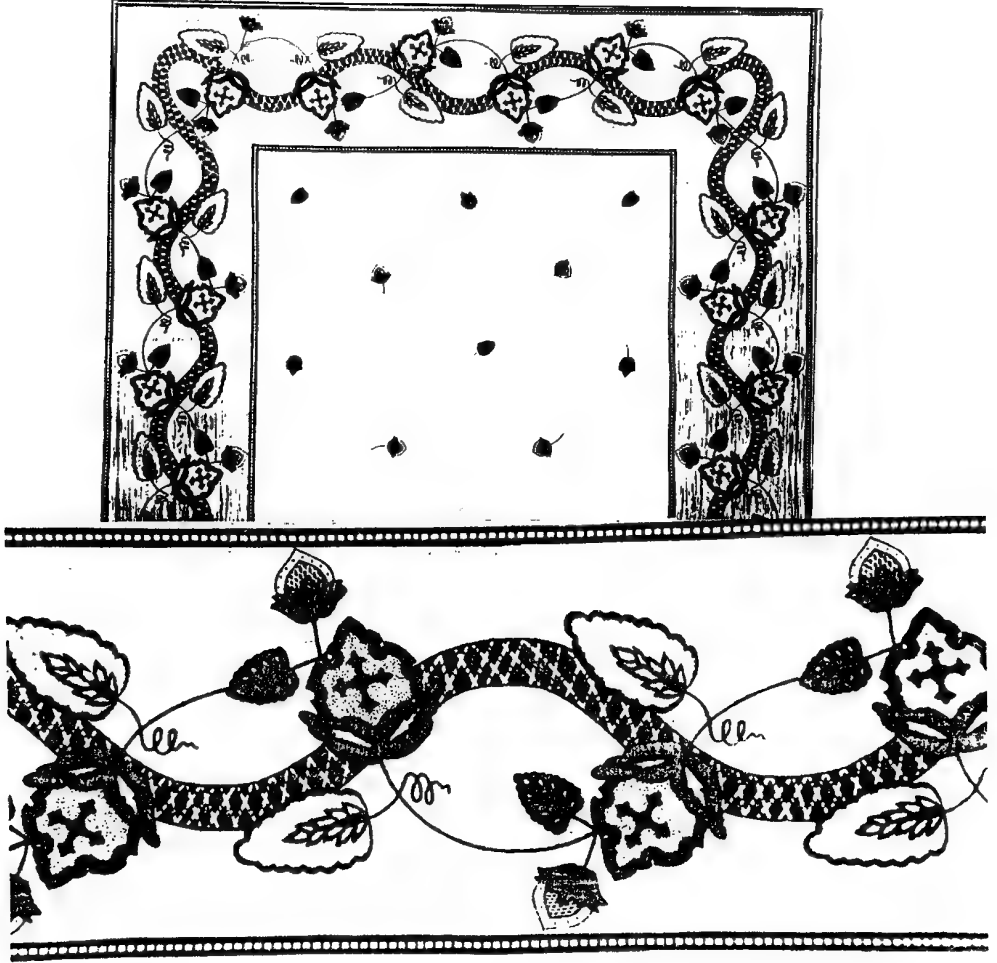
٧ - المصدر السابق .

٨ - عبد المجيد علي المحميد مقال في جريدة الوطن الكويتية / الجمعة ٣٠/١٠/١٩٨٧م العدد ٤٥٥٩ - ص ١٣ .

سياسة السيطرة على التعليم وبرامج التعليم في بلاد المسلمين وفي الدول العربية خاصة أوضح ماتكون في السودان . فقد بادرت الطوائف المسيحية الرئيسية (الأقباط والاورثوذكس والكاثوليك) بافتتاح المدارس من رياض الأطفال وحتى المرحلة الثانوية العليا . حتى بلغت المدارس في الخرطوم وحدها خمس عشرة مدرسة للبنين والبنات ، هذه المدارس كانت ومازالت لها مناهجها الدراسية الخاصة . وترفض الخضوع لاشراف الحكومة ، وترفض ايضا تدريس المناهج التربوية السائدة في السودان ولا تعترف بها رغم ان جميع طلابها سودانيون ويشكل ابناء المسلمين بينهم نسبة كبيرة تزيد احيانا عن ٧٥ ٪ من مجموع الطلاب .



هذه الصورة نشرتها جريدة التايمز البريطانية المعروفة بتعصبها ضد الاسلام وقالت انها لقن يحمل السلاح بيد والصليب باليد الاخرى ويحارب في صفوف نوار التيجراي في اثيوبيا ١٩٩٠/٣/٣م.



صورة لكيس الوسادة تم شراؤه في إحدى البلدان الإسلامية وأسفله مقطع مكبر لنفس الصورة وعليه يظهر الصليب بوضوح أنها إحدى وسائل الترويج .

الفصل الرابع

محاولات تنصير السودان

محاولات تنصير السودان

يشكل السودان عمقا إسلاميا هاما في أفريقيا . ولذلك فقد صار الهدف الاستراتيجي للتنصير منذ عدة قرون بعد أن أجهزت المسيحية على الممالك الإسلامية : غانا ، مالي ، وسنغاي ، والدويلات الإسلامية على إمتداد حزام المواجهة في افريقيا ، والتي كانت تنتشر شرقا وجنوبا حتى مصب نهر الزمبيزي وغربا حتى المحيط الاطلسي وخليج غينيا . ففي معظم هذه الدول استطاعت الكنيسة اليوم ابعاد المسلمين عن السلطة ، وتنصيب حكام مسيحيين مكانهم عبر مؤامرات دامت قرابة الخمسة قرون ، وبذلك صار الاسلام كعقيدة ومنهج محصورا في غدد من المراكز التعليمية وفي بعض الاسر وفي صدر مجموعات مشتته من الرجال والشباب والنساء . وهؤلاء كلما جاهرُوا بعقيدتهم أو سعوا لتطبيقها يتعرضون للقهر والتنكيل وتنهال على رؤسهم مصطلحات التطرف والتعصب والاصوليه والارهاب ^(١) التي صممت للتنفير من الاسلام . واستعداد السلطة عليه لكبته وإبقائه وراء ابواب المساجد لا يخرج منها ، واذا خرج لا يسمح له بتعدي نطاق فقه المعاملات .

والسودان هو اكبر بلد في افريقيا من حيث المساحة (حوالي مليون ميل مربع) . وهي تعادل مساحة دول اسكندنافيا الثلاث مضافا اليها مساحة بريطانيا والبرتغال وايطاليا واسبانيا وفرنسا مجتمعه . وهو يجاور تسع دول افريقية لا يعوق الانتقال والاتصال بينه وبينها اي عائق طبيعي ^(٢) . وسكانه على الحدود لهم صلات عرقية وثقافية عريقه مع مواطني هذه الدول التي تشهد حاليا حربا

(١) أصبحت مصطلحات كالتطرف والتعصب والارهاب صفات تلصق بكل مسلم يطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية أو يدافع عن الاسلام والقيم الإسلامية .

(٢) هي مصر ، ليبيا ، تشاد ، افريقيا الوسطى ، زائر ، يوغندا ، كينيا ، اثيوبيا ، ارتيريا .

متصاعده ضد الاسلام والمسلمين يشرف عليها بابا الفاتيكان شخصيا ، وقد زار في الاسبوع الثالث من شهر يناير ١٩٩٠م تشاد احدى هذه الدول المجاورة ضمن جولاته المكوكية في مواطن الاسلام بغربي ووسط افريقيا .

والسودان ايضا يشكل بوتقة تلاقح وتمازج بين الثقافات والاعراق العربية الناقلة للاسلام والافريقيه المتلهفة لاعتناقه . ويعيش فيه (١٠٨٦٧٥٣ ر) لاجئ افريقي جاءوا من الدول المجاورة ، واليوم يضيق المنصرون بدعم من الدول والمنظمات والكنائس في الغرب وفي الدول المجاورة الخناق من كل الجبهات على السودان المسلم . حرب عسكرية واقتصادية وثقافية تستخدم فيها مختلف الوسائل بما في ذلك ابناء السودان انفسهم لتحقيق هدف قديم كان قد افصح عنه القس جون باتريك عندما قال ان : (سقوط السودان في ايدينا يعني سقوط نصف افريقيا كلها .. ويعني طرد العرب المسلمين منها) (٤) .

في السودان حاليا توجد اكثر من سبعين كنيسة (٥) وهناك تقديرات تشير الى انها تتجاوز المائة اذا ما اضيفت مراكز التنصير المندسة وسط الاحياء السكنية وبين مخيمات اللاجئين .

في هذه المدارس (٩) وعلى أيدي القسس والمدرسين المسيحيين ، الذين يتلقون تدريباً عاليا لاداء مهمتهم الخطيرة يربى عدد كبير من ابناء الطبقتين العليا والوسطى في العاصمة المثلثة وغيرها من المدن الكبرى . وابناء هاتين الطبقتين هم رائدو التغيير في كل مجتمع كما هو معروف. ولما كانت تلك المدارس مجهزة لما لها

(٣) حديث لمعهد اللاجئين في السودان - جريدة اليوم السعودية في ٢٧/٥/١٩٩٠م - العدد ٦١٩٠ ص ١٢ .

(٤) د/ شلبي - حقائق ووثائق - ص ٩٩ .

(٥) Hassan Makki, Sudan - The Christian Design , Islamic Foundation , United

Kinkdom - 1989, P - 5 .

٩ - هذه المدارس تفرض عن قصد رسوما باهظة لاستطيع دفعها سوى التجار وكبار الموظفين والعسكريين .

من امكانيات واسعة بأفضل الوسائل التعليمية وبأفضل الكفاءات فان تلاميذها على الدوام يتصعدون الى الجامعات والمعاهد العليا ، ويشكلون نسبة كبيرة في الكليات العلمية ، وشبه العلمية في الاقتصاد وإدارة الاعمال والاجتماع ، وعدد كبير من هؤلاء يتولى فيما بعد اهم الوظائف الحساسة في الدولة وفي القطاع العام . خاصة القطاع الاقتصادي ومؤسساته ، حيث يتم اتخاذ أخطر القرارات هذا لايحدث صدقه ولانتيجة حظ وانما ثمار تخطيط واعداد مسبق ، يقول هوارد بليس (Howard Bliss) الرئيس الأسبق للجامعة الأمريكية في بيروت (فبين الآف الطلاب وكلهم يستحقون التربية فئة صغيرة من المتحمسين الجادين قادة المستقبل في الشرق الأدنى ، هؤلاء هم الذين يدرهم مبشروننا . ليصبحوا أساتذة وأطباء وتجارا وصيادلة وأطباء أسنان ومهندسين وممرضين من الرجال والنساء الذين يتجاوبون بوعي أكثر من بقية زملائهم مع المناخ النفسي للكلية . وهم يحضرون بطريقة محددة ليصبحوا مراكز الأضواء والقيادة في كل هذه المنطقة ^(١٠) .

واذا كان بليس يتحدث عن المرحلة الجامعية وقادة المستقبل في الشرق الأدنى . فان سياسة التنصير في السودان كانت أبعد نظرا ، فقد بدأت اعداد قادة المستقبل الذين تريدهم من المرحلة الابتدائية ، حيث الأطفال عقول غضة وعجينة لينه يسهل تشكيلها . اقرأ ماقاله الأب ليوفلاين قوين (Liovellyn H. Gwynne) ممثل الكنيسة الانجليزية في الخرطوم في عام ١٩٠٠م والذي يعتبر رائد العمل التنصيري الحديث في السودان عندما سمح له بافتتاح أول مدرسة ابتدائية تعمل تحت اشراف ومنهج الكنيسة . (Tears Weelled Up In My Eyes , As I Realized This Good News Meant.. No Less Than The Opening Of The Sudan To Missionary Work.) وترجمة ذلك (لقد طفرت عيناى

١٠ - د / شلبي - مصدر سابق - ص ٩٠ - ٩١ .

١١ - هذا لا يعني ان المرحلة الجامعية في السودان قد اهتمت ، فقد كانت كلية غردون الجامعية تحرم على طلابها التخاطب باللغة العربية داخل الحرم الجامعي ، وعملت على احلال الزي الغربي والتقاليد الغربية مكان الزي الوطني والتقاليد الاسلامية .

بالدموع فأنا أدرك ماذا تعني هذه الاخبار السارة . انها لا تقل أهمية عن فتح السودان امام العمل التنصيري (والعبارة الأخيرة اشارة الى الحظر الذي فرضته سلطات الاحتلال في العامين اللذين تليا اخماد الثورة المهدية على ممارسة المنظمات التنصيرية عملها علنا . خوفا من تأجيج المشاعر الاسلامية . خاصة وان بعض جيوب المقاومة لم تكن تصفيتها قد اكتملت بعد . فتح القس قوين أول مدرسة كنسية في السودان عام ١٩٠٢م لتعليم البنات وليس الاولاد . تحت ستار تعليم بنات الاقباط . كان هو مديرها ومدرسها . ثم اتبعها في نفس العام بمدرسة للاولاد بتمويل من الكنيسة البريطانية . واصلت بعد ذلك بعثة التنصير المسيحية . (Cms) Christian Mission Society وهي بعثة تنصير بريطانية لعبت دورا كبيرا في تنصير السودانيين وتلقينهم القيم والمفاهيم العلمانية المعادية للدين . بعد ان افتتحت عددا آخر من مدارس البنات في امدرمان عاصمة المهدية . وفي عطبره وود مدني .

وقد رفضت حكومة الاحتلال البريطانية والتي كانت تعمل تنفيذا لخطة محددة مع الكنيسة السماح للسودانيين بافتتاح مدارس لتعليم ابنائهم ، وقد حاول الشيخ بابكر بدري (رائد تعليم المرأة في السودان . والذي تنبه منذ وقت مبكر ببصيرته الشاقبة للمخطط الكنسي) فتح مدرسة لتعليم البنات عام ١٩٠٤م في قريته رفاعة على النيل الأزرق جنوب الخرطوم ، وعلى نفقته الخاصة ، لكن السلطات الاستعمارية رفضت ، ثم ظلت قماطل طوال سبع سنوات ولم تعطه موافقتها الا عام ١٩١١م ، وقد كان هذا الرفض معتمداً حتى تتاح الفرصة لأطول مدة ممكنة لبعثات التنصير لتبذر بذرتها وترسخ الهياكل الأساسية لنظامها التعليمي (١٢) الموجه في خدمة التنصير بين الجيل الأول من السودانيات اللاتي ينلن تعليما اكاديميا ، فهولاء ويصفتهن الرعيل الاول الذي يتلقى تعليما منهجيا ستسند بلاشك

مسئولية تربية وتوجيه الاجيال القادمة من الأمهات السودانيات إليهن .

وفيما كانت البعثات التنصيرية تكثف جهودها لتهيئة الأسرة السودانية في المستقبل للخروج على المفاهيم والمثل الاسلامية الحقيقية من خلال تربية أمهات المستقبل على ايدي الكنيسة . اتجهت السلطات الحاكمة لمحاربة اللغة العربية والعادات الاسلامية السائدة . ، فأصبحت الانجليزية هي اللغة السائدة في مكاتب الدولة وفي دور العلم في شمال السودان ، وفي الجنوب أصدرت القرارات والأوامر الصارمة لمنع تداول العربية وانتشارها . كل ذلك لاقامة حزام حاجز لوقف تقدم المد الاسلامي جنوبا الى أعماق افريقيا .

وسجل المكاتبات بين السكرتيرين الاداريين (وظيفة السكرتير الاداري في ذلك الوقت تعادل وظيفة رئيس الوزراء ويستمد صلاحياته من المندوب السامي البريطاني في القاهرة الذي كان هو الحاكم الفعلي لوادي النيل حتى مطلع الخمسينات) وبين موظفيهم في مختلف اقاليم السودان . وثائق دامغة على مشروع تنصير السودان خاصة في المديرية الغربية والجنوبية . وهو المشروع الذي ينفذ حاليا على قدم وساق .

لقد جاء في الخطاب الذي وجهه مكتب السكرتير الإداري في الخرطوم بتاريخ ٢٤ / ١ / ١٩٣٠م الى مديري المديرية الجنوبية . اعالي النيل وملكال ومنقلا وبحر الغزال وواو - الفقرة (ب) (ان الهدف الذي ترمي اليه سياسة الحكومة . هو تشجيع التجار الاغريق والسوريين المسيحيين) بدلا عن الجلالة (أي المسلمين من أبناء شمال السودان والعرب) فتصاريح الدخول الممنوحة لهؤلاء لدخول الجنوب يجب أن تقلل باستمرار ولكن في حكمة ودون اثاره . والذين يسمح لهم من الجلالة ينبغي ان ينتقوا . بحيث لا تكون لهم اهتمامات خارج نطاق المعاملات التجارية ، ولا بد من حصرهم في المدن والطرق الرئيسية ^(١٣) .

وكتب السكرتير الاداري بتاريخ ١٩٣٠/٣/٢٢م لكل من مديري مديريات منقلا وبحر الغزال واعالي النيل (يجب أن يبذل كل جهد لتصبح الانجليزية وسيلة التخاطب حتى مع الذين يتكلمون العربية . على ان يستبعد النطق بالكلمات العربية تماما) وجاء في نفس الرسالة (ان محاربة استخدام اللغة العربية مسألة ضرورية لتنفيذ أغراض الخطة العامة ^(١٤) .

تنفيذا لهذه السياسة أصدر مدير مديرية بحر الغزال بتاريخ ١٩٣٠/٣/٢٩م أوامره الى مفتشي المراكز (بأن يمنعوا استخدام الكلمات والألقاب العربية في مناطق ادارتهم . ويعملوا على منع زعماء القبائل والأهالي من اطلاق الأسماء العربية : على أنفسهم وأولادهم) .

وأن يجبروا التجار (على عدم استعمال اللغة العربية في التعامل مع الزبائن والا يتحدثوا الا الانجليزية أو اللهجة المحلية) ^(١٥) وكذلك منع التجار من بيع الملابس ذات الطابع الاسلامي زي أهل الشمال وحرم على زعماء القبائل شراؤها

وعملا بالتفويض الذي منحه اياه السكرتير الاداري عام ١٩٣٠م لاتخاذ جميع الاجراءات التي تمنع تسرب الاسلام واللغة العربية جنوبا ، قام مدير مديرية بحر الغزال باقامة حاجز طبيعي فاصل يكون بمثابة حزام أمني . يسهل له مراقبة ومنع حدوث أي اتصال بين المسلمين السودانيين وأبناء وطنهم من غير المسلمين حتى لا تتوطد العلاقات بينهم فيؤدي ذلك الى تأثير ثقافي ومن ثم يعطل في المستقبل تنفيذ الخطة المبيتة والتي بدأت تتكشف اليوم بوضوح .

بدأ هذا المفتش باغلاق رئاسة مركز كفيكانجي في جنوب كردفان ، ورحل جميع المواطنين المسلمين في المنطقة شمالا ، وترك رئاسة المركز تتهدم لتكون المنطقة خطا فاصلا يمتد من الشرق الى الغرب ، وحدد خط العرض ٤٥ - ٨

ليكون حدودا مغلقة لايسمح للمسلمين بعبورها جنوبا ، وقام بترحيل مدينة راجا من موقعها بسبب وجود مسجد فيها الى جهة الغرب ، واقامت كنيسة في المدينة الجديدة ولم يسمح ببناء مسجد ، ثم كتب للسكرتير الاداري في الخرطوم بتاريخ ٢٢/٣/١٩٣٠م موضحا سبب نقله المدينة من موقعها بقوله (لأن هناك جامعا في راجا . واني أرغب في أن اراه مهجورا كما لو حولت راجا من مكانها) ، وقام باجراء تظهير في صفوف رجال الشرطة فابعد كل المسلمين الملتزمين لأنهم كما جاء في رسالته (في مراكزهم الحالية سوف يكونون قدوة لكل رجال البوليس الجدد) ^(١٦) .

كانت الحرب ضد الاسلام والمسلمين في افريقيا سياسة رسمية . تمارس من جانب الدول الأوروبية التي ظلت تستعمر افريقيا حتى الستينات من هذا القرن . وقد اعطى السودان اهتماما خاصا وظل المنصرون مدعومين من الحكومات الغربية يهيئونه لتقبل النصرانية لأكثر من تسعين عاما . خاصة بعد تجربة المهدي التي رأوا فيها كيف يدفع الاسلام المجاهد المجتمع ليدافع عن عقيدته وكرامته ضد الذل والاهانة . وليكون في المستقبل رأس الحرية لشن الهجوم الكاسح والنهائي حسب مخططهم ضد الاسلام والثقافة الاسلامية والعربية في شمال السودان ، وبعد أن تتمكن الكنائس ومناهج التعليم المعدة بعناية من خلخلة المرتكزات واضعاف تأثيرها .

الاعداد لهذا الهجوم وقد كشف عنه سينسر ترمينجهم في كتابه (الخطة المسيحية للتصدي للاسلام . Spencer Trimingham, The Christian Approach To Islam . وقد اورد الدكتور حسن مكى ^(١٧) » مؤلف كتاب التبشير المسيحي في العاصمة المثثة «عن اسينسر الذي كان يعمل منصرا في السودان هذه المرتكزات الاساسية

١٦ - المصدر السابق ص ٢١٢ .

(١٧) د/ حسن مكى يعمل حاليا باحثا اول في المركز الاسلامي الافريقي في الخرطوم وله عدة مؤلفات عن الحركة الاسلامية والقرن الافريقي وهو كاتب متخصص في كشف مخططات التنصير في السودان .

لهذه الخطة فيما يلي :-

With the development of the christian church in the south , we in the sudan are faced with the imminent of a Sudan christianity and a Sudan Islam. That the church of the Sudan freed as it is from a race problem where there being a white settlment , will be afavourably pleased when it becomes the offecial religion of the south .

It's our task in the north to prepare for the day . We shall seek:-

- 1- To establish christian centers in all border lands of areas where Islam is in contact with paganism .
- 2 - To establish christian centers in the land of intranched Islam so that christianity of the south will have points of contacts when it flows northwards .

وترجمة هذا النص انه بتطور المسيحية في الجنوب فنحن مقبلون في السودان على لقاء حتمي بين مسيحية سودانية وإسلام سوداني .. فكنيسة الجنوب بتحررها من عقدة العرق ستشعر رغم وجود استيطان ابيض في الجنوب بالغبطة عندما تصبح المسيحية هي الديانة الرسمية للجنوب ... من واجبنا في الشمال ان نستعد لذلك اليوم وسنعمل لتحقيقه بما يلي :-

- ١- باقامة مراكز مسيحية على جميع نقاط التماس بين الاسلام والوثنية .
- ٢ - بالعمل على انشاء مراكز مسيحية في ديار الاسلام المحصنة في وجه المسيحية ، باختراقها في الشمال لتكون نقاط ارتكاز للمسيحية عندما تتدفق شمالا .

اثناء الاحتلال البريطاني للسودان طرحت فكرة فصل الجنوب عن الشمال . ورسم خط تقسيم اداري يمر عبر اواسط السودان من الشرق للغرب . هذا التقسيم وان بدا تقسيما اداريا يتعلق بالحدود الجغرافية هو في ظاهره اجراء سياسي الا ان فحواه وحقيقته ترمي لتقسيم عقدي ثقافي يقف سدا امام تقدم العقيدة الإسلامية جنوبا والى تحطيم وعائها - اللغة العربية - الذي تنتقل فيه وتعبر عن نفسها من خلاله .

جنوب هذا الخط تقع اغنى أراضي السودان وافضل ثرواته الطبيعية اذ يمتد

من الكرمك شرقا في شكل حزام يخترق مناطق الرصيرص والدمازين وحظيرة الدندر وكوستي وجنوب مدينة الابيض التي بها كنيسة كبرى في غرب السودان ثم اجزاء واسعة من محافظتي جنوب كردفان وجنوب دارفور .

لكن سرعان ما تخلت حكومة الاحتلال البريطاني عن فصل الجنوب ، واعلنت صراحة أنها ضد هذا الاتجاه وقالت انها مع وحدة السودان . لقد اتضح لها ان فصل الجنوب في ذلك الوقت لن يفيد كثيرا . فرأت تأجيل الفكرة على ان تواصل تغذيتها ونشرها بين ابناء جنوب البلاد . والدليل على ذلك انها مضت في اعداد الاطر والكوادر من خلال الخطاب الثقافي التربوي الذي أوكلت للكنيسة والبعثات التنصيرية في الجنوب مهمة صياغته ... فبقيت فكرة الانفصال حيه تعبر عن نفسها من خلال الاطروحات السياسية احيانا ، ومن خلال فرض التشريعات الإدارية احيانا اخرى في شكل اقليمي او في المطالبة باعادة ترسيم الحدود بين الشمال والجنوب ... او الدعوة لاحتلال اللهجات المحلية ضمن المناهج الدراسية في الجنوب محل اللغة العربية . وقد شهد عقد الثمانينات عودة الدعوة لانفصال الجنوب من جديد ^(١٨) لكن جاءت الدعوة هذه المرة مدعومة بقوة السلاح لفرضها فرضا . ولم تقتصر على فصل الجنوب بل اتسعت متقدمة خطوه واسعة شمالا ، فرفع شعار تحرير السودان مما يسمى بهيمنة الثقافة الاسلامية والعربية ، وسيطرة العرب المسلمين (وهو تعبير يقصد به ابناء شمال السودان ، ويعني انهم ليسوا من اصحاب البلد الحقيقيين) على السلطة .

وفي زيارته لواشنطن في يوليو عام ١٩٨٩م بدعوة من الرئيس الامريكي السابق / جيمي كارتر الذي يشرف على العمل التنصيري في شرق افريقيا

(١٨) جاء في جريدة الاهالي المصرية وهي صحيفة يسارية ناطقة باسم ما يعرف بالقرى اليسارية والتقدمية في مصر بتاريخ ١٩٨٩/٩/٧م ان (جون قرن قائد التمرد في جنوب السودان ، ينوي اعلان حكومة في جنوب السودان وان الجيش الشعبي - حركة التمرد - وضع تصميمها للعالم الذي ستعرفه الحكومة الجنوبية .

ومنطقة القرن الافريقي ، قال جون قرنق قائد التمرد المسلح في جنوب السودان امام لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الامريكي ، وفي معهد بروكنز للدراسات الاستراتيجية مانصه (ان الحرب اسلوب مشروع تستخدمه الاغلبية « يعني سكان الجنوب »^(١٩) . في مواجهة افراد الاقلية « اي سكان الشمال » بالحكم^(٢٠) . وتزايدت الاصوات المنادية باقامة نظام حكم علماني في السودان يستبعد الدين من التشريعات والقوانين ويقصره على العبادات فقط .

وانه لمن المؤسف حقاً ان يقف نفر من ينتسبون الى الاسلام الى جانب الدعوة لفصل جنوب السودان عن شماله . وذلك لان فصل الجنوب معناه اقامة دولة عرقية مسيحية لن تكون سدا منيعا امام المد الاسلامي جنوبا فقط ، بل سيجعل مصير اكبر دولتين مسلمتين في افريقيا السودان (من حيث المساحة) ومصر (من حيث الكثافة السكانية) بين يديها ، فمنايع نهر النيل شريان الحياة في شمال السودان ومصر ستكون مرهونه مع غيرها من ثروات طبيعية داخل الدولة العرقية المسيحية اذا قامت لا سمح الله .

وقديما قال سبنسر (Spencer) ان مسيحية الجنوب ستجد نقاط اتصال لها عندما تتدفق في اتجاه الشمال . وفي شمال السودان حاليا قطاع مؤثر من الرأي العام داخل المؤسسات التعليمية العليا أساتذة الجامعات الذين تشربوا الثقافة الغربية القائمة على المفاهيم الكنيسية ، وبين العمال والمهنيين والمثقفين وكبار موظفي الخدمة المدنية وغير ذلك من الجهات التي تمارس ضغوطا ما أو تؤثر تأثيرا مباشرا على اتخاذ القرار . هؤلاء يشكلون حاليا احد تلك

(١٩) اخر احصاء سكاني عام ١٩٨٣م في السودان اوضح ان عدد سكان الجنوب (٣٧١٢٨٦ر) نسمة ويشمل ذلك الجنوبيين وغير الجنوبيين وان جميع سكان السودان (٥٨٢ر٥٩٢٢١) نسمة وبهذا يشكل سكان الجنوب الربع تقريبا . ٠٠ والربع كما نعلم ليس اكثرية .

(٢٠) مجلة كل العرب (اسبوعية) يونيو ١٩٨٩م العدد ٣٥٦ - ص / ١٤ .

المرتكزات التي تحدث عنها سبنسر ليتم الاتصال بها . وتأليبها ضمن حملة الهجوم ضد الاسلام وهو ما يحدث اليوم .

على الجانب الآخر تم تجنيد قطاع واسع بين ابناء جنوب السودان . وشحنهم بالمفاهيم الخاطئة والمغلوطة عن الاسلام والمسلمين وعن الثقافة الاسلامية والعربية واستغل في ذلك التفرقات العرقية والفوارق الثقافية والاقتصادية والموروث التاريخي المحرف (٢١)

لقد تطلب اعداد هذين المحورين جهدا ووقتا وعملا شاقا ومكثفا (٢٢) ، فقد كتب ممفتش مركز غرب بحر الغزال لمدير هذه المديرية وكلاهما بريطاني ايام الاحتلال بتاريخ ١٩٣٤/٤/٣م ما ترجمته : (وانك لتعلم تماما مقدار الزمن الطويل والجهد والمال والصبر الذي بذل لاقناع اولئك لهجر الاسماء العربية . وعدم ارتداء الملابس التي ترتدي في الشمال . وعدم اتباع التقاليد الاسلامية . ان الصراع شاق وطويل وليس من اليسير رؤية مده او منتهاه . ولا يمكن تحقيق النجاح الا باتخاذ اجراءات فعالة لتغيير الاقتصاد والثقافة تغييرا جذريا .) (٢٣) واليوم تعمل جهات خارجية وداخلية في السودان في اتخاذ اجراءات فعالة لتغيير الاقتصاد والثقافة . ومن ثم تغيير هوية السودان الاسلامية تغييرا جذريا . لقد طلبت الكنائس في جنوب السودان علنا من السلطات الرسمية طرد جميع مواطني

(٢١) بونسا ملوال احد كبار المثقفين السودانيين من جنوب السودان وهو وزير سابق للثقافة والإعلام ومسيحي اورد في كتابه (People & Power In the Sudan) .. ان بعض المسئولية في ذلك يمكن تتبع اثرها في نظام التعليم المطبق في الجنوب انذاك ، في فترة الاستعمار ، فهناك دروس تعطي في بعض مدارس البعثات التنصيرية في الجنوب تصور اللغة العربية على انها لغة ادنى اذا ما قورنت بالانجليزية او الإيطالية ، وقد مر زمان كان فيه تحدث العربية في مدرسة في الجنوب بعاقب عليه بالطرده من المدرسة) .

(٢٢) كانت بعثات التنصير تتدفق على جنوب السودان من مختلف الدول الغربية وتجد التشجيع والدعم المادي والمعنوي . وبلغ الاهتمام الرسمي بتنصير جنوب السودان ان زار الرئيس الامريكي روزفلت عام ١٩١٠م البعثة التنصيرية الامريكية في الجنوب في جبل دويليب .

(٢٣) جعفر بخيت - مصدر سابق - ص ٢١٥/٢١٦ .

السودان من ابناء الشمال (والذين تسميهم المسلمين والعرب) من جنوب البلاد . ومنعهم من امتلاك العقارات والمساكن والمتاجر في الاقاليم الجنوبية رغم ان الدستور السوداني يكفل لجميع السودانيين من الشمال والجنوب حق الامتلاك والسكن والعمل في اي مكان يشاءون . وطلبت الكنائس ايضا طرد منظمات الاغاثة الاسلامية من جنوب السودان رغم ان المنظمات الكنيسية لا تخصى ولا تعد وبعضها يدخل الجنوب من كينيا ومن اثيوبيا دون علم او موافقة الحكومة السودانية .

وفيما يلي نقدم للقارئ ترجمة لنص رسالة الكنائس لحاكم الاقليم الجنوبي في محاولة^(٢٤) لاستمالاته واستغلاله في خدمة أهدافها :-

نص الرسالة الوثيقة :-

سعادة حاكم الاقليم الجنوبي :

بالاصالة عن أنفسنا . ونيابة عن مواطنينا المسيحيين . نعبر لكم عن بالغ سعادتنا بوجودكم هنا بيننا . ونرحب بكم باسم سيدنا ومنقذنا يسوع المسيح . ان الغرض الأساسي الذي دعوناك لتكون من أجله هنا بيننا هو أن نشركك معنا بعض اهتماماتنا . وذلك يخدم مصلحة مواطنينا في الاقليم الاستوائي (هو احد اقاليم جنوب السودان الثلاثة المتمتعة بالحكم الذاتي وهي : الإستوائية وبحر الغزال واعالي النيل) بصفة خاصة وفي السودان عامة .

في بداية لقائنا بكم . نريد أن نوضح لكم ان هذه الاهتمامات لا ينبغي أن تؤخذ على انها تتعلق بالمواطنين المسيحيين وحدهم . بل تشمل ايضا جميع من هم غير المسلمين وغير العرب^(٢٥) على السواء . وبصفة خاصة هنا في اقليم المنطقة

٢٤ - أنظر صوره من الأصل الانجليزي ص ١٤٢ - ١٤٤ .

٢٥ - العرب والمسلمون هما المصطلحان اللذان تستخدمهما الكنيسة والاعلام الغربي في الاشارة الى سكان شمال السودان

ويراد بذلك أنهم دخلوا وليسوا من أهل البلد الحقيقيين .

الإستوائية .

بداية نريد أن نؤكد لحكومتنا - يعني حكومة الاقليم الجنوبي - ولسياسيينا . ولغيرهم من المواطنين في مواقع المسئولية أننا معهم .. لكننا ايضا نريدهم أن ينزلوا الى مستوانا ليكونوا معنا . وليشعروا أنه علينا أن نعمل سوريا من أجل مصلحة مواطنينا . ان اهتماماتنا التي ننقلها الى سيادتكم تتلخص في التالي :

- ١ - خطة العرب (المسلمين) التي هي رهن التنفيذ حاليا .
- ٢ - اجازة الدستور الانتقالي .
- ٣ - وجود منظمة الدعوة الاسلامية ونشاطاتها في الاقليم .
- ٤ - موضوع توزيع الأراضي .
- ٥ - موقع الكنيسة .

هناك اهتمامات كثيرة لكننا نريد أن نحصر أنفسنا في ما ذكرناه اعلاه .
اولاً : خطة العرب المسلمين التي هي رهن التنفيذ .

لعلم سيادتكم لقد وضع العرب المسلمون خطة واضحة ، وبرنامج عمل لتعريب وأسلمة العالم بأكمله . وافريقيا ضمن هذا الاطار هي هدفهم الأول . بالنسبة لافريقيا فان الخطة تنفذ على امتداد الساحل الافريقي وفي الوسط .
ان السودان جزء من وسط افريقيا ... ولما كان شمال السودان قد عرب وأسلم بالفعل . فان جنوب السودان أصبح بعده الهدف الأول لتعريبه وأسلمته . وذلك من أجل تسهيل اختراق عملية التعريب والأسلمة لجميع افريقيا .
ونفيد سعادتكم أنه ليس من الصعب ايراد بعض الحقائق لتثبت بالادلة ما ذكرناه قبل قليل :

ان كمية كبيرة من المال وغيره من الموارد الأخرى تتدفق الى جنوب السودان وبصفة خاصة الى المنطقة الاستوائية . من أجل الاغاثة وخدمات الصحة

والتعليم بالمدارس والتنمية . هناك أيضا هدايا مجانية تعطى للناس . وربما لشيوخ القبائل أيضا . وبقالات العرب الحقيمة تنتشر في كل مكان في ضواحي مدنا بهدف استقطاب الناس لكسب جانبهم حتى يتقبلوا التعريب والأسلمة .

ان العرب والمسلمين منكبون بجدية شديدة على تدريس لغتهم وثقافتهم للجنوبيين . وذلك في الوقت الذي لا يتقبلون تحدث أو تعلم أي من لغتنا ، بما في ذلك اللغة الانجليزية رغم أنها أجنبية بالنسبة لنا . ويحدث ذلك لسبب بسيط هو أنهم يعتقدون أن لغتهم وثقافتهم أفضل أو أعلى شأنًا من لغتنا وثقافتنا .

ان العرب والمسلمين يخططون ليتزوجوا أكبر عدد ممكن من بناتنا الجنوبيات المسيحيات .. ويمارسون الجنس أيضا مع أخريات بما في ذلك النساء المتزوجات . كل هذا لكي يلدوا أطفالا مسلمين مخلصين لهم . وبذلك يغيرون هويتنا الافريقية والمسيحية الأصلية .

من وجهة نظر دينية نحن واعون جدا بأن تدريس القرآن قد كشف في الجنوب وخاصة في المنطقة الاستوائية .. ومراكز صلاة المسلمين والمساجد يخطط لها وقد تم بالفعل بناء الكثير منها في كل ركن من اركان مدنا .

هناك حقائق كثيرة أخرى بالامكان ايرادها لسيادتكم لاثبات ان مخطط العرب المسلمين ينفذ حاليا .

ثانيا : نقطة أخرى ذات أهمية لدينا سيادتكم . وهي ان المجلس العسكري الانتقالي ومجلس الوزراء (المذكرة قدمت عام ١٩٨٥م عندما كان المجلس العسكري الانتقالي برئاسة المشير سوار الذهب يتولى مع مجلس الوزراء برئاسة دكتور الجزولي دفع الله ادارة البلاد) في عجلة من أمرهم حاليا لاجازة دستور السودان الانتقالي . وهو يشتمل على الشريعة الاسلامية لتكون مصدرا للتشريع في السودان .

اننا نتساءل الى أي مدى من الزمن سيستمر : (يعني الدستور الاسلامي)
ومن الذي سيقوم بتغييره ؟ ومن الذي يؤكد لنا أن الشريعة الاسلامية ستلغى
؟ وانها لن تضمن في الدستور الدائم الجديد ؟ .

ان قانون الشريعة سيادتكم كان قد فرضه الرئيس المخلوع غميري عام ١٩٨٣م
وذلك بعد المعارضة القوية لمثل هذا القانون من جميع المسيحيين وغير
المسلمين وغيرهم من التجمعات .. كل هؤلاء اعترضوا بأن قانون الشريعة
دكتاتوري وعنصري وغير عادل .

نحن نعلم ايضا ان احد مطالب جيش تحرير شعب السودان (SPLA)
وحركة تحرير الشعب السوداني (SPLM) الذين يقاتلون حاليا من داخل
الغابة هو الغاء الشريعة الاسلامية .

اننا في غاية الصدمة والحزن أن نرى أصوات هؤلاء الناس الذين يطالبون
بالعدل وبحقوقهم الانسانية لا يسمع اليها وتواجه بالقمع .

ثالثا : منظمة الدعوة الإسلامية :

ان منظمة الدعوة الاسلامية تقدم نفسها للحكومة الاقليمية لتسند لها ترميم
المدارس . وبناء مدارس جديدة في

المدن . وفي المناطق الريفية نيابة عن الحكومة . انها تود ايضا أن تباشر بناء
مدارسها الخاصة بها . والتي ستكون تحت ادارة اسلامية .

انها تقدم المساعدة الاغاثية (كالنقود) وتشتري المواد الغذائية من المناطق
الريفية بسعر بخس . وتريد أن تشترك في توزيع الاغاثية مباشرة في المناطق
المتأثرة بالمجاعة .

وبالنسبة لبنك فيصل الاسلامي الذي يعطي قروضه للعرب المسلمين فقط
فهو يهدف الى جانب أغراض أخرى لشراء جميع الأغذية من المزارعين

بأسعار متدنية بهدف إعادة بيعها للناس بأسعار أعلى .
 اننا ننبه سيادتكم الى ان هذه الخطط . والنشاطات التي تقوم بها منظمة
 الدعوة الاسلامية تحمل معها سما خطيرا لمواطنينا .
 فمساعات الإغاثة والمراكز الصحية التي تقيمها . والعمل التريوي الذي تقوم به
 في شكل مدارس . ورساميل تمويل المشاريع التنموية التي تقدمها منظمة
 الدعوة الإسلامية ماهي إلا غطاء لسياسة التعريب والأسلمة لشعبنا . ان
 نشاط منظمة الدعوة الإسلامية يجب أن يوقف بل نريد أن نوصي بأنه لا ينبغي
 أن يكون لمنظمة الدعوة الإسلامية أية مشاركة مباشرة في مشروعات الاغاثة
 والصحة والتعليم أو أي مشروعات أخرى .
 دعوها تعطي جميع المبالغ التي وعدت باعطائها للحكومة الاقليمية . وستجد
 الحكومة وسيلتها في انفاقها .
 اننا نقترح ايضا ان تقوم حكومتنا وسياسيوننا بتنوير وارشاد جماهيرنا الاستوائية
 وخاصة الزعماء منهم ليراقبوا ويكشفوا ويرفضوا أي تحرك خطير أو نشاط
 لمنظمة الدعوة الإسلامية في مناطقهم .
 رابعاً : مسألة توزيع الأراضي :
 سيدي منذ أيام قليلة سمعنا من اذاعة جوبا . عن قيام وفد من سبعة عشر
 رجلا من شيوخ الباربا بزيارة لسعادتكم برئاسة شيخ مشايخ . وكان الغرض
 من الزيارة الشكوى من أنه يجري توزيع الأراضي في مدينة جوبا والمناطق
 المحيطة لها دون مشاورة الزعماء المحليين وأهالي المنطقة المعنية .
 نعلم سيادتكم أنكم بالتأكيد لم تشاركوا في هذه المسألة . ولكن ما أخبركم به
 شيوخ الباربا هو أمر حقيقي . ان الأهالي في هذه المدينة ونحن بينهم
 مندهشون لأن نعرف وربما في وقت متأخر للغاية ان جميع الميادين المفتوحة في

تخطيط المدينة قد تم توزيعها . وذهب معظمها الى العرب والمسلمين . ومن بين هذه الميادين ميدان المولد التاريخي والبالغ الأهمية في تاريخ أهالي الباري ومدينة جوبا . اننا نريد من سيادتكم أن توقفوا عمليات البناء في جميع هذه الميادين العامة . وأن تتركوها مفتوحة للتجمعات العامة وأغراض الاستجمام ، كما نرغب ايضا الغاء قرارات تخصيص الأراضي في جمبو على طريق جوبا - الرجاف التي تم اصدارها للعرب والمسلمين .

خامسا : موقف الكنيسة :

الكنيسة كما تعلم سيادتكم منشأة مقدسة مؤسسة على الحب وتسترشد بعقيدتها الأساسية . ولهذا السبب فانها تدعو دائما لآخوة الجنس البشري القائمة على الحب الخالص . واحترام الرجال والنساء . كما تدعو الى السلام القائم على العدل . ان الكنيسة لا تبشر بالكراهية أو العنف ولا تقبل حتى باستخدام العنف بأي شكل كان كوسيلة لحل الخلافات أو النزاعات كما انها لاتتعاون مطلقا مع هيئة أو أية منظمة تؤمن بالعنف وتستخدمه ، بل انها تدعو الى الصلح والمصالحة بعد النزعات .

ان الكنيسة مع ذلك حريصة على حقوق الانسان والعدل وحرية البشر^(٢٦) وتعارض اضطهاد البشر بأي شكل أو كبت حقوقهم . ومن أجل محاربة هذه الشرور تجاهر الكنيسة بمعارضتها لها ، في نفس الوقت الذي تركع فيه للرب . في الصلاة سرا وعلنا من أجل أن يغير الرب عقول وقلوب البشر ، وأن يمنحهم الموقف الصحيح للحب واحترام كل منهم للآخر . من أجل خلق مناخ سلام حقيقي قائم على العدل للجميع ، وعلى الكنيسة ايضا واجب تنوير البشر من أجل أن يناصروا قوة الرب من

٢٦ - هذا الادعاء يتعارض تماما مع نص وروح المذكرة . وكان قد اتضح لنا من شهادة الأستاذ بونا ملوان ان الكنيسة كانت تعرض ضد حرية الرأي والاعتقاد وكانت تحرم الطلاب الجنوبيين من حقهم الأساسي - التعليم - اذا تحدثوا بالعربية وسيضع فيما يلي انها مازالت تقوم بنفس الدور وتدعو للانفصال .

أجل الدفاع عن حقوقهم الانسانية وحريتهم .
ولهذا ، لانود سيادتكم في هذا الاجتماع معكم أن يتطرق الاعتقاد الى أننا أناس
يحاولون احداث فرقة بين مواطنينا ، اننا نحاول أن نجعلهم يتفهمون ويحبون
ويحترمون بعضهم البعض ويعيشون في انسجام . بل على النقيض اننا نخشى أن
يكون المسلمون العرب بخططهم ونشاطاتهم في جنوب السودان والمحافظة الاستوائية
بوجه خاص يهدفون الى ارباكتنا وتقسيمنا لكي يتسنى لهم على المدى الطويل أن
نتقاتل فيما بيننا (السودانيون والجنوبيون أي الاستوائيين) لأنه سيكون بعضنا
عندئذ قد أصبح مسلما معربا والآخرين مسيحيون افارقة . وفي الوقت الذي
سنكون فيه في هذا النوع من النزاع بيننا سيكون المسلمون العرب سعداء لرؤيتنا
ندمر أنفسنا (٢٧) .

ان الهدف من هذا الاجتماع كما ذكرنا في البداية هو أن تشاركونا بعض قلقنا ،
ان هذا القلق يشير الى الوضع الراهن في الجنوب والمحافظة الاستوائية كما
نراه . لقد شاركناكم هذا الأمر بحرية . واننا على ثقة بأنكم تتفهمون نوايانا
الطيبة في التعاون مع حكومة الاقليم من أجل صالح اقليمنا المسيحي
والافريقي .

اننا نؤيدكم وحكومتم ليس فقط بالصلوات ولكن ايضا بالمحادثات المخلصة مثل
هذه الجارية الان عندما تتاح الفرصة لذلك . اننا ندعو الرب أن يساعدكم
ويرشدكم لكي تتخذوا الاجراء المناسب وفي الوقت المناسب عندما يكون ذلك
ضروريا . كما نصلي ايضا من أجل أن تقودوا شعبنا لكي يعيش ويتصرف وفق
الحقيقة التي تقول أنهم افارقة وسودانيون جنوبيون ومسيحيون . اننا نرغب ايضا

٢٧ - انه استعداد صريح للسلطات الرسمية في الجنوب ضد الوجود الاسلامي وضد ابناء شمال السودان ويلاحظ ان الكنيسة تتحدث
عن الجنوب وكأنه ليس جزءا من السودان .

في أنكم فيما يتعلق ببعض الموضوعات الاجتماعية والدينية بل والسياسية الهامة
ألا تترددوا في طلب نصيحتنا . واننا سنبذل كل ما في وسعنا لمساعدتكم بقدر
ما يسمح به دورنا .

إمضاء

رئيس الكنيسة الكاثوليكية في جوبا

إمضاء

رئيس الكنيسة الارثوذكسية في جوبا

لم ينته الأمر عند هذا الحد ففي الاسبوع الأخير من شهر سبتمبر عام ١٩٨٩م
تقدمت رسميا ٥٧ شخصية قيادية في جنوب السودان يتقدمهم رجال الكنيسة
بمذكرة رفعوها للحكومة المركزية في الخرطوم . يطالبون فيها بانفصال الجنوب .
وجاء في هذه العريضة (ان الخرطوم تعتبر السودان فيما يبدو دولة عربية
وتنوي نشر الثقافة العربية والاسلام في الجنوب) وان (مسألة الانفصال هي
مسألة حميمة وملحة بالنسبة (لشعب) جنوب السودان منذ أن أصبح ذلك
مطلبه التاريخي ^(٢٨) .

والآن هل يدرك المسلمون الحقيقة :

واذا أدركوها هل يهبوا لتدارك السودان قبل أن يفرقه طوفان الكنيسة مثل
غيره من الممالك الاسلامية العظمى في غرب افريقيا والدويلات الاسلامية
اللاحقة في حزام السافانا .

Your Excellency,

On behalf of our Christian citizens and on our own behalf we joyfully welcome you here among us and we warmly greet you in the name of our Lord and Saviour Jesus Christ.

The main purpose for which we have invited you here among us, your Excellency, is to share with you some of our concerns for the good of our people particularly in Equatoria Region and in the whole of Sudan at large.

We would like to point out just in the very beginning of our meeting with your Excellency that these concerns should not be taken as applying to the Christian citizens alone but to all non Muslims and non Arabs alike especially here in Equatoria Region.

In our sharing we want to assure our government, our politicians and other responsible citizens that we are with them; but we would also like to bring them closer to us, to be with us and to feel with us, so we should be working together for the good of our people.

Our concerns, Your Excellency, are these:-

1. The Arab (Moslem) plan in action.
2. The passing of the transitional constitution.
3. The presence of Idris Dakhni and its activities.
4. The question of Land Distribution.
5. The position of the church.

There are many other concerns but we would like to limit ourselves to what we have just mentioned.

THE ARAB (MOSLEM) PLAN IN ACTION

Your Excellency, the Arabs (Moslems) have laid down a clear plan and programme of action to arabize and islamize the whole world. Africa being the first target. For Africa the plan goes through the coast and the centre.

.../2

H.S.C

● مقتطفات من رسالة رئيسي الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الارثوذكسية لحاكم اقليم
الاستوائية في جنوب السودان

Your Excellency ,

On behave of our christian citizens and on our own behave we joyfully welcome your hounorable guists and warmly greet you in the name of our Lord and Saviour jesus Christ .

The main purpose for which we have invited you here among us your Excellency is to share with you some of our concerns for the good of ourpeople particularly in Equatoria and in the whole of Sudan at large .

We woud like to point out just in the very begining of our meeting with your Excellency that these concerns shoud not be taken as applying to the christian citizens alone but to all none Muslems and none Arabs alike especialy here in Equatoria Region .

In our sharing we want to assure our govern-ment , our poltician and other responsible citizens that we are with them , but we would also like with us and to feel with us that we should be working togothere for the good of our people .

Our concerns , Your Excellency , are :-

- 1- The Arab (Moslem) plan action .*
- 2 - The passing of the transitional constitution*
- 3 -The presence of Dawa AL Islamia and its activities*
- 4 - The question of land distribution .*
- 5 - The position of the church .*

There are many other concerns but we would

like to limit our selves to what we have juse menti-
ned .

The Arab (Moslem) plan in action

Your Excellency , the Arab (Moslems) have laid.
down acual plan andand programme of action
to arabise and islamiz the whole world , Africa
being the first threat , For Africa the plan goes
throught the coast and the center .

Notice:- This is page one.

الفصل الخامس

مخطط الحركة النصرانية

بمصر

مخطط الحركة النصرانية بمصر

في اطار حرب التنصير المستمرة ضد المسلمين تعقد المؤتمرات وتحاك المؤامرات ، ورغم السرية الكبيرة التي يحيط بها المنصرون مخططاتهم وكيدهم للاسلام الا أنه بتوفيق من الله سبحانه وتعالى يتم كشفها ، وفي هذا الفصل نعرض وثيقة هامة عن الحركة التنصيرية في مصر والتي تكشف مخطط الكنيسة لزيادة عدد ما اسمته (شعب الكنيسة) بالحد من انجذاب المسلمين سعيا لاقتسام السلطة في مصر قهيدا للانفراد بها واستردادها من اسمتهم (المسلمين الغزاة) على حد زعمها .

في الاجتماع الذي تم في الكنيسة المرقسية بالاسكندرية برئاسة الانبا شنوده الثالث بتاريخ ١٩٧٢/٣/٢٥ م^(١)

وبعد اداء الطقوس والترتيبات طلب الانبا شنوده من عامة الحاضرين الانصراف ، فانصرفوا ومكث رجال الدين ، وبعض اثرياء واعيان المسيحيين بالاسكندرية ... وفي مستهل الاجتماع بدأ شنوده كلمته بأن بشرهم بأن كل شئ على مايرام ، وحسب الخطة الموضوعية والتخطيط المرسوم لكل جانب من جوانب العمل على حده في اظهار الهدف الموحد . وقال لهم في هذا الاجتماع نتحدث عن موضوعات تشمل عدة نشاطات كالآتي :-

أولاً : عدد شعب الكنيسة :

قال بأن مصادره في ادارة التبعية * والاحصاء ابلغتهم بأن عدد المسيحيين في مصر يقارب ثمانية ملايين نسمة ، وواجب أن يعلم شعب الكنيسة كما يجب عليهم أن ينشروا ذلك ويؤكدوه بين أفراد وفئات المسلمين لأنه سيكون عندنا في المطالب التي سنطلبها من الحكومة وسنذكرها لكم اليوم .

ثم قال أن التخطيط العام الذي تم الاتفاق عليه بالاجماع .والذي صدرت بشأنه التعليمات

١ - نقلا عن د / علي جريشة - حاضرم العالم الاسلامي - جدة الطبعة الثانية ص ٢٥٩ - ٢٦٣ .

* يعني هذا أن لديهم عملا منطلقا لسرقة المعلومات من الادارات الحكومية وتوظيفها لخدمة أهدافهم .

الخاصة بتنفيذها هذا التخطيط ، وضع أساس بلوغ شعب الكنيسة الى نصف عدد الشعب المصري . حيث يتساوى عدد شعب الكنيسة مع عدد المسلمين لأول مرة منذ ثلاثة عشر قرنا من الزمان أي منذ الاستعمار العربي أو الغزو الاسلامي لبلادنا على حد قوله . والمدة المحددة في التخطيط للوصول الى هذه النسبة هي من ١٢ - ١٥ سنة منذ الآن ولذلك فان الكنيسة تحرم تحريما باتا وقاطعا تحديد النسل ، أو تنظيمه ، ويعتبر كل من يعمل ذلك خارجا على تعليمات الكنيسة . ومضيعا لمجدها ، وذلك باستثناء الحالات التي يقرر فيها أطباء الكنيسة خطر الحمل أو الولادة على حياة المرأة وقد اتخذت الكنيسة عدة قرارات لتحقيق هذه الخطة بالنسبة لزيادة عدد المسيحيين .

١ - تحريم تحديد النسل وتنظيمه بين شعب الكنيسة .

٢ - تشجيع تحديد النسل وتنظيمه بين المسلمين . خاصة وأن أكثر من ٦٥ ٪ من الأطباء وبعض الخدمات الصحية بيد شعب الكنيسة .

٣ - تشجيع الاكثار من النسل بين شعب الكنيسة . ووضع حوافز ومساعدات معنوية ومادية للأسر الفقيرة من شعبنا .

٤ - التنبيه على العاملين بالخدمات الصحية على المستوى الحكومي وغير الحكومي بمضاعفة الخدمات الصحية بين شعبنا المسيحي . وبذل العناية والجهد الوافرين ، وذلك من شأنه تقليل نسبة الوفيات بين شعبنا . على أن تكون تصرفاتهم غير ذلك مع المسلمين .

٥ - تشجيع الزواج في السن المبكر بتخفيض تكاليفه . وذلك بتخفيض رسوم فتح الكنائس . ورسوم الاكليل بالكنائس الكائنة بالاحياء الشعبية والفقيرة .

٦ - تحرم الكنيسة تحريما باتا على أصحاب العمارات والمساكن المسيحية تأجير أي مسكن أو شقة أو محل تجاري للمسلمين . ويعتبر من يفعل ذلك من الآن مطرودا من رحمة الرب ورعايه الكنيسة . كما يجب

العمل بشتى الطرق على اخراج السكان المسلمين من العمارات والبيوت المملوكة لشعب الكنيسة . وهذه السياسة اذا استطعنا تطبيقها بقدر لامكان فان من شأنها تشجيع وتسهيل الزواج بين شباب المسيحيين . وتصعيبه وتضييقه بين شباب المسلمين . مما يكون له اثره الفعال في الوصول للهدف . حيث لا يخفى أن الغرض من هذه القرارات هو تخفيض معدل الزيادة بين المسلمين . وارتفاع هذا المعدل بين شعب لكنيسة .

ثانياً : اقتصاد شعب الكنيسة :

قال البابا شنوده أن المال يأتينا كما نطلب وأكثر مما نطلب من ثلاثة مصادر أمريكا والحبشة ، والفاتيكان .

ولكن يجب ايضا أن يكون الاعتماد في تخطيطنا الاقتصادي على مالنا الخاص . الذي نجمله من الداخل . وعلى التعاون والزيادة من حقل الخير بين أفراد شعبنا شعب الكنيسة . كذلك يجب الاهتمام أكثر بشراء الأرض . وتنفيذ نظام القروض والمساعدات لمن يقوم بذلك لمساعدتهم على البناء ، وقد ثبت بالاحصاءات الرسمية أن أكثر من ٦٠ ٪ من تجارة مصر الداخلية بأيدي المسيحيين . ويجب العمل على زيادة هذه النسبة . وتخطيطنا الاقتصادي للمستقبل يركز على افقار المسلمين . ونزع الثروة من أيديهم ما أمكن بالقدر الذي يعمل به هذا التخطيط على ثراء شعبنا ، لذلك يلزم المداومة على تركيز شعب الكنيسة والتنبيه عليهم مشددا من وقت لآخر لمقاطعة المسلمين الاقتصادية . والنهي عن التعامل المادي معهم نهائيا الا في الحالات المستحيلة . وذلك يعني مقاطعة المحامين المسلمين . والمحاسبين والمدرسين والاطباء والصيادلة والمستشفيات الخاصة التي يملكونها . والمحلات التجارية الكبيرة . وكذلك الجمعيات الاستهلاكية ما أمكن ذلك . مادام يمكن التعامل مع اخوانهم من شعب الكنيسة لسد حاجتهم . كما يجب التنبيه والتذكير الدائم على مقاطعة صناع المسلمين وحرفيهم

تماما . والتعامل مع الصناعات والحرفيين المسيحيين . ولو كلفت ذلك الفرد المسيحي الانتقال والجهد والمشقة . ثم قال ان هذا الأمر مهم جدا وخطير بالنسبة للتخطيط المالي والتخطيط العام على المدى القريب والبعيد .

ثالثا : الجانب التعليمي :

قال شنودة أنه يجب بالنسبة للتعليم العام للشعب المسيحي الاستمرار في السياسة التعليمية المتبعة حاليا في الكنائس مع مضاعفة الجهد في ذلك خاصة وأن بعض المساجد بدأت تقوم بمهام تعليمية كالتي تقوم بها الكنيسة ، وذلك سيجعل مضاعفة الجهد المبذول حاليا أمرا حتميا . حتى تستمر النسبة التي نحصل عليها من مقاعد الجامعات وخاصة في الكليات العلمية .

ثم قال : اني اهتئ شعب الكنيسة وخاصة المدرسين منهم بهذه النتائج . حيث وصلت نسبة بعض الوظائف الهامة والخطيرة مثل الطب والصيدلة والهندسة وغيرها الى أكثر من ٦٠ ٪ في أيدي شعب الكنيسة الشعب المسيحي فأدعوا لهم المسيح الرب يسوع المخلص أن يمنحهم بركاته وتوفيقه . وحتى يواصلوا الجهد لزيادة هذه النسبة في المستقبل القريب .

رابعا : التنصير : (٢)

قال انه يجب مضاعفة الجهود التبشيرية الحالية . اذ أن الخطة التبشيرية التي وضعت قد بنيت على أساس التركيز في التبشير بين الفئات والجماعات المسلمة أكثر في المرحلة القادمة . على زحزحة أكبر عدد من المسلمين عن دينهم . والتمسك به . على ألا يكون من الضروري دخولهم في المسيحية . ويكون المقصود من التركيز على بعض الحالات والأفراد لدخولهم في المسيحية هو زعزعة الدين في نفوس المسلمين . وتشكيك الجموع الفقيرة منهم في كتابهم وفي صدق محمد ، لذلك يجب عمل جميع الوسائل

٢ - يستخدم المنصرون كلمة التبشير لاضفاء هالة من الخير والصالح على مخططاتهم السوداء وبعضنا يرددها وراءهم بطريق الخطأ . والأصح منصرون وليسوا مبشرين .. فالمسلمون هم المبشرون ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي ارسل مبشرا ونذيرا وسراجا منيرا . ولكن ابقيناها كما وردت في نص الوثيقة .

وشتى السبل واستغلال كل امكانيات الكنيسة للتشكيك في القرآن . واثبات بطلانه وفي صدق محمد ، واذا نجحنا في تنفيذ المطلوب من هذا المخطط التبشيري في المرحلة المقبلة . فاننا نكون قد نجحنا في ازاحة هذه الفئات عن طريقنا ، وفي هذه الحالة فهي وان لم تكن معنا فلن تكون علينا . على أن يراعى في تنفيذ المخطط التبشيري بالذات أن يتم بطريقة هادئة لبقة ذكية . حتى لا يكون ذلك سببا في اثاره حفيظة المسلمين ويقتطعهم . والخطأ الذي حدث في المحاولات التبشيرية السابقة بنجاح المبشرين في هداية بعض المسلمين لايمانهم بالخلاص على يد الرب يسوع المخلص الخطأ الذي حدث هو تسرب أنبائها الناجحة الى المسلمين لأن ذلك من شأنه تنبيه المسلمين وصحوتهم . وهو أمر قد ثبت من تاريخهم الطويل معنا أنه ليس بالأمر الهين . وهذه البقطة من شأنها أن تفسد علينا مخططاتنا المدروسة . وتؤخر نتائجها وثمارها وتضيع جهودنا هباء . ولذلك قد أصدرت التعليمات بهذا الخصوص وتنشر على جميع الكنائس لكي يتعرف الجميع من شعبنا على المسلمين بطبيعة ودية . لامتصاص غضبهم واقناعهم بكذب هذه الأنباء ، كما تم التنبيه على رعاة الكنيسة والأباء والقساوسة بمشاركة المسلمين احتفالاتهم الدينية . وتهنئتهم بأعيادهم . واظهار المودة والمحبة لهم . وعلى شعب الكنيسة في المصالح والوزارات والمؤسسات وكل أماكن الاحتفال اظهار هذه الروح بين المسلمين . ثم قال : بالحرف الواحد أننا يجب أن ننتهز ما هم فيه من نكسة ومحنة .

لأن ذلك في صالحنا . ولن نستطيع احراز أي مكاسب وأي تقدم نحو هدفنا اذا انتهت المشكلة مع اسرائيل سواء بالسلم أو الحرب ، ثم هاجم من اسماهم بضعايف النفوس والقلوب الذين يقدمون مصالحهم الخاصة على مجد شعب الكنيسة . وتحقيق الهدف الذي يعمل له الشعب المسيحي منذ زمن بعيد في التاريخ . وقال أنه لا يلتفت الى أعمالهم . وأصر أن يتقدم الى الحكومة رسميا بالمطالب الواردة بعد ذلك ، حيث أنه اذا لم يكسب شعب الكنيسة في مصر في هذه المرحلة أية مكاسب على المستوى الرسمي فربما لا يستطيعون احراز أي تقدم بعد ذلك ، ثم قال بالحرف الواحد :

(وليعلم الجميع وخاصة ضعاف القلوب أن القوى الكبرى في العالم تقف وراءنا ولسنا وحدنا . ونريد أن نحقق الهدف . ولكن العامل الأول والخطير في الوصول الى ما نريد هو وحدة شعب الكنيسة . وتمامه وترابطه . ولكن اذا تبددت هذه الوحدة وذلك التماسك . فلن تكون هناك قوة ما على الأرض مهما عظم شأنها في امكانها ومقدورها أن تساعدنا) ثم قال (وسوف لن أنسى موقف هؤلاء الذين يريدون أن يفتنوا وحدة شعب الكنيسة وعليهم أن يبادروا فوراً بالتوبة وطلب الغفران والصفح والا يعودوا الى مخالفة ومناقشة تشريعاتنا وأوامرنا ، والرب يغفر لهم .

ويشير بذلك الى الخلاف الذي وقع بين بعض المسؤولين منهم ، حيث كان رأي البعض التريث وتأجيل المطالب المزعومة الى الحكومة .

خامساً : المطالب .

ثم عدد الانبا شنودة المطالب التي أعلن أنه سيقوم بتقديمها رسمياً قريباً الى الحكومة وهي :

١- أن يصبح مركز البابا الرسمي في البروتوكول السياسي للدولة بعد رئيس الجمهورية وقبل رئيس الوزراء .

٢ - أن يخصص لهم ثماني وزارات في الوزارة .

٣ - أن تحدد لهم ربع القيادات العليا في الجيش والبوليس .

٤ - أن يخصص لهم ربع المراكز القيادية المدنية . كرؤساء مجالس المؤسسات والشركات والمحافظين . ووكلاء الوزارات والمديرين العموميين ورؤساء مجالس المدن .

٥ - أن يؤخذ رأي البابا عند شغل هذه النسبة في الوزارات والمراكز العسكرية والمدنية ويكون له حق ترشيح بعض العناصر والتعديل .

٦ - أن يسمح لهم بإنشاء جامعة خاصة بهم ، وقد وضعت الكنيسة بالفعل تخطيط هذه الجامعة وهي تضم المعاهد اللاهوتية . والكليات العلمية

والنظرية . وتمول من مالهم الخاص .

٧ - أن يسمح لهم باقامة اذاعة خاصة من تمويلهم الخاص .

وأخيرا اختتم حديثه بتبشير الحاضرين . وطلب منهم نقل هذه البشيرة الى شعب الكنيسة . حيث أن أملهم الأكبر في عودة البلاد الى أصحابها من أيدي الغزاة العرب على حد تعبيره - وقد بات وشيكا - وليس في ذلك وهذا قوله (أية غرابة) وضرب لهم مثلا باسبانيا النصرانية التي قال انها ظلت في أيدي المستعمرين قرابة سبعة قرون ثم قال بالنص في التاريخ المعاصر أكثر من بلد عادت الى ذمتها منذ قرون طويلة جدا .

ولعله يقصد من هذه الدول اسرائيل ، وفي ختام الكلمة والاجتماع أنهى حديثه ببعض الأدعية الدينية للمسيح (الرب) الذي يحميكم ويبارك خطواتكم على حد تعبيره .

البابا والنقابات^(٣)

في يوم الأحد ١٨ أبريل ١٩٩٠م تصدر جريدة (وطني) لسان حال الأقباط (النصارى) في مصر نداء الانبا شنوده الثالث بابا الكنيسة القبطية المصرية ، يدعو فيه الاطباء النصارى أن يتوجهوا الى نقابة الأطباء للدلاء بأصواتهم في انتخابات التجديد النصفى لمجلسها التي جرت يوم الجمعة ١٢ أبريل ١٩٩٠م ، وقد كشف الانبا شنوده بنداؤه هذا ، اهتمام الكنيسة المصرية بالشئون السياسية ، وتدخلها في العمل العام ، حتى ولو كان عملا نقابيا ، والأكثر من ذلك أن الانبا شنوده أعلن ولأول مرة أن العمل العام عبادة روحية ، وتبين ذلك من نص البيان الذي جاء فيه بالنص (ومع أن هذا اليوم الجمعة العظيمة (يسميها عامة الأقباط بمصر الجمعة الحزينة) وهو يوم مخصص للرب في ذكرى الآم السيد المسيح الا أنني أحب أن تقطعوا ساعة منه من أجل الصالح العام ، واعتبروا هذا العمل عملا روحيا يقومون به

.. وواجبا وطنيا لايحق لأحد التقصير فيه ، ولكن الرب معكم يكافئكم خيرا على تعبكم (١٠)

وقد أكد الانبا شنوده بندائه هذا خروجه على القاعدة المسيحية القائلة (دع ما لله لله ومالقيصر لقيصر) والتي يرددها غالبية المسلمين بعد أن خدعوا بها طويلا . وعلى أساسها يعملون للفصل بين الدين والدولة في كثير من بلاد المسلمين حاليا .

أطراف المؤامرة

والكنيسة المصرية لاتقوم بهذا المخطط التنصيري داخل مصر بمفردها بل تساندها في ذلك هيئات كنسية دولية ودول كبرى منها مجلس الكنائس العالمي ودولة الفاتيكان والدول الغربية والشرقية التي تتخذ المسيحية دينها لها . وتساند العملية التنصيرية وسائل اعلام هذه الدول . ففي تقرير بثته وكالة الأنباء الفرنسية (٤) من القاهرة تحت عنوان (تصاعد قلق أقباط مصر) جاء فيه (أطفال المدارس الابتدائية في الفيوم (٥) تركوا لعبة عسكر وحرامية واستبدلوها بلعبة مسلمون ونصارى . الأمر الذي يثير قلق الأقباط المصريين اثر حوادث العنف المتعددة التي تعرضوا لها خلال الشهرين الماضيين في القاهرة .

واسيوط والفيوم ويورد التقرير افتراءات كثيرة محاولا اظهار أقباط مصر الذين يشكلون ما بين ١٠ر ٨ ٪ من السكان بأنهم مستضعفون ويتعرضون لضغوط كثيرة لاثارة حفيظة الهيئات التنصيرية لامدادهم بالمزيد .

وتنظر هذه الفئات التنصيرية الى الأزهر الشريف ^(٦) على أنها العقبة الكؤود في وجه التنصير الصليبي لا في مصر وحدها ، وإنما في كل العالم الاسلامي . وينبه جون

٤ - وكالة الأنباء الفرنسية (أ . ف . ب) القاهرة تحت عنوان تصاعد قلق أقباط مصر بقلم ميشال تريشة بتاريخ ٢٨/٤/١٩٩٠ م .

٥ - محافظة جنوب القاهرة بحوالي ٤٠ كيلومتر .

٦ - الأزهر الشريف الذي يعد أول جامعة في العالم وأنشئ عام ١٩٧٢م الموافق ١٣٩٢هـ وبناء جوه الصقلي في عهد الخليفة الفاطمي

المعز لدين الله وسمى بالأزهر إشارة الى الزهراء (لقب فاطمة ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم) وقد اضطلع الأهر منذ نشأته بجانب كونه جامعة للتربية والتعليم بوظيفة أخرى هامة وهي حماية الدين الاسلامي والنود عنه ونشره وترويج القادة من العلماء الذين يديرون شئون الدين والدنيا .

رالي موط المؤرخ الكنسي والمنصر الأمريكي المعروف لأهمية الأزهر ودوره في حياة المسلمين بقوله ^(٧) أن شهادة منه (الأزهر) بين المسلمين توازي شهادة الدكتوراه من اكسفورد أو باريس أو هارفارد في العالم الغربي . وفي عام ١٩٠٨ قال جلادستون الذي كان رئيسا لوزراء بريطانيا في ذلك التاريخ . وهو من عتاة المنصرين ، لن تغلب المسلمين مابقى فيهم المصحف والكعبة والأزهر ^(٨) .

ومن ثم كان التركيز على مصر في العمل التنصيري . وقد عقد المنصرون الكثير من المؤتمرات والندوات ، واجروا العديد من البحوث الميدانية والدراسات . ومن أهم هذه المؤتمرات مؤتمر القاهرة (عام ١٩٠٦ م) والذي عقد في بيت الزعيم المسلم عرابي باشا في باب اللوق ^(٩) وبلغ عدد مندوبي ارساليات التنصير الذين حضروه ٦٢ من الرجال والنساء ، وقد ترأس المؤتمر القس صمويل زويمر ، وأهم ماخلص اليه المؤتمر الكنائس المسيحية في العالم على اختلاف مذاهبها لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة، وتتكفل هذه المدرسة الجامعة باتقان تعليم اللغة العربية ^(١٠) وانطلاقا من ذلك قررت الارسالية الأمريكية التنصيرية بمصر عام ١٩١٩م انشاء الكلية الأمريكية في القاهرة ، والتي أصبحت فيما بعد الجامعة الأمريكية وهي في ميدان التحرير بالقاهرة عن قصد لتكون قريبة من الصرح الاسلامي الشامخ (الجامع الأزهر) وتعد هذه الجامعة حاليا مركزا خطيرا للتنصير في قلب العالم الاسلامي ^(١١) .

وقد عقد احدث مؤتمر لتنصير مصر في مدينة اكسفورد بالانجلترا في منتصف شهر أغسطس عام ١٩٨٦م ، وكان هدف المؤتمر (وضع استراتيجية دقيقة ومنظمة وسرية

٧ - د / خالد محمد نعيم - فتنة اكسفورد الكبرى - دراسة نشرت في جريدة السلمون عدد ٢٧٥ ص ٣ بتاريخ ١٦ شوال ١٤١٠ هـ / ١١ مايو ١٩٩٠ م .

٨ - المصدر السابق .

٩ - أ . ل . ش . اتليه - الغارة على العالم الاسلامي تعريب محب الدين الخطيب ومساعد الباني الطبعة الرابعة - جدة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ص ٣٣ .

١٠ - المرجع السابق ص ٣٨ .

١١ - د / خالد محمد نعيم مصدر سابق .

لغزو الصليب لمصر وضرب الاسلام فيها ، وقد عكس ذلك د. كوانج المنصر الأمريكي الذي ترأس جلسات المؤتمر أهمية العمل التنصيري في مصر بقوله ، ان مشروع التبشير بالنصرانية في مصر هو مفتاح القضاء على الاسلام تماما) .

ووضع مؤتمر اكسفورد (المؤامرة الكبرى لتنصير مصر) اشرف على . وضعها أخطر المنصرين في امريكا وانجلترا وتتلخص خيوطها في ان المسلمين المصريين على درجة من الفطنة والذكاء . وأنه لن يحدث مائتمناه الا عن طريق واحد فقط وهو التقرب اليهم ، وكسب ثقتهم دون أن يشعرهم أحد بأنه يدعو الى المسيحية ، هنا سيتحقق ما نبتغيه ، لا نصرح بدعوتنا لهم ، وانما عن طريق تغيير البنية الاجتماعية ، بعاداتها وتقاليدها ونظمها الاسلامية الراسخة ، بمشاركتهم والتقرب اليهم ، وكسب ثقتهم ، بما نظهر لهم من فضائل ومزايا في نهج حياتنا وطرق معيشتنا وأنا أهل ثقة . عندئذ نبدأ مباشرة بالتبشير والتحرك العلني في المنطقة ، وفي هذا الوقت سنكون قد قتلنا الحماسة الدينية في وجدانهم . وقتلنا الروح الملهمة لديهم ، وأفقدناهم الثقة في أن دينهم الاسلامي يستطيع أن يبلي حاجاتهم المادية والعلمية والحضارية ^(١٢) .

والمتتبع للأوضاع في مصر عقب هذا المؤتمر يجد أن مخططهم حقق خطوات عملية . وذلك بالتعاون مع أقباط مصر . منها حذف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأناشيد الدينية ، والقصص المستوحاة من الاسلام من الكتب والمقررات الدراسية في مصر بدعوى أنها تؤذي مشاعر غير المسلمين ، وقد تم ذلك بضغط أمريكي نتيجة تمويلهم لبعض مشروعات التعليم الأساسي في اطار برنامج هيئة المعونة الأمريكية والتي تبدو في ظاهرها مؤسسة اقتصادية . بينما هي تقوم في الأصل بأعمال كنيسية وتنصيرية .

ووراء هذا الالغاء عملية مسرحية تؤكد خطورة وقوة هيئات التنصير في مصر فقد حدث أن نشرت جريدة الاهرام بتاريخ ١٩٨٩/٥/٩م في باب (بريد القراء) رسالة من القبطي سمير بنايوتي تحت عنوان (هذا الحرج) يقول فيها انني استفتي علماء

الاسلام في مدى تمسك واضعي المناهج برغبتهم المستمرة لأن تحفظ ابنتي المسيحية آيات قرآنية وأحاديث نبوية في كتاب القراءة وبعد هذا الخطاب الموجه - بايام قليلة استجابت وزارة التربية والتعليم^(١٤) في مصر الاسلامية لرغبة أحد الأقباط فقامت بحذف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

وخطوة أخرى تتمثل في نجاحهم في قتل الأطفال (الأجنة) المسلمين في رحم الأمهات من خلال برامج تنظيم الأسرة والتي تمولها الحكومة الأمريكية في الداخل .

وخطوة ثالثة تتمثل في افتعال ما يسمى بأحداث الفتنة الطائفية . واطهار الأقباط على أنهم مستضعفون ويهاجمون باستمرار من جانب الشباب المسلم الذين نجحوا في إطلاق تسمية التطرف على كل مسلم غيور على دينه . ويستغلون بعض الحوادث الفردية من مشاجرات بين اثنين من الجيران أو في الأسواق يكون طرفها أحد الأقباط ويصورون ذلك على أنه توجه عام ومن منطلق عقائدي ، ولعل ما نشرته وكالات الأنباء الغربية وفي مقدمتها وكالة رويتر الانجليزية ووكالة الأنباء الفرنسية يوم ١٢/٥/١٩٩٠م حول حادث اعتداء أحد فلاحي قرية رأس الترعة في محافظة البحيرة^(١٥) على ستة من الأقباط بدافع الشار في حين حاولت الوكالتان اضاء الصبغة العقائدية على هذا الحادث فقالت وكالة (أ . ف . ب) الفرنسية^(١٦) تحت عنوان (فلاح مسلم يقتل ٦ من الأقباط) ان فلاحا مسلما قتل اليوم الجمعة ٦ من الأقباط الارثوذكس كانوا في سيارة على بعد ٣ كيلو متر) ، ورغم أن القاتل اعترف

١٣ - وهي جريدة أساسها اثنان من النصارى هما سليم وبشاره تقلا عام ١٨٧٥م .

١٤ - كان على رأس الوزارة في ذلك الوقت الوزير د / فتحي سرور رئيس مجلس الشعب المصري الحالي .

نشرت صحيفة الشعب المصرية في عددها رقم (٥٥١) بتاريخ الثلاثاء ٢٦ ذي القعدة ١٤١٠هـ الموافق ١٩ يونيو ١٩٩٠م ص ١١ تحت عنوان (تهدم سور المدرسة) مايلي (تهدم جزء من مدرسة محمد شرف بمنطقة الشراية (أحد أحياء العاصمة القاهرة) ونقل أولادنا الى مدرسة أخرى بفترة مسائية وهذه المدرسة تقع في منطقة غير معروفة لأننا كما تكثر بها حركة السيارات مما عرض عدد كبير من أولادنا لحوادث عديدة خاصة عند خروجهم رغم أن الحسي قد حصل على شيك رقم ٧٠٢٧٥٠ بتاريخ ١٩٩٠/٢/١م من المعونة الأمريكية بمبلغ ٦٥٠٠ جنيه لترميم المدينة .

وهذا دليل قاطع على قول أمريكا للتعليم الأساسي لفرض غير مععلن ولكنه معلوم .

١٥ - محافظة جنوب الاسكندرية بحوالي ثلاثين كيلومترا .

بارتكاب الحادث ثأراً لقتل شقيقه على يد الطبيب القبطي في نزاع على قطعة أرض فان الوكالة ترى أن عمليات الثأر أقل شيوعاً في دلتا النيل ، ووكالة أنباء رويتر نشرت الخبر على نفس الطريقة السابقة جاء فيه (أن مزارعاً مسلماً قتل ستة مسيحيين من بينهم قس وطبيب) . بينما نشرت الخبر بقية الصحف ووكالات الأنباء العربية على أنه ثأر عادي ولم تشر إلى ديانة القاتل أو الضحايا وكمثال نذكر ما أوردته وكالة الأنباء القطرية (ق . ن . أ) والتي نشرت الخبر كما يلي :

لقد لقي ٦ أشخاص مصرعهم في حادث ثأر باحدى قرى مركز أبي المطامير بمحافظة البحيرة عندما أطلق المدعو رجب محمود النار على سيارة جمال رشدي مرقص ومعه بعض أقاربه في طريقهم إلى الاسكندرية حيث مقر اقامتهم^(١٧) .

اثارة مثل هذه الفتنة يستهدف استعداد السلطات المصرية ضد الشباب المسلم الملتزم . وتعريضه دائماً لعمليات السجن والقمع حتى تفشل مهمة بناء بنية المجتمع على أسس اسلامية . والتي يركز عليها هؤلاء الشباب ، وقد أثبتت جهات أمنية مصرية تورط جهات ودول خارجية في أحداث هذه الفتنة وثبت ذلك لدى الجهات القضائية المصرية كما جاء في خبر نشرته وكالة الأنباء القطرية (ق . ن . أ)^(١٨) تحت عنوان (ابعاد مبشرين من مصر) وجاء فيه أن النيابة في مصر قررت اخلاء سبيل وابعاد ثلاثة من الأجانب كان قد القي القبض عليهم بتهمة القيام بأعمال تبشيرية داخل مصر بهدف اثارة الفتنة الطائفية بين الأقباط والمسلمين وأن المتهمين الثلاثة هم :

رولاندي كريسيدي - سويسري - والامانيان استووتر ومايكل جوزيف قد ذكروا أمام النيابة أنهم يتحدثون عن عقيدة يؤمنون بها ، وقد عثر داخل الشقة التي كانوا يقيمون بها في القاهرة على بعض المنشورات والكتيبات التي تدعو إلى اعتناق المسيحية واثارة القلاقل الطائفية كما ثبت تردد بعض المصريين عليهم . والأخطر من ذلك تقارير أمنية افادت أن السفير الأمريكي في مصر يقوم بجولات

١٧ - وكالة الأنباء القطرية خبر من القاهرة بتاريخ ١٢/٥/١٩٩٠م لاحظ تركيز الوكالات الغربية على الديانة ومهنة المقتولين .

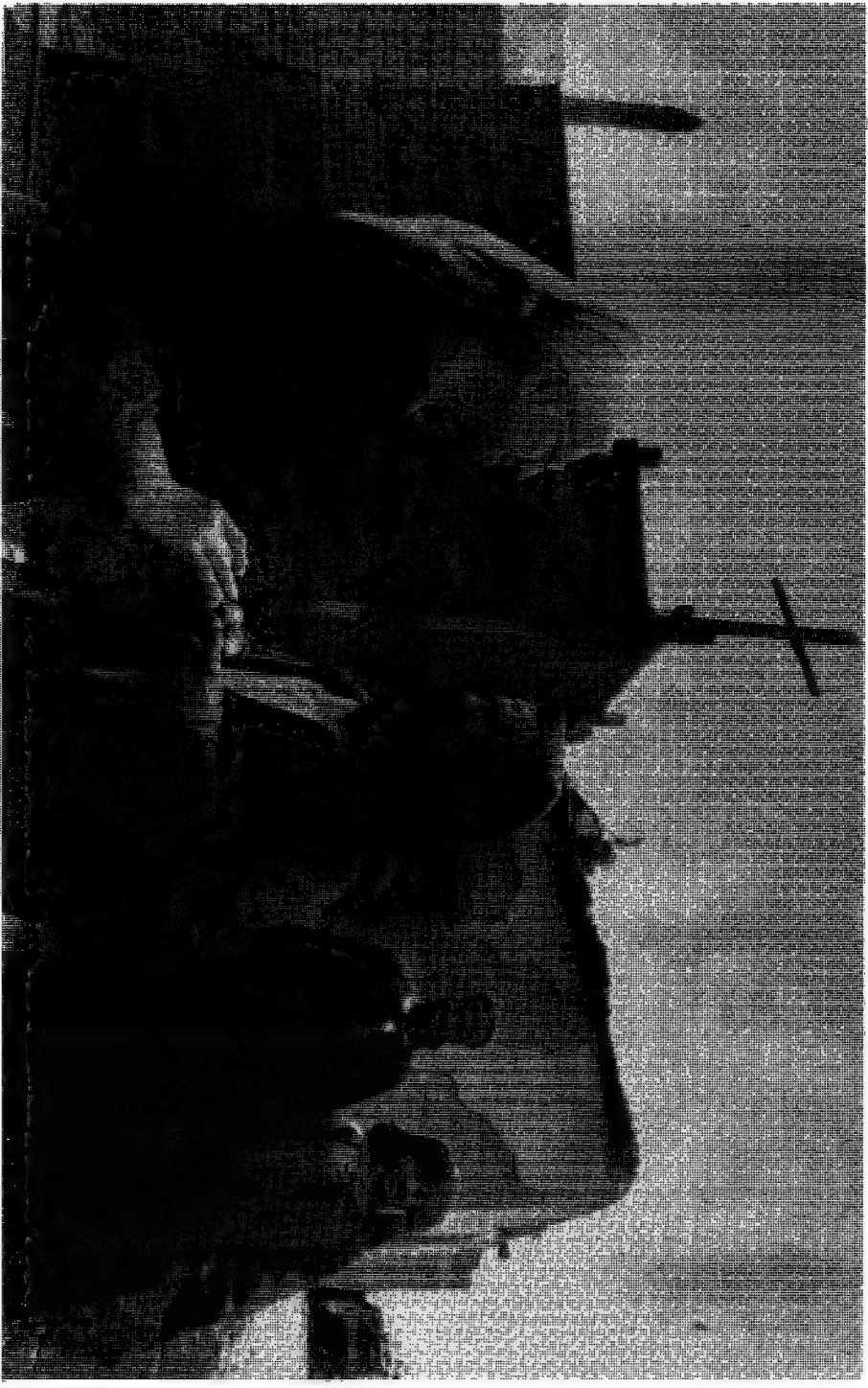
١٦ - وكالة الأنباء الفرنسية (أ . ف . ب) خبر من القاهرة بتاريخ ١٢/٥/١٩٩٠م .

في جنوب مصر (الصعيد) للالتقاء ببعض زعماء الكنائس هناك دون اخطار السلطات المسئولة مخالفا بذلك القواعد والاعراف الدبلوماسية ، وقد احتجت جهات رسمية على تصرفات السفير .

السفير الأمريكي في ذلك الوقت كان يدعى فرانك ويزنر وجاء في كتاب (حقائق ووثائق) دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية في العالم الاسلامي للدكتور عبدالودود شلبي . (أن السفارة الأمريكية تقف وراء منظمة تنصيرية بروتستانتية تعمل في صعيد مصر وتسمى جمعية صعيد مصر (Association of Upper Egypt) وقد تأكد ذلك من خطاب موجه من السفارة موقع باسم باتريشيا فيولبت (Patriciaviolepit) الى القائمين على إدارة هذه المؤسسة وتملك هذه المؤسسة فروعاً في أكثر من ٦٠ مركزاً وقرية في صعيد مصر ^(١٩)) .

١٨ - وكالة الأنباء القطرية خبر من القاهرة رقم ٧٩ بتاريخ ١٤/٤/١٩٩٠ م .

١٩ - د/ عبدالودود شلبي حقائق ووثائق .. دراسة ميدانية عن الحركات التنصيرية في العالم الاسلامي - جدة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م الطبعة الأولى . ص ٩٠ .



المنصرة عمانويل (EMMANUELLE) ميمونة كنائس نوتردام امضت أكثر من (١١) عاما (١٩٧١م - ١٩٨٢م) في ضواحي القاهرة بين أسر المسلمين . وقالت عنها وكالة الانبيا . المصوره سيجما انها تعتقد ان (نشر مذهبها الكاثوليكي هنا يجب ان يكون حقيقة ولكن في تكتم وتحفظ) (سيجما مارس ١٩٨٢م)

الفصل السادس

مؤتمر كلورادو

المؤتمر كلورادو الحرب الشاملة ضد الإسلام

في الفصول السابقة قدمنا عرضا للمؤامرة التاريخية التي ظلت تحاك ضد الاسلام في واحد من أعرق مواطنه - شمال وغرب ووسط افريقيا - من خلال قراءة جديدة للوقائع والمصطلحات والاحداث .

وفي هذا الفصل نعرض كتابا وثائقيا لم نجد شهادة اصدق منه تؤكد ما أوردناه في الفصول السابقةالكتاب يضم وقائع اخطر مؤتمر في التاريخ يتم فيه الاعداد لأكبر حرب شاملة ضد الاسلام .. انه مؤتمر كلورادو الذي عقد عام ١٩٧٨م . وفيه وضعت الاستراتيجيات والخطط والبرامج التي اعتقد واضعوها انها محكمة .. ثم تدارسوا احدث الاسلحة وانواعها وكيفية استخدامها للاتقصاص على الاسلام . وفيه ايضا تم الاعداد لتأهيل وتدريب الكفاءات البشرية اللازمة في الكنيسة ليقودوا الحرب في مختلف جبهاتها العقائدية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية . ومن داخل ديار المسلمين بعد التغلغل فيها والسيطرة عليها .

نشر الكتاب عام ١٩٧٩م بعنوان (الانجيل والاسلام) ^(١) وان كان افضل عنوان يعبر عن محتواه في رأينا هو (الحرب الشاملة للقضاء على الاسلام) وتحت العنوان كتب ان تلك الوثائق هي خلاصة ما انجز عام ١٩٧٨م في مؤتمر كلورادو .. ويضم بحوثا ودراسات ومقترحات كلها نتاج عمل ميداني أجرى وسط المسلمين ^(٢) . ان وقائع مؤتمر كلورادو لتنصير المسلمين برغم ماتشكله من خطورة لم تترجم

(١) The Gospel And Islam . A 1918 - Compendium , Edited . BY / Don M. Mcmurry .

دون ماكوري هو مدير معهد صمويل زويمر في باسدينيا أمضى ١٨ عاما في التنصير في باكستان .

(٢) بعثات الاغاثة والعمال وخدم المنازل والسائقون والهمئات الطبية يلعبون دورا كبيرا في هذا المجال .

حتى الآن الى اللغة العربية ^(٣) وانما نشرت بعض التعليقات والخواطر عنها في صحف متفرقة .. ولهذا عندما حصلنا على هذه النسخة من الداعية المخلص الاستاذ الدكتور / زغللول النجار وفقه الله ، أبلغناه رغبتنا في ترجمتها للعربية ... وقد اوضح لنا ان هناك ترجمة تعد حاليا في احدى الدول الاسلامية ويتوقع ان ترى النور قريباً . ونحن من جانبنا ندعو القائمين على ترجمتها للاسراع في انجازها حتى يعرف المسمون حقيقة ما يحاك ضدهم وضد الاسلام . اما هنا فسنحاول القاء الضوء على بعض ما دار في ذلك المؤتمر ولما كانت وقائع المؤتمر قد نشرت في ٦٣٧ صفحة هي ذلك الكتاب . فان المجال لايتسع لترجمة كل ما جاء فيها .. وسنورد عناوين بعض الدراسات الرئيسية المقدمة مع اطلالة تعريفية من خلال تقديم الكتاب وعرض وترجمة للبيان الختامي للمؤتمر .

في ربيع عام ١٩٧٨م رعت لجنة لوزران الدائمة لتنصير العالم lausane Committee For world Evagelization ومنظمة الرؤية العالمية WorldVision Interational المؤتمر الذي عقد في باسيدونيا . وعرف بمؤتمر كلورادو لتنصير المسلمين .. وقد قام مركز بعثات التنصير المتطور في منروفيا بولاية كلورادو الأمريكية بنشرها عام ١٩٧٩م في ذلك الكتاب .

وزعت موضوعات المؤتمر الأساسية على مختصين في تنصير المسلمين يعملون في مناطق مختلفة من العالم الاسلامي . كتبوا فيها .. وعلى ضوء هذه الكتابات تم انتقاء المشاركين . فاختر ١٥٠ مشاركا يمثلون جهات عديدة تعمل كلها وسط المسلمين لتنصيرهم .

من العناوين التي غطتها الأوراق الأساسية الانجيل والثقافة . توصيل الانجيل للمسلمين عبر القنوات الثقافية المزدوجة . المسلم المنصر وثقافته . دور الكنائس الديناميكية المتكافئة في المجتمع المسلم . دراسة العناصر المكونة لبيئة المسلم بهدف

(٣) كان ذلك في سبتمبر ١٩٨٨م ولم تنشر الترجمة حتى يونيو ١٩٩٠م وقت الإنتهاء من اعداد هذا الكتاب .

اختراقها . تحليل عناصر الرفض والاستجابة لدى المسلمين . اسلام العامة .. جوع القلب ، الوضع المقارن بين المسيحية والاسلام في الغرب . في افريقيا جنوب الصحراء . في شمال افريقيا . في الشرق الأوسط . في ايران في شبه القارة الهندية . في جنوب شرق آسيا . في الصين والاتحاد السوفيتي ^(٤) هناك ايضا مواضيع أساسية أخرى نذكر منها :

الوضع الحالي لترجمات الانجيل الى لغات المسلمين ، الوضع الحالي للبث الاذاعي التنصيري الموجه للمسلمين . الأساليب والأدوات الجديدة للمساعدة في تنصير المسلمين . الغذاء والصحة ^(٥) كعناصر في تنصير المسلمين ، مدخل المسيحيين الى المرأة المسلمة والأسرة المسلمة وأخيرا .. الوصول الى مالا يتصور الوصول اليه . هذا جانب من العناوين الرئيسية أما التقديم والتقرير فقد جاء على الصفحات (٥ - ٨) . وعنه نترجم مايلي :

هناك مؤتمرات تلتئم ، تناقش ، تصدر قراراتها . ثم تنفض . وهناك مؤتمرات أخرى تغير مجرى التاريخ . ومؤتمر أميركي شمال امريكا . مؤتمر كلورادو لتنصير المسلمين الذي عقد عام ١٩٧٨م قد أصبح واحدا بين هذه المؤتمرات التي تغير التاريخ . لقد ترك مؤتمر جلين ايري بصماته واضحة على شكل وتوجه التنصير على مستوى العالم جاء المشاركون فيه من دول كثيرة ، وتقاليد كنسية متعددة ، وخلفيات فكرية متنوعة .. وخبرات غنية اجتمعوا معا من أجل هدف واحد هو اىصال رسالة المسيح لاتباع الاسلام البالغ عددهم ٧٢٠ مليوناً (اليوم يتجاوز عدد المسلمين ألف مليون مسلم) .

لقد أوضحت أوراق المؤتمر الأساسية كما كرس المتحدثون ولجان العمل وتقرير المؤتمر الجهود لوصف احتياجات المسلمين .. وتأکید فشل الكنيسة في القيام بمهمتها في

٤ - تحت كل واحد من هذه العناوين قدمت أمام المؤتمر دراسة قائمة بذاتها أعدها متخصصون يارسون العمل التنصيري ميدانيا ويمكن الاطلاع عليها في الكتاب المذكور .

٥ - المقصود هنا توجيه عمليات الأغانة الغذائية والطبية لخدمة التنصير .

السابق (٦) وتضييع الفرصة الثمينة .

المتاحة حاليا للتنصير . اذ المعروف أن العالم الاسلامي يمر حاليا بمرحلة تمزق اجتماعي وسياسي . والقلوب والعقول مهياة بين المسلمين للتنصير . والفرصة متاحة للوصول . فعلى الكنيسة أن تتخلى عن الأساليب غير الفعالة .. وتبحث عن طرق ملائمة ثقافيا لتقديم رسالة المسيح بأسلوب فعال للمسلمين .

يجب أن يصل الانجيل الى مئات الآلاف من المسلمين .. وعلى بعثات التنصير والمنصرين ان يتحسروا ويتوبوا لافتقارهم للحساسية اللازمة .. وعن لامبالاتهم .. وعن عدم رغبتهم في كسر قيود التقاليد العقيمة التي تحول دون واجبهم .

ويؤكد المؤتمر أن الكنائس الوطنية ^(٧) وسط المسلمين مطالبة بالخروج من عزلتها . واقتحام ثقافات المحلية بزخم جديد .. وعلى المواطنين المسيحيين هنا وبعثات التنصير أن يعملوا معا وبروح صادقة مكملية لبعضها البعض .

حاليا يجري التخطيط لإنشاء معهد تدريب ومركز أبحاث للمساعدة في تنسيق الجهود وتبادل المعلومات .. لقد سمي المعهد باسم صمويل زويمر ^(٨) .

لقد اقترح المؤتمر تكليف المزيد من لجان العمل لاستكشاف وتقصى القضايا الدينية ذات الصلة بتنصير المسلمين . والعمل على نشر دراسات تساعد المسيحيين القائمين على اداء هذه المهمة ميدانيا . وقد جاء في تقديم الكتاب أنه تم بالفعل وضع برامج ستشجع على التدريب وتطوير الكنيسة ودورها بين المسلمين في جميع القارات بما في ذلك شمال أمريكا .

٦ - هذا من باب المحاسبة الذاتية . كالمؤثر بناء على هذا الاعتراف أوصي بالتخلي عن أساليب التنصير القديمة واتباع الأساليب الجديدة التي أوصى بها .

٧ - الكنائس الوطنية يقصد بها هنا الكنائس القائمة أو التي تقام في بلاد المسلمين ولها مريدون من مواطني البلد .

٨ - صمويل زويمر رائد عمليات التنصير في بلاد المسلمين . نظم ورأس مؤتمر القاهرة عام ١٩٠٦م اول مؤتمر لتنصير المسلمين ثم عقد عام ١٩٣٥م في القدس مؤتمر المنصرين العاملين في الدول العربية .























ثم خلصت المقدمة الى القول :

لقد حان الوقت من أجل القيام بعمل مكثف وجاد .. ومن أجل مزيد من الالتزام والسخاء المالي في دعم التنصير .

لقد حان الوقت لاتخاذ العالم الاسلامي . فالحقل ^(٩) قد استوى للحصاد .. وراعي الحصاد - الرب - ينادي أين عمال الحصاد ؟ فينبغي على الكنيسة أن لاتأخر أكثر مما تأخرت . ان التجارب أثبتت أن بعثات التنصير وسط المسلمين يجب أن لاتمارس عملها بطريقة ميكانيكية وانما تكون في شكل بعثة خدمات .

هذا المؤتمر هو خلاصة تجارب وضعت بين يدي العاملين في تنصير المسلمين لتصبح أداة عملية تساعدهم في حقل التنصير . لقد نبه المؤتمر الى الحاجة الملحة لإنشاء مركز رئيسي يكون بمثابة مركز الجهاز العصبي يتولى التدريب والبحث في مجال تنصير المسلمين .. وبالفعل بدأ تأسيس هذا المركز في معهد صمويل زويمر في جنوب كيلفورنيا .

اختتم المؤتمر أعمالهم مؤكدين من جديد التزامهم بابلاغ ما أسموه رسالة المسيح الى الـ ٧٢٠ مليون مسلم الذين يشكلون عدد المسلمين في العالم ، مع إصرار جديد على تسخير جميع الموارد والعمل معا لتحقيق هذا الهدف ، واثقين من أن الكنائس الجديدة الملائمة ثقافيا يمكن انشاؤها في العالم الاسلامي من أجل المسلمين وبأيدي الذين يتم تنصيرهم .

الصلبان - اشكالها ومعانيها			
شكل الصليب	معناها	شكل الصليب	معناها
١- 	صليب لاتيني	٢- 	صليب القديس انطوني
٣- 	صليب روسي	٤- 	صليب الأورين
٥- 	صليب شيخ الجليل	٦- 	صليب قديس اندريو
٧- 	صليب القديس جورج	٨- 	صليب الكنيسة الكاثوليكية
٩- 	صليب مالطا	١٠- 	صليب أورغليم
١١- 	الصلب المعكوف - صليب يرمز الى الشر والى الحظ السعيد . . وهي تمثل شارة الحزب النازي الالمانى	١٢- 	
١٣- 		١٤- 	
١٦- 		١٧- 	
١٨- 		١٩- 	
٢٠- 		٢١- 	
٢٢- 		٢٣- 	

الصلبان من (١٢- ٢٣) توضع على صدر بعض الاشخاص . . مثل حكم فى مباراة أو مرسل بين الزعماء خصوصا فى الحرب
ومستول عن ابتكار أو وضع شعارات القبائل أو رسول رسمى أو بشير أو نذير . وتتفشى بين كثيرين من شباب
المسلمين كموضة .

ترجمة تقرير المؤتمر (*)

في منتصف شهر أكتوبر من عام ١٩٧٨م عقدت في مدينة جلين ايري من ولاية كلورادو الأمريكية مشاورات استمرت اسبوعا كاملا . كان هدفها استكشاف وبلورة مسئوليات مسيحيي أمريكا الشمالية - الولايات المتحدة الأمريكية وكندا - تجاه العالم الاسلامي . كان هذا جزءا من عمل دؤوب متصل بدأ في المؤتمر العالمي لتنصير العالم والذي عقد في لوزان عام ١٩٧٤م .

في لوزان قطع الذين اجتمعوا هناك عهدا مقدسا مع الرب ومع أنفسهم تعاهدوا فيه على أن يصلوا ويخططوا ويعملوا معا من أجل تنصير العالم .. وضعوا نصب أعينهم شعار (دعوا الأرض تسمع صوته) وركزوا على أولئك الذين لم يتم الوصول اليهم بعد .. وكان لدى أغلب المشاركين في المؤتمر اهتماما خاصاً بالعمل وسط المسلمين تلك الكتلة الكبيرة التي لم نصلها بعد .

بعد ذلك المؤتمر عقد مؤقران صعدا هذا الاهتمام لتنصير الذين لم يتم الوصول اليهم بعد .. فمشاورات بساينا عام ١٩٧٧م ركزت على ذلك التنوع القائم بين الثقافات والبشر الذين يشكلون الجنس البشري .. وقد بذل المشاركون جهدا مضنياً ليربطوا بين هذه الحقيقة وبين عمل البعثات التنصيرية على مستوى العالم .

وفي مؤتمر ويلويانك عام ١٩٧٨م اجتمع المشاركون ليناقدوا بتعمق العلاقة التبادلية بين الانجيل يسوع المسيح وبين الثقافة .

على هذه الأرضية اذن بني مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين حتى يتم التركيز على الجانب العملي لا يصال رسالة التنصير الى المسلمين .. وعلى دراسة وتقصي دلالات الانجيل الواسعة الانتشار في ثقافتهم الاسلامية .

لقد كانت الأيام التي أمضيها في جلين ايري مشحونة بالعمل .. وتوالى الجلسات متتالية في اصرار لا يلين .. وهذا التقرير ليس بيانا رسميا . ولا هو باعلان . ولكنه

ميشاق قطعناه على أنفسنا . ولهذا لم يوقع عليه أي منا .. غير أننا قمنا بتوزيعه على نطاق واسع .. وطلبنا الى اخواننا المسيحيين في كل بقاع العالم أن ينكبوا على دراسته .. كما ذكرناهم أن الرب سيلتقي بشعبه فقط عندما يكرسون أنفسهم للقيام بمهمة تنصير المسلمين التي لم تكتمل بعد .

الذين دعو للاشتراك في هذا المؤتمر نخبة مختارة يمثلون تقاليد كنسية واسعة لهم تجربتهم وخبراتهم في عمل البعثات التنصيرية .. ونالوا تدريباً متخصصاً .. ويتميزون بالتزام قوى نحو القيام بمهمة التنصير .. وجميعهم مهتمون بتنصير المسلمين فهم يمثلون وظائف وتخصصات متنوعة بينهم اداريو بعثات تنصير . ومنصرون ميدانيون . واساتذة في حقل التنصير ، ومتخصصون في الاسلاميات . وعلماء اجتماع . ولاهوتيون وخبراء اعلام . إضافة لهذه التخصصات دعا المؤتمرون عدداً من الرجال والنساء الذين يعملون في كنائس الشرق الأوسط وافريقيا وآسيا .. وهم ايضا يمثلون وظائف وتخصصات متنوعة وقسوس ولاهوتيين ومختصين في الاسلاميات . بل بينهم أشخاص من العامة ، ولكنهم يقومون بدور تنصيري نشط وسط المسلمين .

خلال الستة اشهر التي سبقت المؤتمر تم اعداد اربعين ورقة عمل اساسية .. اعدّها كتاب مختارون بعناية ليحيطوا المؤتمرين علماً بمدى خطورة القضايا المتعلقة بالموضوع المطروح امامهم .

تناولت عشر ورقات عمل الجوانب الفكرية كقضايا الانجيل والثقافة ، الاتصال الثقافي المزدوج الذي يوفر الانجيل للمسلمين ... توضيح مفاهيم تجسيد المسيح للمسلمين .. المسلم المنصر (بفتح النون والصاد) وصلته بثقافته .. الكنائس في المجتمع المسلم ، الصعوبات التي يواجهها المسلم الذي يتم تنصيره .. اساليب لاهوتية جديدة في تنصير المسلمين ، دراسة تحليلية لرفض وقبول التنصير عند المسلمين . وتناولت ستة عشر ورقه بالوصف أمثلة مختاره للمواجهة بين المسيحيين والاسلام .. في وقتنا الحالي ، الفكر الديني الاسلامي من حيث مداه ، والجسور الموصلة اليه .. اسلام العامه ، جوع القلب ، الوضع المقارن للمسيحية والاسلام في الغرب ، وفي افريقيا جنوب الصحراء ، وفي شمال

افريقيا ، وفي كل من الشرق الاوسط وفي تركيا وفي ايران وفي شبه القارة الهندية وفي شرق اسيا وفي كل من الصين وروسيا .

وقد غطت تسع ورقات عمل خصص كل منها لموضوع منفصل من الموضوعات التالية : الوضع الحالي لادبيات المسيحية لدى المسلمين ، الوضع الراهن لترجمات الانجيل الى لغات المسلمين ، الوضع الحالي للبحث الاذاعي الموجه للمسلمين ، نظرة شاملة لاداء بعثات التنصير وسط المسلمين ، قائمة منتقاه باسماء عدد من المسلمين الذين تم تنصيرهم ويعملون في ميدان التنصير .

اما الاربع عشرة ورقه الاخيريه فقد تناولت الادوات والوسائل كالدعوة للتجديد الروحي !! تطوير أدوات جديده تساعد في تنصير المسلمين ، اساليب ومستويات واماكن وبرامج التدريب ، بناء شبكة مركز ابحاث لمنهجيات التخطيط كيفية اقامة مجتمعات التنصير في البلدان الاسلاميه ، الحاجة الى اقامة دائرة تنصير مركزية في امريكا الشمالية تتولى مهمة التوجيه ، استخدام الحوار كوسيلة مطوره لخدمة التنصير ، صلات امريكا الشمالية ببعثات التنصير بين المسلمين في دول العالم الثالث .. الحاجة الى جريدة جديده عن بعثات التنصير وسط المسلمين ... الغذاء والدواء كأدوات في تنصير المسلمين ، دور الكنائس المحلية في بلاد المسلمين في تنفيذ الخطه (يعني هذا البرنامج الذي وضعوه) لتخليص العالم الاسلامي من الاسلام . المدخل الامثل الذي يمكن للمسيحيين ان يسلكوه لتنصير كل من المرأة والاسرة في العالم الاسلامي .

لم يدرس المؤتمرون هذه الاوراق المطروحة امامهم فقط بل طلب اليهم ان يخرجوا بتوصيات مكتوبة حول الاوراق العشر الاساسية المتعلقة بقضية المفاهيم الهيكلية . على الجلسة الاولى خيم جو تلك الحقيقة المؤلمة .. اذ اثار الافتتاح السؤال الذي يؤرق الجميع وهو لماذا لم يتم التنصير في العالم الاسلامي بمستوى افضل ؟؟؟

تفاعل السؤال وغاص الى اعماق اكثر .. وطرحت اسئلة اضافية ... ذات صلة بالموضوع منها لماذا لم يشترك في هذا العمل سوى ٢ ٪ فقط من بعثات بروتستانتية امريكا الشمالية العامله في مجال التنصير ؟؟؟

لماذا فهمهم للثقافة الاسلامية وللإسلام محدود ؟ لماذا هم مصرون طوال هذه المدة على استخدام أساليب غير مؤثرة في توصيل رساله الانجيل للمسلمين ؟

هذه الاسئلة اضيفت اليها اسئلة اخرى مع تقدم جلسات المؤتمر .. لقد كنا كلما استمعنا اكثر لبعضنا البعض خلال الجلسات وخاصة لحديث اولئك الذين وفقهم الرب واستطاعوا الوصول الى المسلمين . ودعوتهم الى المسيحية ... شعرنا بان علينا ان نعبر صراحة في هذا التقرير عن احساسنا بالندم والتقصير . لقد فشلنا نحن ابناء أمريكا الشمالية في نواح كثيرة .. وفشلنا الشخصي هو انعكاس للمآسي الكبرى التي تعانيها الكنيسة المسيحية . ان المسيحيين في الغرب وفي الشرق على السواء اضمروا وكرسوا عبر القرون نوعا من الكراهية والبغض تجاه المسلمين . وقد عبروا عن ذلك بشكل واسع باهمالهم تكليف الرب لهم أن يتقاسموا تعاليم المسيح مع المسلمين .

كم هو مؤلم لنا في هذه الساعة المتأخرة من تاريخ الكنيسة أن لا توجد سوى مجموعات قليلة بين المسلمين يعتقدون في يسوع المسيح وسط هذا الحشد الهائل من البشر الذين لا يوجد عائق يمنع من الوصول اليهم . انها غلظتنا .. نحن المسيحيين لم نحب المسلمين كما ينبغي ، ولم نبذل سوى جهود ضئيلة لنرى المسلمين أناسا مثلنا تماما .. انهم يستحقون اقامة وجود مسيحي في وسطهم .. هذا الوجود لا يكون مؤقتا ولا جابنا . بل من ذلك النوع المشيع بعقيدة طموحة . ويعتمد عليها .. وهذا يتطلب منا بذل أكثر مما نحن راغبون في اعطائه .. ثم ان بعثاتنا التنصيرية من شمال أمريكا مازالت تمارس عملها بطريقة ليست مؤثرة ثقافيا . وغير مخططة مما يجعلها قاصرة عن الوجود المسيحي المطلوب وسط المجتمع المسلم .

أحد الجوانب التي ينبغي أن نوليها اهتمامنا . هي تنمية ادراك جديد لطبيعة العقيدة الاسلامية .. فالمسلمين على قناعة بأن حكم الله ماض على كل دقائق الحياة في مجتمعاتهم ، نحن نصارى ش-مال أمريكا اكتشفنا أننا ننشر دعوة تنصير مبتورة . وعلى الطريقة الغربية . كما أنها ليست منصفة لما جاء به الوحي الانجيلي .. ولهذا

فان دعوتنا تسفه عندما نعرضها في العالم الاسلامي . ونحن كإنجيليين ظللنا نرفض أن تشمل مهمتنا تطوير علاقات أفضل بين المسيحيين والمسلمين . اتجهنا منذ اللحظات الأولى للمؤتمر الى بحث كافة جوانب العالم الاسلامي من حيث امتداده وحجمه . تنوع شعوبه وأوجه عقيدتهم الدينية المتعددة وممارستها .. وفي نفس الوقت بدأنا نضع موضع التنفيذ العملية التخطيطية التي رأى المؤتمرون أنها أساسية لأضفاء المعنى الروحي للمؤتمر على عملنا وقد تضمن أحد الشعارات التي رفعت (كشفوا جهودكم وخطوكم من أجل تحول هائل يشمل ملايين المسلمين نحو المسيح) لقد شعر الجميع أن علينا أن نقف وقفة محاسبة حاسمة مع الماضي .. وذكرنا في هذا الاطار بمؤتمر القاهرة الذي عقده ذلك المنصر الأمريكي العظيم .. رجل الدولة صمويل زويمر عام ١٩٠٦م فقد تنادي اليه ٦٠ مثلاً من ثلاثين كنيسة وبعثة تنصيرية ووضع حجر الأساس لمرحلة جديدة في عمل البعثات التنصيرية بين المسلمين وقد اتبع زويمر هذا بمؤتمر مماثل عقده في الكو عام ١٩١١م .

وبالرغم من أن تغيرات كبيرة حدثت في العالم الاسلامي بعد ذلك التاريخ لصالحنا شعرنا أن دفعة جديدة الى الأمام تنتظر منا القيام بها ، ان الكنيسة في أمريكا الشمالية لاتلم سوى بمعرفة شحيحة ومحدودة عن الاسلام والمسلمين .. وأداؤها التنصيري في العالم الاسلامي في أفضل حالاته عمل هامشي . اضافة الى ذلك تهيمن عليه رؤية منهجية تحتاج الى اعادة نظر فاحصة .

والحاجة الآن ماسة الى ابتكار مداخل جديدة ضمن برامج تدريب بعثات التنصير المرسله من أمريكا الشمالية ، وهناك حاجة ايضا الى اسلوب جديد في التعامل المتبادل بين العاملين في بعثات التنصير الغربية واخوانهم واخواتهم من العاملين في العالم الاسلامي . والحق يقال أنه لهذا السبب بالذات قمت دعوة كثيرين من الذين تم تنصيرهم من المسلمين ومن زعماء الكنائس الوطنية في الشرق الأوسط وافريقيا وآسيا ليشارك في جميع ورش العمل وفي كل جلسات النقاش والتخطيط .

أما المشاركون في المؤتمر من أمريكا الشمالية فقد طلب اليهم أن يرهفوا السمع الى

اولئك القادمين من مواقع العمل . كما أبلغوا أن لا يقدموا على أي تخطيط بمبادرة منهم . هؤلاء الرجال والنساء الانجلييون الذين هم مفاتيحنا للعالم الاسلامي . والقادمون من الشرق الأوسط وآسيا وأفريقيا . منهمكون بشكل عميق ومثمر في حقل تنصير المسلمين ، وفي المؤتمر طلب منهم زملاؤهم الغربيون القيام بمهمة محددة . فقد قالوا لهم ساعدونا في أن نعرف كيف نعمل معا .. أصبروا على الذين يتعلمون ببطء بيننا .. وفوق كل هذا ساعدونا في أن نرى عالم الرب عبر عيونكم التي هي شديدة التفرد والاختلاف عن عيوننا .

المنصرون الغربيون من النساء والرجال خاطبوا المؤقرين بكلمات موجزة . وهم ايضا من الذين يقومون بعمل تنصيري مثمر بين المسلمين .. والملاحظة التي انتبه اليها الجميع كانت هي حرصهم على العمل من خلال المسيرة على التخلص من الأساليب العتيقة البالية التي دربوا عليها .. واعادة النظر فيما ينبغي أن يفعلوه على أسس جديدة . لقد تكشف لنا مدى حماقة تفكير الأمريكيين الشماليين العاملين في التنصير .. والذين كانوا يعتقدون أنهم يستطيعون النهوض بالمهمة بمفردهم .. وهذا نبهنا الى الامكانيات المذهلة التي كانت غائبة عنا للوصول لرؤي جديدة بشأن بعثات تنصير المسلمين .. هذه الامكانيات يتيحها خلق فرص تعاون مزدوج بين المسيحيين الشرقيين والغربيين .. فدالات ذلك بعيدة المدى .

لقد وجد أحد المنصرين في لبنان مثلاً أنه بحاجة لتلقي ارشادات من استاذ عربي عن الكيفية التي يستطيع بها تفادي الطريقة الاعتذارية العقيمة التي كانت سائدة في الماضي . واستبدالها بطريقته التنصيرية الجديدة من خلال القرآن والانجيل على السواء .

في باكستان تمكنت مبعوثة نصرانية بعد أن كافحت بنجاح لعدة سنين من حقن يسوعها (الغربي) في الثقافة الاسلامية هناك . وكان ذلك بمساعدة أصدقاء مسلمين مكنوها من الدخول الى تلك الثقافة بطريقة سلسلة ومع الزمن اكتشفت يسوعا شرقيا قادرا أكثر مما كانت تتوقع على تلبية متطلباتهم . وهكذا تحول فريق

من امرأتين بعد ترو ومثابرة من طريقة تقليدية عقيمة لتتبعها خطوة بخطوة تطبيق تلك الفرضية القائلة بأن (النساء هن المفتاح) لبث رسالة التنصير بين المسلمين . وهو الشئ الذي لم يكن متوقعا في الماضي .

لقد تمخض جهدها عن نتيجة هامة هي زراعة بذرة الانجيل عميقا وبشكل واسع . وسط مجتمع ريفي لم يسبق تنصيره في باكستان .

أما في الهند فإن التشاور بين أحد زعماء الكنيسة ، وبين منصر عالي التدريب أصبح ضرورة ملحة حتى يجعله يغير طريقته التي يتبعها والمتمثلة في التأثير عن طريق الصداقة ليستبدلها بالتنصير عن طريق الصداقة .

عقيدتنا تتعرض اليوم لمواجهة حادة ، فكل الشهادات تؤكد أن قلوب المسلمين هذه الأيام عامرة بالايمان ، فسواء في ايران أو تونس ، وفي اسرائيل أو مصر ، وفي سوريا وبنغلاديش وأندونيسيا في نشاط متصاعد .

ان التنصير الفعال بين المسلمين لا يمكن أن يتم الا من خلال الاحترام المتواضع للثقافات الاسلامية . ومن خلال العمل على اتقان توظيف تلك المفاتيح المتاحة للمسلمين المتنصرين وعبر اعتماد أسلوب للاتصال المزدوج ، والتعاون المتبادل اليقظ بين المسيحيين أبناء البلدان الاسلامية والمنصرين الغربيين .

لقد مضت تلك الأيام التي كان المنصرون الغربيون يعتقدون فيها أنهم يستطيعون القيام بمفردهم بالمهمة .. ففي « جلين ايري » عقدنا العزم كما لم يكن في أي وقت مضى على أن نستفيد أقصى ما يمكن من الفرص المتوفرة لنا . وأن ننمي شعوراً بحب أداء المسؤولية بين كل ابناء العقيدة خاصة بين جميع المسيحيين والكنائس في العالم الاسلامي .

ان الشعور الذي تملكنا هو ان مؤتمر لوزان ١٩٧٤م حملنا مسؤولية التفكير بطريقة استراتيجية لايجاد الطريقة الناجحة لتنصير العالم الاسلامي .

في المؤتمر خصص الجزء الأكبر من ثلاثة أيام للبحث في تطوير طريقة يتم اتباعها في التخطيط الاستراتيجي . ثم تطبيق تلك الطريقة على سلسلة من الحالات المحدودة .

وبالنسبة للعملية التخطيطية التي اعتمدها وأوصينا أن تأخذ بها الكنيسة على نطاق واسع رأينا أن تحظى الجوانب الأساسية التالية بالاهتمام .

- تحديد فلسفة وسياسات وأغراض البعثة التنصيرية والافتراضات المحتملة مسبقا .

- أن يعد وصف دقيق لحالة المكان الذي سيمارس فيه العمل الميداني . أي دراسة أولئك الناس الذين سنعمل وسطهم ، كمعرفة المتطلبات الأساسية لهؤلاء الناس الذين نريد تنصيرهم .

- تحديد دور البعثة التنصيرية من حيث امكانياتها ، وأوجه القصور المتعلقة بها .

- أن نضع أمام أعيننا أهدافا واضحة . أي خطط عمل تقوم البعثة التنصيرية بتنفيذها وفق جدول وأولويات .

- أن نوضح بالتفصيل العقبات التي قد تعترضنا باستقراء كل الاحتمالات التي تمنع تنفيذ الأهداف كأن نعرف المشاكل التي يمكن أن نتوقع حدوثها ونستعد لها مسبقا .

- تحديد الوسائل والطرق التي ينبغي اتباعها من أجل الوصول الى أولئك الناس .

- تقييم الموارد المتوفرة حاليا لدينا (العنصر البشري والتسهيلات المتاحة.....الخ) .

ورصد الموارد الاضافية التي سنحتاج اليها لاكمال المهمة .. ماذا لدينا والى ماذا سنحتاج ؟ واضعين كل ذلك في الاعتبار فان تقييما سيتم من وقت لآخر للعمل والانضباط اضافة الى تعديل وتحديث الخطط كلما استدعى الأمر وغني عن القول ان مباشرتنا عن كذب لهذا العمل اقنعنا بأنه ليس هناك مدخل غمطي معين يمكن اتباعه لتنصير المسلمين .

فكل حالة لا بد من معالجتها على انها حالة قائمة بذاتها . . والشئ الوحيد الذي ينبغي أن نتجنب الوقوع فيه هو العمل الفردي والازدواجية التي لاضرورة لها . وهذا ما استنكره مؤتمر لوزان عام ١٩٧٤م .

لم تكن كل البعثات التنصيرية الى بلاد المسلمين تتمتع بالحكمة والتقوى والنبيل وحب الآخرين . فقد عمل البعض على تشويه وتحريف القرآن الكريم ومنزلة محمد الدينية والسخرية منها . وأدى ذلك الى وضع البعثات التنصيرية في العالم الاسلامي

في موقف دفاعي ضعيف طيلة سنين الهيمنة السياسية الغربية الطويلة . بل لهذا السبب كانت تلك البعثات غير مكترثة ولم تحاول تخفيف سوء الفهم وعدم الثقة اللتين عمقتهما التوترات والمنافسات القديمة . واعطيت البعثات التنصيرية وسط المسلمين انطباعا بأنها تفتقر للاهتمام بتردي القيم المسيحية في العالم المسيحي في نفس الوقت الذي تشجع فيه علنا الاتجاهات العلمانية في العالم الاسلامي بالطبع نحن لم نغفل عن تلك الحقيقة المؤلمة المتمثلة في (قانون الردة) ومايشكله من عوائق ومخاطر لأولئك الذين يقبلون على المسيحية (أي يرتدون عن الاسلام) في ديار المسلمين ، وحتى هذه الفترة المتأخرة من تاريخ العلاقات بين المسلمين والمسيحيين . لم تخل التقارير الواردة من وقت لآخر من ايراد حالات للعزل القاسي والكراهية المجتمعية وممارسة العنف ضد الأشخاص والمباني ومعاناة المقهورين الذين يتحولون للمسيحية . وفي احدى ورش العمل طرح السؤال التالي : كيف يستطيع الذين نصروا من المسلمين الصمود أمام احتمالات الاضهاد الخطيرة التي سيتعرضون لها . والتي قد تصل الى حد طردهم من وطنهم وحرمانهم من وسائل كسب عيشهم ؟ لقد طرحت كل انواع الاقتراحات في الرد على هذا السؤال لكن ساد الصمت عندما جاءت الإجابة من أحد الذين تم تنصيرهم من المسلمين . فقد ذكرنا بنصيحة بولس الرسول القائل (لا ينبغي أن يتزحزح أحدكم عن عقيدته بسبب هذا الألم والإبتلاء . . فأنتم أنفسكم تعرفون أن ذلك هو قدرنا وقسمتنا ، فالي مملكة الرب ندخل عبر بوابات المحن والإبتلاء) .

إنتهى المؤتمر ولم ينته بحث أجندة القضايا المطروحة ، فمع تقدم أيام المؤتمر وجدت مجموعات النقاش وورش العمل أنها أشد احساسا بوطأة المستقبل ورغبة في مواجهته ، وفيما هم يمثلون ذلك برزت قضايا كثيرة الى السطح كلها بحاجة إلى الاستقصاء ، وأطلقت اسئلة قديمة بحاجة الى اجابات جديدة ، الى الأعمال الكثيرة والمتنوعة التي لا بد من النهوض بها اذا كانت الكنيسة راغبة فعلا في تنصير العالم الاسلامي . ولحسن الحظ انتبه المؤتمر الى هذه الاشكالية . ورتبوا جلسات المؤتمر بطريقة تشجع

عملية الانتقال الى قضايا عملية .

لقد خصص المؤتمر أكثر من يوم كامل لكشف وتحديد دقائق تلك الأجندة التي لم تنته ولمعالجة الأمر قسم المؤتمرين وفقا لتخصصاتهم . بحيث تجتمع كل مجموعة منفصلة . وتضم مستشارين من وراء البحار يلتقون مع المشتركين من أمريكا الشمالية . سواء كانوا لاهوتيين أو منصرين أو علماء اجتماع أو خبراء اتصال أو اساتذة متخصصين في عمل بعثات التنصير أو اخضائيين في الاسلاميات أو مدراء بعثات تنصير .

كل مجموعة عمل طلب اليها أن توجه السؤال التالي لنفسها :

ماهي المساهمة المحددة التي يمكن وينبغي أن نقدمها للاسراع بتنصير المسلمين ؟

ثم تحاول الإجابة عليه ، لقد حددت أكثر من ثلاثين مهمة أساسية وفرعية وصنفت على انها بحاجة لاهتمام عاجل .

ان هذا التقرير الموجه (التقرير من عشرين صفحة) لا يمكنه أن يوضح بالتفصيل العمل الكبير الذي أنجزته لجان العمل الست . مع التأكيد على أن الحاجة ماسة في الأيام القادمة لحلقة تتسع باستمرار من المسيحيين الحريصين على العمل ، اذا كانت الكنيسة ستواصل دورها لإكمال مهمة تنصير العالم الإسلامي ، نورد فيما يلي تلخيصا للنقاط الأساسية :-

- حقوق الإنسان : هناك حاجة ملحة لإنشاء مكتب مسيحي اسلامي عالمي لحقوق الإنسان ^(٩) تكون مهمته تلقي الشكاوي والتحقيق فيها وتقديم توصياته ونصائحه للجهات المعنية .

= مركز للموارد والأبحاث : انطلاقا من الحاجة لتنمية اتصالات حيوية ودائمة بين كل العاملين في حقل تنصير المسلمين ، سنعمل على إقامة مركز موارد وأبحاث مركزي في الولايات المتحدة الأمريكية . تتبعه كلما استدعت الحاجة

٩ - مثل هذه المكاتب وورش العمل ومؤتمرات الحوار بين الأديان جميعها مداخل نخطط لها سلفا للتأثير على المفكرين المسلمين والسلطات الرسمية في بلاد الاسلام.

اقامة مراكز اقليمية في كل المناطق الرئيسية في العالم الاسلامي .
 هذا المركز سيقوم بتنظيمه وإدارته مختص في شئون التنصير ، ذو خبرة عالية ،
 يعاونه باحثون من مختلف حقول التقاليد الكنسية ويكونون متدربين في حقول دراسات
 والإسلاميات . كما يتولى المركز تجنيد مستشارين يقومون بزيارة وخدمة الكنائس المقامة
 في العالم الإسلامي . بالإضافة الى جمع المعلومات الأساسية ذات الأهمية القصوى
 عن الموقع المستهدف والشخصية الاسلامية ، وعدد الجماعات والطرق الاسلامية ،
 واعداد رسم بياني نفسي يبين القوة النسبية لمختلف سجايا الشخصية الاسلامية
 وصفاتها . وسمات المسلمين حسب توزيعهم الجغرافي وسيزود أرشيف المركز بمختلف
 وسائل الإتصال .

ولما كنا ندرك مدى الحاجة الى كمية هائلة من المعلومات عن المسلمين الذين لم يتم
 تنصيرهم بعد . فنرى أن يشكل هذا المركز مجمعا للأبحاث لينسق تجميع البيانات
 الضرورية . سيتولى توثيق الاتصال مع جميع وكالات الأبحاث على مستوى العالم .
 لينمي علاقات عمل مع البعثات التنصيرية العاملة وسط المسلمين .

لما كان معروفا أن أكبر قوة لم يستفد منها في التنصير بين المسلمين هي طائفة
 المسيحيين المنتشرة عبر بلاد المسلمين ، فسنعمل على تركيز اهتمامنا على كل الكنائس
 القائمة حاليا . بتدريب وتحفيز جميع القسوس العاملين فيها ، والأفراد العاديين ليكونوا
 أكثر انتباها وإدراكا لدور الاسلام .

وسنعتني اهتماما خاصا لاستخدام الأفكار والمفاهيم القرآنية ذات الصلة خلال
 المراحل الأولى في عملية التنصير .

نقترح هنا مع الوضع في الاعتبار أهمية الاستمرار في توصيل رسالة المسيح ، عبر
 أساليب الاتصال المستخدمة حاليا في المجتعات الاسلامية ، أن يتولى مركز الأبحاث
 تحفيز الأعمال البحثية المكثفة داخل عينات استراتيجية منتقاه في العالم الاسلامي ،
 بهدف تطوير أساليب ومواد مناسبة الى جانب ارشادات التدريب .

أما في حالة العمل وسط غير المتعلمين . فبالامكان تمكين الشعراء والمنشدين والمغنين

منهم من ترديد ونقل القصص الواردة في الأنجيل . بطريقة تساهم في التمهيد لتعليم الناس القراءة^(١٠)

وفي حالة النساء والأطفال فلا بد من الاتجاه لدراسة الأدوار التي يقومون بها على مختلف المستويات داخل المجتمعات المسلمة .

وينبغي الانتباه هنا الى مراعاة واحترام قواعد العفة ، والفصل بين الجنسين في المناطق التي يسود فيها هذا التقليد . والاستفادة من هذا الوضع بالعمل على اعداد نشاطات ذات معنى تجذب النساء اللاتي تمت تربيتهن على البقاء داخل البيوت .

ايضا يمكن العمل من خلال أولئك النساء المعروفات في مجتمعهن كشخصيات اجتماعية بارزة أو كقيادات دينية . مع تقديم بدائل مسيحية أكثر برقا وجذبا تحل محل تلك المؤثرات الشيطانية^(١١) التي تسيطر على النساء وتقيدهن في المجتمعات الاسلامية .

زرع الكنائس : ان الذين يعملون في مجال تنصير المسلمين يستطيعون أن يقوموا بأكثر من بذر البذور . ونعتقد أنهم سيتولون ايضا زراعة الكنائس في العالم الاسلامي . وتغيير السلوك السائد . ان هذه الكنائس المشتغلة بتنصير المسلمين ستتولى معالجة مايتعرضون له من مضايقات من قبل مجتمعههم بسبب دخولهم النصرانية .

وعلى كل حال سنعمل على تطوير كنائس من نوع خاص للمسلمين المنصرين في الأماكن التي توجد فيها مقاومة أو رفض لاشتراك المسيحيين غير المحليين في عملية التنصير^(١٢) .

هذه المجمعات (الكنائس الخاصة) ستشجع على تطوير أشكال ملائمة ثقافيا لممارسة الطقوس ، وستمكن المنصرين الجدد من اداء طقوسهم ، وتجنبهم اللجوء الى القيام بممارسات طقوسية توقيفية . واضعين في الاعتبار الوجود المتزايد للمسلمين في شمال

١٠ - اي استخدامهم كقنوات توصيل جماهيرية لتهينة العقول للخروج على الاسلام والاستجابة للمنصرين .

١١ - التأثيرات الشيطانية هنا يقصد بها القيم والتقاليد الاسلامية .

١٢ - اقترح المؤتمر اسلوبا جديدا أطلق عليه الكنائس المنزلية House Church في المدن ومجتمع الحيام Tents - Communit في البادية لممارسة التنصير واداء شعائره النصرانية من خلالها في بلاد المسلمين التي تمنع بناء الكنائس على أراضيها .

أمريكا وكندا والولايات المتحدة ، اقترحنا أن يقوم مركز البحوث بإجراء دراسة متعمقة لاماكن انتشارهم ، وإجراء دراسة موسعة وشاملة لما تم القيام به من عمل تنصيري بينهم علما بأن كل هذا سيؤخذ في الاعتبار اثناء تخطيط الاستراتيجية اللازمة لتنصيرهم .

اننا لنصلي من أجل قيام كنائس للمنصرين في المجتمعات الاسلامية بل اهتمامنا يمتد لأن تكون الكنائس الأمريكية على درجة عالية من الوعي لتتولى بنفسها هذه المسئولية وبطريقة مثمرة وذات مغزى .

انتهى بيان مؤتمر كلورادو . وليس لدينا تعليق سوى أن نطلب من القارئ إعادة قراءته . ثم التأمّل فيما يجري حوله ليرى كيف أن هذا البيان وضع بحذافيره موضع التنفيذ .

CONFERENCE REPORT

نم تقرير مؤتمر كورادو عام ١٩٧٨ م

لتنصير المسلمين

Arthur F. Glasser

INTRODUCTION: THE BACKGROUND

During mid-October 1978 a week-long consultation was convened at Glen Eyrie, Colorado, to explore the responsibilities of North American Christians toward the Muslim World. This was part of a continuum that began with the International Congress on World Evangelization at Lausanne 1974. At that time many were deeply stirred by what God was doing in their midst, but were moved to penitence by their flawed and limited commitment to the missionary task. At Lausanne they entered into a solemn covenant with God and with each other to pray, to plan and to work together for the evangelization of the world. Their concern was: "Let the Earth Hear His Voice" and their focus was on "unreached people." Of particular interest to many of the participants was the large bloc of unreached Muslims.

Two subsequent conferences heightened this concert to reach the unreached. The Pasadena Consultation 1977 celebrated the diversity of peoples and cultures making up the human race. Its participants made particular effort to relate this reality to the worldwide missionary task. They were in deep agreement that Scripture supports the Christian witness that seeks to preserve cultural diversity for this will "honor God, respect man, enrich life and promote evangelization" (Par. 4).

Later, The Willowbank Consultation 1978 was convened to explore

in depth the interrelation of the Gospel of Jesus Christ and culture. Upon this sequence the North American Conference on Muslim Evangelization was built to focus on reaching these unreached Muslim peoples and to explore the wide range of implications of the Gospel in their Islamic cultures.

The days at Glen Eyrie were very full, and session followed session in relentless sequence. When a pattern began to emerge that seemed to indicate the overruling Providence of God in our midst, we began to prepare this report. It is neither an official statement nor a declaration, much less a covenant: so none of us has signed it. But we sent it out as reflecting the mood of the participants and indicating the highlights of what took place in our midst. We commend it to our fellow Christians throughout the world for study, and as a reminder that the Lord will truly meet with his people when they concern themselves with the unfinished task of evangelizing the Muslim world.

I. PRE-CONFERENCE PREPARATION: THE FERMENT

Those invited to participate were drawn from a wide range of church traditions, missionary experience, specialized training and evangelical commitment. All were concerned with Muslim evangelization. They represented a variety of roles and disciplines: mission executives, field missionaries, mission professors, Islamicists, anthropologists, theologians and media experts. In addition the conveners invited a sizeable number of men and women from churches in the Middle East, Asia and Africa. They too represented different roles and disciplines: pastors, theologians, Islamicists and active laymen.

During the six months prior to the conference, forty foundation papers were prepared by selected authors -- men and women -- to alert the participants to the complexity of issues related to the task before them. Ten papers were conceptual, in that they explored its major underlying postulates.

"The Gospel and Culture," Paul G. Hiebert

"The Cross-Cultural Communication of the Gospel to Muslims,"
Donald N. Larson

"The Incarnational Witness to the Muslim Heart,"
Bashir Abdol Massih

"The Muslim Convert and His Culture," Harvie M. Conn

"Dynamic Equivalence Churches in Muslim Society,"
Charles H. Kraft

خاتمة

من العرض الذي تقدم في فصول هذا الكتاب نخلص إلى اربع نتائج أساسية وهي :-

(١) أن الحكام في الدول الإسلامية مازالوا يقدمون الدعم والمساعدة - عن

جهل او ضعف - للمنصرين ومؤسسات التنصير .

(٢) الحرب القادمة - وقد بدأت - ستكون بين الاسلام ومؤسسات التنصير

بعد ان انهارت الشيوعية .

(٣) المسلمون في أفريقيا لا يملكون قرارهم .

(٤) الاسلام في أفريقيا ينتشر بالدفع الذاتي ولا بد من الجهد البشري .

فمن الملاحظات الغربية التي لفتت انتباهنا ونحن نقلب صفحات تاريخ الاسلام في افريقيا ، ذلك الدور الغريب الذي قام به حكام امارات شرق افريقيا المسلمون في منتصف القرن الثامن عشر . لقد فتحوا تلك المنطقة على مصراعيها للمنصرين الذين تدفقوا في تلك الفترة على افريقيا كمستكشفين ورحالة ووكلاء شركات تجارية .

ومثلما ساعد اولئك الحكام وبعض رعاياهم التجار البرتغاليين الاوائل في الوصول الى جنوب وشرق اسيا عبر رأس الرجاء الصالح ساعدوا هؤلاء المنصرين للدخول الى قلب القارة الافريقية الذي عمر بالاسلام اول ديانته سماوية تصل اليهم .

وكما فعل المسيحيون الاوائل الذين جاءت طلائعهم تحت غطاء استكشاف الط-رق الملاحيه ، ثم طردوا المسلمين من ميدان التجاره البحرية العالمية ، نظم احفادهم الذين تسللوا الى داخل افريقيا حروب التصفية والاباده والدسائس للقضاء على الوجود الاسلامي وتشويه صورته ، وزرعوا بذرة المسيحية الاستعمارية على انقاضه .

الدكتور لودفيج كرايفا جاء الى شرق افريقيا على رأس بعثته تنصيرية ارسلتها جمعية

البيوت التنصيرية الالمانية . كرايفا هذا كان اول منصر يصل الى المنطقة بعد أن خمد نشاط البرتغاليين التنصيري الذي تعقبوا فيه المسلمين وطردهم من ميدان التجارة البحرية العالمية . وقضوا على قوة المسلمين الاقتصادية .

وصل كرايفا الى زنجبار في ١٨٤٤/١/٧م واستقبله قنصلا بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وقدمه الاخير لسلطان زنجبار المسلم وكان يدعى السيد سعيد ، واخبره ان مهمة كرايفا هي تنصير القبائل الوثنية في المنطقة ، فرحب به السلطان بل اعطاه خطاب توصية موجها لجميع رعاياه في العمق الافريقي وعلى الساحل ليسهلوا مهمته التنصيرية ، وقد وصف كرايفا بنفسه الواقعه بقوله (.. لا يمكن لاي منصر ان يتوقع توصية احسن من هذه .. أو حتى مماثلة لها - جروفر مؤلف كتاب زراعة المسيحية في افريقيا (Planting Christianity In Africa) أورد نص هذا الخطاب التوصية ، وقد جاء فيه (.. هذا خطاب مكتوب للتوصية على الدكتور كرايفا الالمانى فهو رجل طيب وقصده ان يرشد الناس لعبادة الله - فقابلوه بالترحاب ولتقدم له كل خدمة يكون في حاجة اليها في اي مكان يحل فيه .) .

بناء على هذا الخطاب الموجه من رأس الدولة قوبل كرايفا بالترحاب من الاهالي والحكام المسلمين في ممبسا وغيرها من الامارات والمدن الاسلامية في شرق ووسط افريقيا ، فقد اطلقت يده في المنطقة حتى مغادرته لها عام ١٨٥٠م . ولهذا استقبل عندما عاد الى بلاده استقبال الابطال الفاتحين .

مع بداية عقد التسعينات الحالي نفى الغرب المسيحي يديه بعد ان اhal التراب على جيفة الشيوعية النتنة ، وانهيار الشيوعية كان الدليل العملي على فسادها وخطرها ، وقد كان المسلمون من الذين لم تغوهم الافكار الهدامه الغازيه على قناعة بان الشيوعية ستصير الى ما آلت اليه ، لكن والحق يقال ان الغرب الراسمالي لعب دورا اساسيا في الاسراع بها الى حتفها ، وقد استخدم في حربه ضدها اسلحة متنوعة ومتطورة .. عسكرية وثقافية وسياسية وإعلامية ، وجند لها اجهزة هدم وتدمير متخصصة عملت داخل وخارج الاتحاد السوفيتي موطن الشيوعية .

كان الصراع بين الراسمالية المسيحية والشيوعية صراعاً عقدياً من أجل السيطرة على العالم ، لان العقيدة في رأينا وليس الصراع الطبقي كما تدعى الشيوعية ، ولا الاقتصاد كما يزعم الغرب الرأسمالي ، هي التي توجه نشاط البشر ، حتى في المناطق والحضارات التي لم تصلها الديانات السماوية .

الشيوعية كما نعلم نشطت بعد الحرب العالمية الأولى وصادف ذلك انهيار دولة الخلافة الاسلامية وضعف وتفكك المسلمين ، وبلغت ذروتها بعد الحرب العالمية الثانية . فتوافق ذلك مع الفترة التي عرفت بحقبة التحرر من الاستعمار .

ولما كان المستعمر هو الغرب المسيحي لم تجد الشعوب الساعية للتحرر والخارجة من تحت وطأة المستعمر ملجأً تلوذ به فوقعت في مصيدة الشيوعية . ولو كان المسلمون اقوياء في ذلك الوقت لغيروا مسار التاريخ ولقدّموا خدمة جليلة للاسلام والبشرية .

الغرب المسيحي الذي تمكن من اسقاط الامبراطورية العثمانية حاملة لواء الخلافة الاسلامية في ذلك الوقت وبعد وقوع معظم - أن لم يكن جميع بلاد المسلمين تحت قبضته ، اعتقد ان الشيوعية كقوة توسعية اصبحت العدو الوحيد الذي يهدد طموحاته ويعوق سيطرته على العالم فكثف جهده في محاربتها .

بعد اسقاط الخلافة وانهيار الشيوعية ظن الغرب المسيحي انه انتصر وخلت له الساحة ، لكنه التفت فوجد قوة اخرى كانت كامنه بدأت تطل برأسها ، وجد الاسلام الذي توهم ان صنائع الغرب من ابناء المسلمين الذين رباهم دعاة علمانية في كنفه قد نجحوا في محاصرته داخل المساجد وفي اداء الشعائر والمعاملات الاجتماعية عاد ينبعث من جديد . صحوة اسلامية دافقة ، يستلهمه المسلمون منهج حياة ويعملون لفرضه دستور حكم . ينشطون في تبليغه للعالم فتهفو اليه النفوس والقلوب المتعطشة لهدى الله تعتنقه وتبشر به .

لذلك هرع الغرب المسيحي وحول جميع اسلحته التي كانت مستخدمة ضد الشيوعية لتكثيف الدمار والحرب ضد الاسلام بالتصدي للمد الاسلامي في مختلف انحاء العالم ومهاجمة الاسلام في موطنه ، فهو يدرك تماما ومن تجارب سابقة ماذا تعني

الصحة الاسلامية .

فحرب الغرب المسيحي ودسائس الكنيسة ومحاولاتها اختراق العالم الاسلامي ، واحتواء انتشار العقيدة والحضارة الاسلامية ليست جديدة ولم يخمد لها اوار حتى في غمرة معاركهم ضد الشيوعية ، والاسلام عقيدة ومنهج حياة يمثل في مؤسساته الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وفي قيمه الاخلاقية ورؤيته للعالم ، ومالديه من مفهوم متكامل لتنظيم علاقات وحياة البشر يمثل التحدي الحقيقي امام المسيحية الغربية التوسعية بل هو الذي يجهض حلمهم التاريخي للسيطرة على العالم ، والحرب التي يشنونها على الاسلام والمسلمين حالياً تشمل الى جانب مظهرها المادي الخارجي هجمة شرسة للتشكيك في عقيدة المسلم ومؤسساته وقيمه الاسلامية . لتفريغها من مضامينها . وفي نفس الوقت تجهيل ابناء المسلمين بماضيهم ، حتى لا تكون لديهم مرجعية تاريخية يستقون منها ، وحقنهم بثقافة بديلة تعيد تربيتهم وصياغة توجهاتهم .

الاموال التي كانت ترصد والمؤسسات التي كانت ناشطة في اثاره الفتنة والاضطرابات ضد الشيوعية صارت توظف حالياً في عمل تخريبي جديد في بلاد الاسلام ، وضد الصحة الاسلامية وفي حقل التنصير خاصة في افريقيا .

ليس بخاف على احد ان المسلمين في افريقيا اليوم كما هم في كثير غيرها من قارات العالم لا يملكون قرارهم الاقتصادي ولا يملكون قرارهم السياسي - مأكلمهم وملبسهم وعلاجهم سلاح في يد الغرب المسيحي وفي يد مؤسساته التي تقدم نفسها في ثوب خبراء تنمية ومنظمات اغاثة . سلاح يستخدم ضد كل بلد تخول له نفسه طرد او الحد من نشاط المنظمات التنصيرية التي اصبحت تتدخل ابتداء من الشئون السياسية وحتى الشئون المنزلية الصرفة .

بلغ الامر بالحكام المسلمين في الدول الافريقية الى الاحجام عن اقامة شرع الله حتى لا يتهمهم الغرب المسيحي بالتطرف والرجعية بعد ان اصبح المسلم الذي يدعو أو يعمل للحكم بما شرع الله يتهم حتى في البلاد الاسلامية شمال حزام المواجهة بممارسة

الارهاب والتطرف والتخريب .

في افريقيا كما في غيرها من قارات العالم ينتشر الاسلام حاليا بالدفع الذاتي . ذلك ان الجهود التي يبذلها المسلمون لنشر كلمة التوحيد في افريقيا ، وتصحيح عقيدة الغالبية العظمى المسلمة بالفطرة تعتبر اذا ماقورنت بالنشاط المحموم الذي تقوم به الكنيسة ضئيلة جدا فحتى الان يتولى هذا العمل افراد ومنظمات غير حكومية تعد على اصابع اليد الواحدة وتتهيب الحكومات الاشتراك فيه حتى لا تتهم بالتطرف .

والاموال الاسلامية المستثمرة في هذا الميدان متواضعة اذا ماقورنت بالميزانيات الضخمة التي ترصدها الكنيسة والدول الغربية لتنصير افريقيا .

وفي الوقت الذي نجد ان (الانجيل) يترجم الى ٦٥٢ لغة ولهجة لم تترجم معاني القرآن حتى بداية عام ١٩٩١م الا لسبع لغات افريقية فقط ولا توجد سوى اذاعة اسلامية واحدة في افريقيا متخصصة في الدعوة .

لو اراد الله تعالى نشر هذا الاسلام بالدفع الذاتي لقال له كن فيكون (إنما أمره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون) سورة يس اية ٨٢ - لكن الله جلت قدرته وحكمته يعلمها اراد ان ينهض الانسان بعبء هذه المهمة ، وقد قال في محكم التنزيل (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) اية ٧٢ الاحزاب .

الحكومات الاسلامية الا من رحم ربي تضن باستثمار اموالها في نشر كلمة الحق . وكأن ذلك ليس احد مسئوليات الحكومة في بلاد الاسلام كما انها تتحرج من ان توصف بانها حكومة اسلامية وتفضل ان تتصف بصفة الديمقراطية او القومية .

بعض علماء المسلمين يمالئون النصارى ويقيمون العلاقات الفكرية والثقافية مع القسس والرهبان من خلال ما يسمى بـ (جمعيات التسامح الديني) و (التعايش بين الاديان) .

اي اديان هذه التي يريدون للاسلام ان يتسامح معها والله سبحانه وتعالى يقول : (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) الآية ٨٥ سورة آل عمران

المصادر والمراجع المراجع العربية

١. العالم الاسلامي ومحاولات السيطرة عليه - محمود شاکر - بيروت ١٩٨٤م .
٢. الاقليات المسلمة في افريقيا/ سيد عبدالمجيد بكر - سلسلة رابطة العالم الاسلامي الشهرية (دعوة الحق) مكة المكرمة يونيو ١٩٨٥م .
٣. مشكلة جنوب السودان (الطبعة الاولى) - د. مدثر عبدالرحيم - الدار السودانية ١٩٧٠م .
٤. حقائق ووثائق (الطبعة الاولى) د . عبدالودود شليبي - جدة ١٩٨٩م .
٥. تاريخ كشف افريقيا (الطبعة الثانية) د . شوقي الجمل - مكتبة الانجلو المصرية ١٩٨٠م .
٦. تاريخ السودان الحديث (الطبعة الثالثة) ضرار صالح ضرار - دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٨م .
٧. دول الاسلام وحضارته في افريقيا (الطبعة الاولى) د . عبدالرحمن عبدالله الشيخ - الرياض ١٩٨٣م .
٨. نهضة افريقيا - محمد عبدالعزيز اسحق - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر- ١٩٧١م .
٩. الادارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان - (الطبعة الاولى) - د . جعفر محمد علي بخيت ، ترجمة هنري رياض - دار الثقافة - بيروت ١٩٧٢م .
١٠. الدعوة الاسلامية في غرب افريقيا - د . حسن عيسى عبد الظاهر - منشورات جامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية - الرياض ١٩٨١م .
١١. المنهاج الحركي للسيرة (الجزء الثاني) - منير الغضبان - عمان ١٩٨٥م .
١٢. أرتيريا والحبشة (سلسلة مواطن الشعوب الاسلامية) محمود شاکر - بيروت ١٩٨٤م .
١٣. امبراطورية غانا الاسلامية - د . ابراهيم علي طرخان - القاهرة ١٩٧٣م .
١٤. مع حركة الاسلام في افريقيا - د . عيده بدوي - القاهرة ١٩٧٠م .
١٥. تاريخ الدول الاسلامية السودانية في غرب افريقيا - د . عبدالرحمن زكي - القاهرة ١٩٦١م .
١٦. المسلمون والاستعمار الاريبي - د . عبدالله عبدالرزاق ابراهيم - الكويت ١٩٨٩م .
١٧. دولة مالي الاسلامية - د . ابراهيم علي طرخان - القاهرة ١٩٧٣م .
١٨. توشكي - د . عبدالرحمن عبدالوهاب - دار جامعة الخرطوم للنشر - الخرطوم ١٩٧٩م .
١٩. حاضرم العالم الاسلامي (الطبعة الرابعة) - ا . ي . شاتليه - تعريب / محب الدين الخطيب وساعد الباقر - جدة ١٩٨٥م .
٢٠. محمد شاکر- ر - نيجريا - مواطن الشعوب الاسلامية - مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧١م .

الصحف والجوريات

- ٠١ جريدة الوطن الكويتية - العدد (٤٥٥٩) بتاريخ ٣٠/١٠/١٩٨٧ م .
- ٠٢ مجلة كل العرب (اسبوعية) باريس - العدد ٣٥٦ - يونيو ١٩٨٩ م .
- ٠٣ مجلة مرآة افريقيا - اصدار بالفيديو - منظمة الدعوة الاسلامية -
الخرطوم ١٩٩٠ م .
- ٠٤ صحيفة الاهالي - القاهرة - ١٩٨٩/٩/٧ م .
- ٠٥ International Herald Tribune . June 14.1990 .
- ٠٦ newsweek Magazine, June 25 . 1990 .
- ٠٧ The Times . June 16 . 1990 .
- ٠٨ جريدة المسلمون - لندن - العدد ٢١٤ بتاريخ ١٦/٣/١٩٨٩ م .
- ٠٩ مجلة المجتمع الكويتية - العدد ١٥ / رمضان ١٤٠٢ هـ .
- ٠١٠ جريدة الشعب - مصر - العدد ٥٤٢ ابريل ١٩٩٠ م .
- ٠١١ جريدة اخبار العالم الاسلامي (اسبوعية) تصدرها رابطة العالم
الاسلامي - مكة المكرمة - العدد ١١٦٧ .
- ٠١٢ وكالة الانباء الاسلامية (اينأ) .
- ٠١٣ وكالة الانباء القطرية (ق . ن . أ) .
- ٠١٤ وكالة الصحافة الفرنسية (أ . ف . ب) .
- ٠١٥ وكالة رويتر البريطانية (رويتر) .

المراجع الأجنبية

- 1- Alan Moorehead , *The white Nile* , Newyork , 1960 .
- 2- Dr. Sultan Bin Mohd. el-Gasimi. *The Myth of Arabian Biracy in the Gulf* .
- 3 - Dr. Hassan Makki , Sudan , *Christian Design* , (*The Islamic Foundation*) London 1989 .
- 4 - A . B . Theobald , *The Mahadiya* . London , 1951 .
- 5 - Hinde , Sidney Langford , *The Fall of the Congo Arabs* . London , 1897.
- 6 - *The Gospel and Islam* : 1976 Editted By Don M. Mccurry .
- 7 - Melwal , Bona : *People and Power in Sudan , the Struggle for National stabilty* .

الفهرس

أ	تقديم
١	مقدمة
	الفصل الأول
٥	نبذه تاريخيه
	الفصل الثاني
٣١	دول وحضارات إسلامية في حزام المواجهة
٣٣	١ - امبراطورية غانا
٤٥	٢ - دولة مالي
٥٧	٣ - دولة سنغاي
٦٠	٤ - دولة كانم
٦١	٥ - دولة البرنو
٦٣	٦ - دولة الفونج
٦٥	٧ - دولة المهدية
٧٢	٨ - دولة حميد المرجبي
٨٧	٩ - دولة الفولاني
	الفصل الثالث
٩٧	كيف يعمل المنصرون في افريقيا
	الفصل الرابع
١٢١	محاولات تنصير السودان

الفصل الخامس

- ١٤٣ مخطط الحركة النصرانية بمصر
- ١٤٣ أولاً : عدو شعب الكنيسة
- ١٤٧ ثانياً : اقتصاد شعب الكنيسة
- ١٤٨ ثالثاً : الجانب التعليمي
- ١٤٨ رابعاً : التنصير
- ١٥٠ خامساً : الطالب
- ١٥١ البابا والتقانات
- ١٥٢ اطراف المؤامرة

الفصل السادس

- ١٥٩ مؤتمر كلورادو
- ١٦١ الحرب الشاملة ضد الإسلام
- ١٦٧ ترجمة تقرير المؤتمر
- ١٨٢ الخاتمة
- ١٨٧ المراجع العربية
- ١٨٨ الصحف والدوريات
- ١٨٩ المراجع الأجنبية
- ١٩٢ الفهرس